



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: D.LL/3C/03/19

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

ميدان: اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

شعبة: دراسات لغوية

قضية المعنى في اللسانيات التداولية واللسانيات العرفية

- دراسة مقارنة -

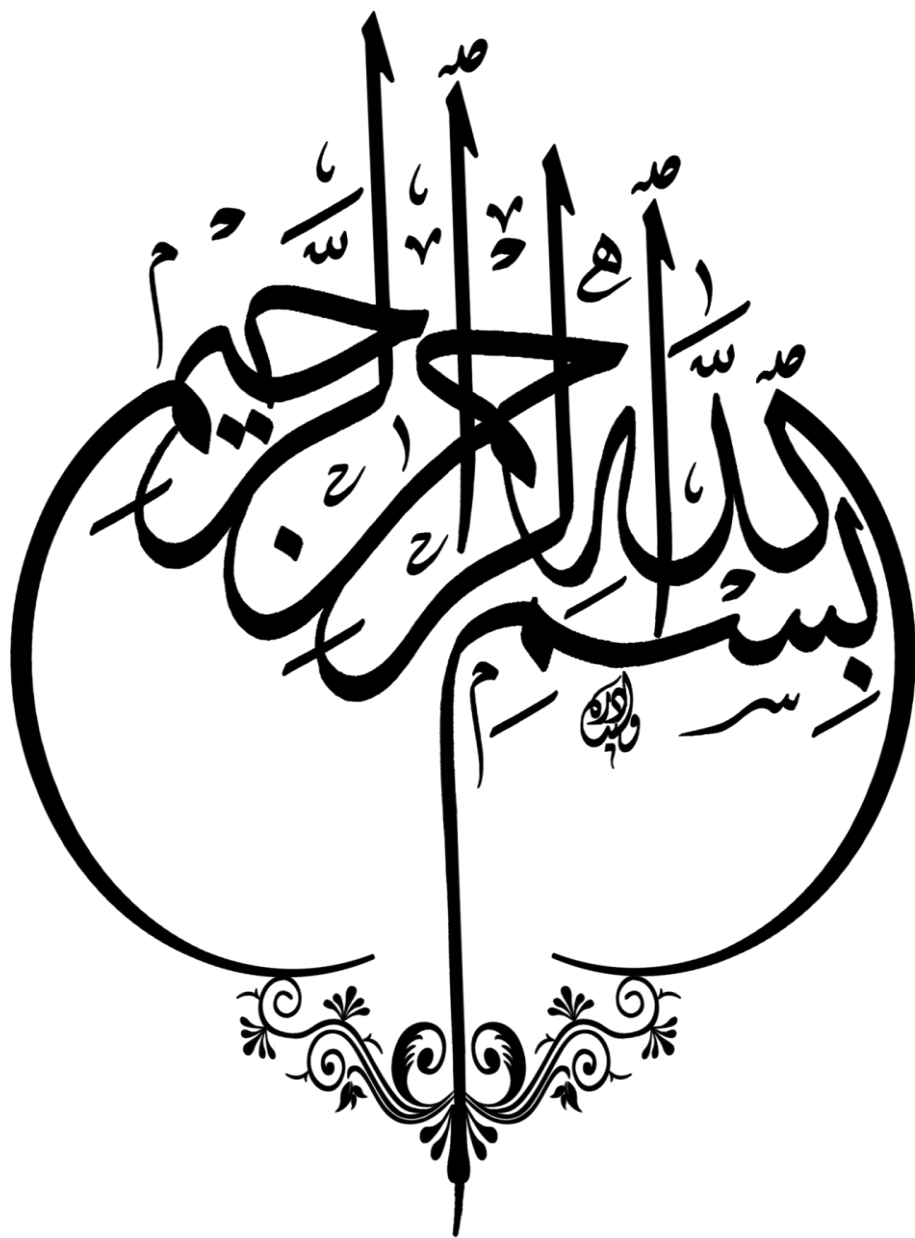
إعداد: آسية مرهون

تاريخ المناقشة: / /

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة	الصفة
1				رئيسا
2	عزالدين عماري	أستاذ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3				ممتحنا
4				ممتحنا
5				ممتحنا
6				ممتحنا

السنة الجامعية: 2023-2024



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ
إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

الأحقاف: من الآية ١٥

شكر و عرفان

أتقدم بالشكر الخالص إلى أستاذي المفضل: "أ.د/عزالدين عماري" على ما خصّني به وهذا العمل من جهد، فله مّيّ جزيل الشكر والامتنان وأسى عبارات التّقدير.

كما لايفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان الى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي الذين أشرفو على تدريسي في كافة المراحل التعليمية بالجامعة وأخص بالذكر: "أ.د/ سليمان بوراس"، و"أ.د/ بلخير أرفيس".
أتقدم أيضا بشكري الخالص إلى "أ.د/ صالح غيلوس" ممثلا لمخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية وكافة العاملين على هذا المشروع منذ بدايته كفكرة أولى إلى غاية انتهائه، فلولا مساندتهم بعد الله عز وجل، لما سنحت لي فرصة البحث ضمن مجال اللسانيات العرفانية.
كما أقدم شكري كذلك للأستاذ "بايزيد مهديد" نظرا لما قدّمه لي من نصائح أفادت هذا البحث.

وفي الأخير لايسعني إلا أن أقدم شكري لأعضاء لجنة المناقشة الذين سيتفضلون عليّ بمناقشة هذا العمل وتقديم ملاحظاتهم سداً لما تخلله من ثغرات وإبانة ما يظهر فيه من قصور سائلة الله أن يجزيهم حسن الجزاء

آسية مرهون





إهداء

✚ إلى والدي العزيزين

حفظهما الله وراعاهما وأدامهما سراجين يبينان طريقي -

✚ إلى زوجي اعترافا بما قدمه لي من عون،

✚ إلى كنيستي الصغيرة "أمل" حفظها الله وراعاهما،

✚ إلى أخوتي وزوجتيهما، وإلى أختي العزيزة "ليندة"

✚ إلى كل محب للغة العربية،

✚ إلى كل محب للعلم،

أهدي ثمرة هذا العمل...

آسيت



مقدمة

الإنسان كائن لغوي يبني العالم بالخطاب والتواصل، وهذا الأخير لا يتحقق في غياب الدلالة أو المعنى، هذا العنصر الذي من بين مميزاته الوجود والخفاء، فهو موجود فعلا لأنه من بين أهم ركائز اللغة، وهو خفي لصعوبة الوصول إلى حقيقته، وتعد الدلالة آلية من آليات المعنى فهي لا تتحقق في غيابه، كما أن استيعاب المعنى ومعرفة حدوده يُمثل ظاهرة لسانية ومعرفية ومشكلة جوهرية في علم اللغة الحديث والمعاصر، هذا العلم الذي حظي بالتشعب والغنى حتى شمل كثيرا من الحقول المعرفية المتنوعة بل ودخل كثيرا من جوانب الحياة العلمية والاجتماعية والتعليمية والنفسية والثقافية.

ومادام أن موضوع اللسانيات هو اللغة الانسانية، اللغة التي حظيت باهتمام كبير خصها به علماءها قديما وحديثا نظرا للدور الذي تمثله في حياة الفرد والمجتمع، إضافة إلى كونها تحمل معاني عديدة لا تُعد ولا تُحصى، فلا ريب أن يصبح كل مستوى من مستوياتها محل دراسة واهتمام، وبخاصة المستوى الدلالي الذي أصبح يُعد من أهم مستويات الدرس اللساني وأصعبها؛ ذلك أنه يُشكل الكيان التجريدي الذي لا يمكن الإمساك به، فضلا من أن الخطابات اللسانية سواء كانت مكتوبة أو منطوقة لا يتم فهمها إلا عبر إيصال الرسالة وتوضيح معناها في المقام الأول وذلك وفق دائرة تكاملية مع باقي المستويات اللسانية الصوتية والصرفية والنحوية.

ناقشت اللسانيات موضوع المعنى، حيث أنتج ذلك نظريات دلالية عديدة في العصر الحديث، اختلفت أسسها النظرية تارة وتقاطعت تارة أخرى، كما أنها تنوعت بين الجانبين النظري والاجرائى، كما أنتج اتجاهات لسانية نظرت إلى الدلالة كنظام لغوي تحكمه قوانين وأنساق عديدة، من ذلك الاتجاه التأويلي والاتجاه التوليدي، هذان اللذان نظرا إلى المعنى على أنه علاقة بين علامتين لغويتين، ومن ذلك أيضا الاتجاه التداولي الذي ركز على دراسة المعنى انطلاقا من ربطه بالمقام أو السياق، ليأتي بعده الاتجاه العرفاني المعاصر في إطار ما يُسمى باللسانيات العرفانية، والذي يرى المعنى متمركزا في العرفان البشري من خلال الذهن.



ونظرا للأهمية التي تحتلها كل من اللسانيات التداولية واللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللغوية، وارتباط هذين التوجهين اللسانيين الجديدين باللغة عامة وجانبها الدلالي خاصة، أصبح المعنى بمنظورهما من الموضوعات التي تستحق الدراسة والبحث، إضافة إلى كون اللغة دائمة الحاجة إلى توضيح قوانينها وتفسير المعاني المختلفة التي تنتج عن تنوع تراكيبها، وبالتالي تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يُسلط الضوء على جانب من الجوانب المهمة في اللغة ألا وهو جانب المعنى، هذا الأخير بوصفه يتمظهر في خطابات لغوية متنوعة أي إنه يشكل جوهر اللغة لذلك فهو جدير بالدراسة.

وانطلاقا من اختلاف وجهات النظر في دراسة المعنى من اتجاه الى آخر ومن نظرية لسانية الى أخرى ارتأيت أن يكون موضوع دراستي حول قضية المعنى من منظور اتجاهين لسانيين مختلفين هما الاتجاه التداولي والاتجاه العرفاني فكان عنوان أطروحتي موسوما بـ:

"قضية المعنى في اللسانيات التداولية واللسانيات العرفانية"

- دراسة مقارنة -

وأما الأهداف التي سطرتها والتي أعمل على تحقيقها من خلال هذا العمل فإني أوجزها في هدفين أساسيين وهامين، هما:

- العمل على تقديم مبادرة للباحثين الآخرين ولفت انتباههم إلى حقل اللسانيات العرفانية باعتباره بكرا لايزال يستحق الدراسة والتمحيص، وبخاصة ما تعلق بجانب الدلالة العرفانية كونها ترتبط بالذهن الذي يُكسبها نوعا من الغموض المعرفي والذي يجب استكناه حقيقته وخلفيات إنتاجه.
- جمع وتنظيم نظريتين مختلفتين يُفيد جمعهما في إعطاء رؤية جديدة وتقديم تفسير جديد لظاهرة المعنى وهذا انطلاقا من البحث في العلاقة التي تربط بين المنظورين التداولي والعرفاني.

ولا أنكر أن اختياري لهذا الموضوع واهتمامي بدراسته كان نابعا في الحقيقة من سبب ذاتي وهو: رغبتني في خدمة البحث اللغوي بخاصة وأنه تعلق بطرح موضوع المعنى الذي

كان ولا يزال دائم الحضور في مختلف الدراسات اللسانية، وكذلك محاولة مني في اكتشاف ما أضافه هذا الوافد الجديد -اللسانيات العرفانية- من آليات تُسهل الوصول لفهم المعنى في أبسط طرقه.

أما عن الأسباب الموضوعية فأجملها في سببين أساسيين هما:

- مواصلة العمل لأجل إعادة الاعتبار لدراسة المعنى ليشغل مجالا واسعا من مجالات البحث اللغوي، بعدما أخذ التركيب الحيز الواسع من الدراسات اللسانية بالمقارنة مع الجوانب الأخرى.

- الاهتمام بمعرفة كيفية اشتغال مختلف نظريات اللسانيات العرفانية من أجل توظيفها في فهم مختلف التراكيب اللغوية التي تظهر في استعمالنا اليومي للغة سواء كانت في جانب التواصل أو في جانب الإبداع.

حاولت من خلال هذه الدراسة الإجابة على إشكالية مركزية يتمحور حولها الموضوع

وهي:

- كيف يمكن ضبط المعنى بين ماتطرحة التداولية وما تتبناه العرفانية؟ وما الفرق بين هذين الطرحين؟

وتتفرع هذه الاشكالية إلى تساؤلات أجملها في سؤالين جوهريين هما:

- هل يرتبط فهم المعاني في الأبنية اللغوية المنجزة بالسياقات المقامية فحسب؟

أم أن هناك قدرات معرفية أخرى تُتيح للمتكلم التوصل الى المعاني وفهمها؟

- هل تأويل المعاني يعني الرجوع الى السياق الذي أنجزت فيه البنى اللغوية؟

أو أنه يعني بناء تصورات ذهنية تُمكن مستعمل اللغة من استيعابها؟

وفي الحقيقة فإن دراستي لقضية المعنى لم تكن هي الأولى في مجالها بل إن هناك العديد من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع المعنى بوجه عام وحاولت أن تشرحه، وقد اختلفت هذه الدراسات بين المقالات والأطروحات والكتب، ومن بين المقالات التي تناولت موضوع المعنى، نذكر:

• "اللغة والخلاف في سؤال الدلالة والمعنى" لمحمد بنينير، وهو مقال عمد فيه صاحبه إلى تبیین العلاقة بین الدلالة والمعنى، وقدم تعريفا اصطلاحيا للمعنى، ثم أشار بعدها إلى اعتماد النحو على الدلالة بالدرجة الأولى ثم تطرق الى قضية اللفظ والمعنى من ناحية بلاغية.

• " شبكات المزج التصوري وتمثل المعنى الضمني" لدریم الهمامي، وهو مقال عرض فيه إلى كيف يُسهم المزج التصوري كنظرية عرفانية في تشكل المعنى الذهني وتمثله.

• " الاشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية" لسليمان أحمد عطية، وقد حاول الباحث في هذه الدراسة أن يُقدم نظرة عن كيف يُسهم الاشهار في تقديم معاني القرآن ويعطي لها تمثيلات ذهنية.

والفرق الجوهری بین الموضوع محل الدراسة وهذه الدراسات يكمن في أنني حاولت الجمع بین وجهتين في دراسة المعنى، وجهة تداولية تعتمد السياق ووجهة عرفانية تقوم على الذهن.

فرضت الإشكالية المطروحة خطة، تمثلت في تقسيم البحث إلى أربعة فصول، تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة.

بدأت بمقدمة ذكرت فيها ما سأتناوله في هذه الدراسة، حيث أشرت إلى أهمية المعنى ودوره في حياة الفرد مستعمل اللغة، وبينت أهمية موضوع المعنى في الدرس اللساني المعاصر.

أما الفصل الأول، فقد كان تمهيديا وهو نظري بحث وسمته بـ: " المرتكزات النظرية للدراسة -المعنى، التداولية، العرفانية"، حيث قسمته ثلاثة مباحث، تطرقت في الأول إلى إعطاء مفهوم للمعنى، أين أدركت من خلاله الاختلاف في تعريف الباحثين للمعنى باختلاف دراساتهم له، ثم عرضت أنواعه وأهم المناهج التي اهتمت بدراسته، وحاولت في الثاني استجلاء مفهوم اللسانيات التداولية، وإعطاء لمحة عن نشأتها وتطورها ومجالات بحثها

وعلاقتها كمنهج بباقي الحقول المعرفية الأخرى، وختمت الفصل بالمبحث الثالث أين تطرقت إلى اللسانيات العرفانية باعتبارها أحد المرتكزات التي قامت عليها هذه الدراسة.

وأما الفصل الثاني، فوسمته بـ: "تجليات المعنى في الفكر التداولي"، وقد مزجت فيه بين النظري والتطبيقي، وعلى مدار ثلاثة مباحث أيضا تطرقت إلى الكشف عن أهم نظريات الفكر التداولي التي أعطت أهمية لدراسة المعنى، وذكرت أمثلة تطبيقية عن كيفية التوصل إلى المعنى انطلاقا من هذه النظريات، حيث بدأت بالحديث عن نظرية "أفعال الكلام"، ثم انتقلت للحديث عن "الاستلزام الحواري" وختمت الفصل بالحديث عن مبحث "متضمنات القول".

وأما الفصل الثالث، فدرست فيه المعنى من المنظور العرفاني، وهو فصل زاوجت فيه أيضا بين النظري والتطبيقي، وفي ثلاثة مباحث كشفت عن أهم نظريات اللسانيات العرفانية التي اهتمت بجانب المعنى الذهني، حيث افتتحت الفصل بالحديث عن "نظرية الاستعارة التصورية" ثم انتقلت "لفضاء الذهني، ودوره في بناء المعنى" وختمته بالحديث عن "نظرية المزج التصوري".

وأما الفصل الرابع فقد خصصته لعقد مقارنة بين دراسة المعنى في التداولية وفي العرفانية ووسمته بـ: "دراسة مقارنة للمعنى بين الطرحين التداولي والعرفاني" وفي ثلاثة مباحث بيّنت نقاط التقاء المنظور التداولي بالعرفاني في دراستهما للمعنى، ثم نقاط الاختلاف، وختمته بالحديث عن العلاقة بين النظريتين.

وفي الأخير كانت الخاتمة التي ضمّنتها مجمل النتائج التي خلصت إليها من فصول هذه الدراسة.

وكما هو معلوم وأن طبيعة الدراسة هي التي تفرض على الباحث المنهج المناسب لها والذي يتقيد به الباحث ويسير وفق خطواته، فكان المنهج الوصفي، حين قمت بتقديم وصف لدراسة المعنى من الوجهتين التداولية والعرفانية وكان المنهج المقارن حين قمت بعدها بتبيين الاختلاف بين الطرحين في دراسة المعنى.



وقد اعتمدت على مرجعية علمية ثرية، أفدت منها كثيرا من أجل الإحاطة بكل ما يقتضيه الموضوع، فكان التنوع بين المصادر القديمة والحديثة، فمن بين المصادر القديمة نجد بعض المعاجم اللغوية، وبعض كتب التفسير القرآني التي استعنت بشروحاتها لآيات القرآن الكريم، وكتب السنة كوني اعتمدت على التمثيل من القرآن و السنة، ومن بين أهم هذه التفاسير "تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور" ومن كتب السنة كتاب "الموطأ للإمام مالك"، أما عن المصادر الحديثة فقد اعتمدت العديد منها، أهمها: كتاب "أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلام - لجون أوستين، وكتاب "الدلالة والمعنى لراي جاكندوف"، وكذلك كتاب "التداولية عند علماء العرب لمسعود صحرابي".

لا شك وأن طريق البحث مجهدة وصعبة، ولا شك وأن حلاوة النجاح في تكبد هذا العناء وتجاوز هذه الصعوبات، وقد واجهني منها وأثناء إعدادي لهذه الأطروحة ماتعلق بالموضوع في حد ذاته، فقد كان موضوعا يمتاز بالشمول نوعا ما لأنه جمع بين نظريتين وهذا ما صعب عليّ الإمام بكل حيثياته، إضافة إلى جائحة كورونا التي فرضت علينا جميعا حجرا صحياً حال بيني وبين حصولي على بعض المراجع التي تخدم الموضوع مما أدى بي إلى التأخر في إنجاز العمل.

وفي الأخير فإنه لايسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل الى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور "عزالدين عماري" الذي رعاني في هذا العمل فصرف معي وقته وجهده الثمينين من أجل إخراجه في أبهى حلة، فهو لم يبخل عليّ بملاحظاته الدقيقة ونصائحه السديدة وتعديلاته المستوفية، فقد يسر لي الكثير من المشكلات التي واجهتني فنسأل الله له حسن الجزاء والثواب

والله ولي التوفيق.



الفصل الأول (تمهيدى):



المرتكزات النظرية للدراسة:

" المعنى، التّداولية، العرفانيّة".

المبحث الأول: المعنى.

1- مفهوم المعنى:

1-2- لغة:

- اختلف علماء اللغة في فهم وتحديد معنى "المعنى"، ومن هؤلاء، أحمد بن فارس (ت 395هـ) ففي كتابه "الصاحبي في فقه اللغة" أورد تحديدا لغويا له من خلال ثلاثة اشتقاقات وهي:
- المعنى: " من عَنَتِ القرية إذا لم تحفظ الماء بل أظهرته وعنوان الكتاب من هذا " وهذه الدلالة الأولى للمعنى ويقصد منها الإظهار.
 - وقد يكون المعنى من: " عَنَيْتُ بالكلام كذا "، أي قصدت منه كذا وهذه الدلالة الثانية للمعنى والمراد منها القصد.
 - كما يكون المعنى من: " عَنَتِ الأرض بنبات حسن... إذا أنبت نباتا حسنا ... " والدلالة الثالثة للمعنى هنا هي الإفادة (1).
- وأما في معجمه "مقاييس اللغة" فيظهر ذلك من خلال قوله: " العين والنون والحرف المعتل أصول ثلاثة: الأول القصد للشيء بانكماش فيه وحرص عليه، والثاني دال على الخضوع والذل، والثالث ظهور شيء وبروزه" (2).
- ونجد كذلك أن "المعنى" من الفعل "عنى" يعني، وأَعْنَتِ الأرض نباتها بمعنى أظهرته وأبانتها، ومعنى كل شيء محنته وحالته التي يصير إليها أمره، ومعنى الكلام ومعنيه بكسر النون مع تشديد الياء أي فحواه ومقصده (3).
- ويقول الجوهري (ت 393هـ): "عرفت ذلك في معنى كلامه، وفي معناه كلامه كذا أي

1 - أحمد بن فارس بن زكرياء (الفريوني): مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، 1979، م4، مادة "عنى".

2 - المرجع نفسه، ص 146

3 - ينظر: محمد بن عبد الرزاق (الزبيدي): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت، دط، دت، ص 122.

فى فحواه "(1).

نستنتج مما سبق أن المفهوم اللغوى للمعنى يفيد دلالة القصد والإظهار، كون المعنى جوهر اللفظ اللغوى، فهو يوحي لمتلقى هذا اللفظ مقصدًا ما وفحوى يريد المتكلم إيصاله.

2-2-إصطلاحا:

يُعدُّ المعنى من المفاهيم الواسعة التى لا تجد تعريفاً شاملاً لتحديدِها خاصة عند علماء العربية، وذلك راجع لتعدد آرائهم واختلاف مشاربهم، ونجد من بين علماء العربية الذين أعطوا أهمية لتحديد "المعنى" الجاحظ فى كتابه: "البيان والتبيين" حيث يُعرفه بقوله: "المعاني هي ما يقوم فى صدور الناس، والمتصورة فى أذهانهم والمختلجة فى نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم... محبوبة، مكنونة وموجودة فى معنى معدومة" (2).

إنَّ المطلع على هذا التعريف يرى أن للمعنى أهمية بالغة ترتكز عليها الألفاظ اللغوية فلولاها لما أدى اللفظ أية دلالة.

وقد أضاف الجاحظ (ت 255 هـ) قولاً أكثر تفصيلاً لشرح القول الأول حيث قال: "لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره... وإنما يُحي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها.... لأنها هي التى تقرب الألفاظ للعقل وتجلى الفهم وتجعل الخفى ظاهراً، والغائب شاهداً والبعيد قريباً وهي التى تُلْخِصُ الملتبس وتحل المعقد...لأنه على قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح... وكانت الإشارة أنفع وأنجح..." (3).

إن الشرح الذى قدمه الجاحظ للتعريف الأول هو بمثابة وصف لدور المعنى لكن لم

1 - إسماعيل بن حماد (أبو نصر الجوهري): تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور، بيروت، دار الفكر، ط 1407، 4، 1987 م، ص 2440.

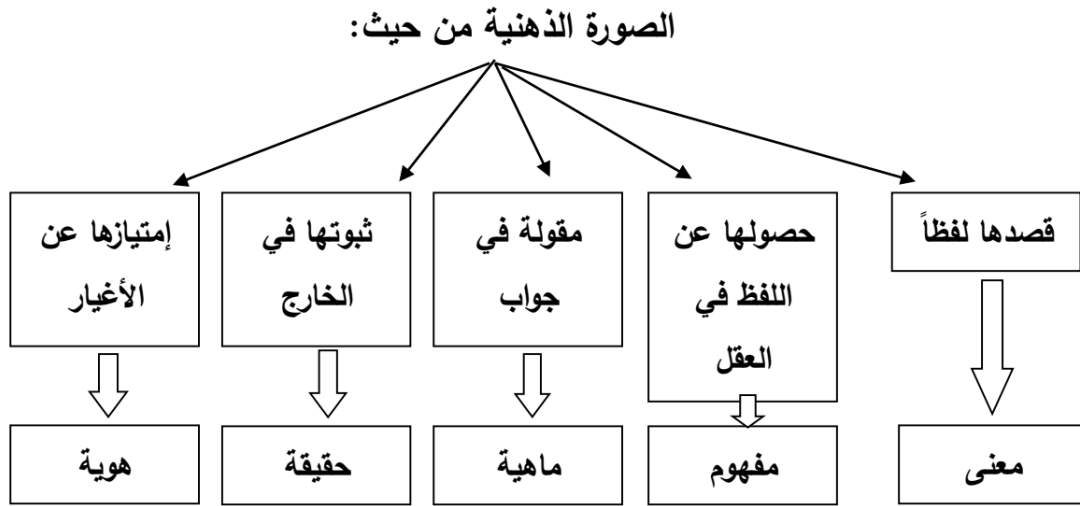
2 - عمر بن بحر (أبو عثمان الجاحظ): البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط7، القاهرة، مكتبة الخايجي، 1998، ج1، ص75.

3 - المرجع نفسه، ص 76.

يعطي في الأخير تعريفا دقيقا وشاملا لمصطلح "المعنى".

ويعرفُ الشريف الجرجاني (ت816هـ) في كتابه التعريفات المعنى بقوله: " المعاني هي الصور الذهنية من حيث إذا وُضِعَ بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل، فمن حيث إنها تقصد باللفظ سميت معنى، ومن حيث إنها تحصل عن اللفظ في العقل سُميت مفهوماً، ومن حيث أنها مقولة في جواب ما سميت ماهية، ومن حيث ثبوتها في الخارج سميت حقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأغيار سميت هوية" (1).

ويمكن ترجمة قول الشريف الجرجاني بالخطاطة التالية:



وهذا ما يؤكد ارتباط الألفاظ بالمعاني وبالتالي لا وجود للفظ دون معنى وفي المقابل لا وجود لمعنى دون لفظ يجسده.

كما نجد الكفوي (ت1094هـ) في معجمه "الكليات" يرى أن المعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ أي ما يفهم من لفظ ما ومن صفاته أنك تصل إليه بغير واسطة انطلاقاً من اللفظ مباشرة (2).

¹ - علي بن محمد السيد الشريف (الجرجاني): التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، د ط، القاهرة، دار الفضيلة، ص 184-185.

² - ينظر: أيوب بن موسى الحسني (الكفوي): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م، ص860.

ويعرف الرّماني (ت384هـ) المعنى كذلك بقوله: " هو مقصد يقع البيان عليه باللفظ"⁽¹⁾. أي إن اللفظ هو الصورة المجسدة للمعنى والمؤدية له.

والمعنى عند الخليل بن أحمد (ت170هـ) هو كشف وإظهار لما تضمنه اللفظ كقولك: عَنَتِ الأرض نباتًا حسنًا أي أظهرته⁽²⁾.

2-أنواع المعنى:

لقد اختلف علماء اللغة في ضبط وتحديد أنواع المعنى لكن أغلبهم حصرها في الآتي:

2-1-المعنى الأساسي أو المركزي:

يسميه بعض الدارسين بالمعنى التصوري أو المفهومي أو الإدراكي ويقول أحمد مختار عمر أن: " المعنى الأساسي هو العامل الرئيسي للاتصال اللغوي والممثل الحقيقي لوظيفة اللغة الأساسية، وهي التفاهم ونقل الأفكار"⁽³⁾.

وقد عرف nida هذا النوع من المعنى بأنه: " المعنى المتصل بالوحدة المعجمية حينما ترد في أقل سياق أي حينما ترد منفردة"⁽⁴⁾.

إذن فالمعنى الأساسي هو الممثل الفعلي للوظيفة اللغوية والتي تتمثل في الفهم ونقل الأفكار، وهذا المعنى هو المتصل بالوحدة اللغوية في أقل سياقاتها وهو سياق الأفراد.

2-2-المعنى الإضافي أو الثانوي (العرضي):

هو المعنى الذي يملكه اللفظ عن طريق يشير إليه، إضافة الى معناه الأساسي ومثال ذلك كلمة "إمرأة" حيث يتحدد معناها الأساسي من خلال ثلاثة ملامح وهي أنها: (إنسان+ بالغ+ أنثى)، وهذه الملامح الثلاث تبين الاستعمال الصحيح للكلمة كما أن هناك صفات ثانوية أخرى مثل (ثريثة، تجيد الطبخ) وهي صفات قابلة للتغير (ليست ثابتة)، ومن هنا فالمعنى الأساسي أو المركزي هو معنى ثابت غير قابل للتغير لكن قد يطرأ عليه معنى

¹ - علي بن عيسى (أبو الحسن الرّماني): رسالتان في اللغة، تح: ابراهيم السامرائي، عمان، دار الفكر، 1984م، ص 74.

² - ينظر: الخليل بن أحمد (الفرايدي): معجم العين، تح: مهدي المخزومي، مكتبة الهلال، دطن دت، م 8، ص 161.

³ - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط7، 2009، ص36.

⁴ - المرجع نفسه، ص 37.

ثانوي آخر، أما المعنى الثانوي فغير ثابت ويتغير بتغير سياق اللفظ (1).

2-3- المعنى النفسي:

إن أهم ما يميز هذا النوع من المعنى هو خصوصيته بالفرد الواحد دون غيره كل على حدة " حيث يظهر فيما يتضمّنه اللفظ لدى الفرد وحده فهو بذلك فردي ذاتي خالص" (2). ومعنى هذا أنه لا يمكن تعميمه على كل الأفراد، فهو متصل بحالة ونفسية المتكلم أهو سعيد أم حزين، ولأن هذا النوع من المعنى يجعل اللفظ يختلف باختلاف الحالة النفسية، ويمكن التماس هذا النوع من المعنى في النصوص الإبداعية كالشعر والنثر على وجه الخصوص، لأنها تحمل في طياتها طبيعة المتكلم أو المؤلف وشخصيته أهو نرجسي مثلاً أم متكبر، ومن بيت أو النصوص الشعرية التي تُظهرُ بعض شخصيات كتابها نجد "المتنبي" الذي قال في أحد أبياته مغترّاً بنفسه وبشعره:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي به من صَمَم (3)

فهذا البيت الشعري مثلاً حمل معنى نفسياً دلّ على غرور شخصية الشاعر الأدبية واعتزازه بنفسه.

2-4- المعنى الأسلوبى:

عرّفه أحمد مختار عمر بقوله: " هو ذلك النوع من المعنى الذي تحمله قطعة من اللغة بالنسبة للظروف الاجتماعية لمستعملها والمنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها كما أنه يكشف لنا عن مستويات أخرى (عامية، رسمية، مبتذلة) إضافة الى نوع اللغة (شعر، نثر، إعلان) والواسطة التي تؤدّي بها اللغة (حديث، كتابة، خطبة) (4).

1 - ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأهيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 209، ص 80.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص80.

3 - ديوان المتنبي: بيروت، دار بيروت، د ط، 1983م، ص 22.

4 - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 37.

إن هذا النوع من المعنى يبين لنا أهمية المقتام أو السياق غير اللغوي في تحديد وإبراز المعنى، فمقام الدّم، مثلاً يختلف عن مقام المدح، والمقام يعتمد على عدة عناصر تمكن من فهم المعنى الأسلوبي، العنصر الأول: العلاقة اللغوية، الثاني: الظروف التي قيل فيها اللفظ، الثالث: الظروف الاجتماعية التي أحاطت باللفظ، الرابع: القرائن الحالية، كلامح الوجه مثلاً (1).

وبالتالي فالمعنى الأسلوبي يتجاوز المعنى الأساسي والثانوي إلى الكشف عن طبيعة مستخدم هذه اللغة وشخصيته وبيئته وثقافته.

2-5- المعنى الإيحائي:

يتعلق هذا النوع من المعنى بكلمات في حد ذاتها لها قدرة على الإيحاء بمعناها من خلال تأثيرات معينة ويحصر "ستيفن أولمان Stephen Ullmann" هذه التأثيرات في ثلاثة أنواع وهي:

- التأثير الصوتي: وهو نوعان: تأثير مباشر مثل: خريز المياه مثلاً وما يحدثه هذا الصوت في النفس، وتأثير غير مباشر مثل: القيمة الرمزية التي تدل عليها حركة الكسرة في نفوس مستعملي اللغة على أنها تحمل الصغر والاحتقار.
- التأثير الصرفي: يشمل هذا النوع من المعنى الألفاظ التي تدخل تحت باب النحت لأن الألفاظ المنحوتة تحمل عادة معنيين هما: (معنى أولي + معنى ثانوي) مثل لفظة "بُحُتْر" التي تدل أو تقال للقصر فهي تجمع بين معنيين هما، "بتر"، "حتر".
- التأثير الدلالي: يقوم هذا المعنى على المجاز ويعتمد الألفة في الاستعمال بين الناس، ويعتمد هذا النوع من المعنى في الكلمات التي لها دلالات مكروهة مثل "الجنس، والموت (2)، وكمثال على ذلك بعض التعابير التي اعتمدها القرآن الكريم في حديثه عن الجنس:

¹ - ينظر: طالب محمد إسماعيل، مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري، الأردن، دار كنوز المعرفة، ط1، 2009، ص 37.

² - ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص39.

قال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ۚ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة، 223.

فقد سمى القرآن الجنس بالحرث وذلك للابتعاد عن الاستهجان

إذن ما يمكن قوله: هو أن اللفظ الواحد قد يحمل العديد من المعاني إضافة إلى معناه الأساسي أو المركزي الذي يحمله منعزلاً عن أي تركيب أي مفرد.

3- مناهج (نظريات) دراسة المعنى:

تطرقت في المطلب السابق إلى أن المعنى لا يحمل مفهوماً دقيقاً، بل اختلفت مفاهيمه باختلاف وجهات النظر فكل يعطي مفهوماً له بحسب توجهه أو جانب دراسته، وقد نتج عن هذا التعدد مجموعة من المناهج والنظريات التي حاولت دراسة المعنى كل حسب مبادئها ومنطلقاتها، ومن النظريات نذكر:

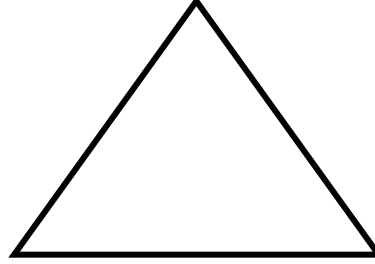
3-1- النظرية الإشارية:

عدت هذه النظرية من بين أوائل وأقدم النظريات التي اهتمت بدراسة المعنى وحاولت إعطاء بيان لماهية المعنى اللغوي، حيث رأى أصحاب هذه النظرية أن: معنى الكلمة هو ما تشير إليه في الخارج أي في الواقع الخارجي فكلمة تفاحة مثلاً هو ما تشير إليه هذه الكلمة من معنى في العالم الخارجي أي المشار إليه في الخارج هو المعنى، وقد تطورت هذه النظرية واكتسبت صفة العلمية على يد عالمين اثنين هما: "أوقدت" و "ريتشارد" خاصة من خلال كتابهما المسمى "معنى المعنى" the meaning of the meaning، حيث أوضحا معالهما في مثلثهما الشهير الذي ميزا من خلاله عناصر الدلالة التي حصرها في ثلاثة مكونات وهي: الفكرة (أي المحتوى الذهني)، الرمز (أي الدال)، المشار إليه (أي الشيء في الواقع الخارجي)⁽¹⁾.

¹ - ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص54.

ويمكن التمثيل لعناصر الدلالة وفق منظور هذه النظرية بهذا الشكل: (1)

الفكرة (المحتوى الذهني)



الشيء في الواقع. المشار إليه الرمز الفكرة (المحتوى الذهني)

- وانطلاقاً من هذه العناصر الثلاثة للنظرية الإشارية ظهرت العديد من الدراسات التي تناولت بالشرح والتفصيل كل عنصر من هذه العناصر الثلاث المكونة للدلالة أو المعنى، وقد تبلورت هذه الدراسات حول المعنى في رأيين أساسيين هما:
- الأول يرى أن معنى الكلمة هو ما تشير إليه، وبالتالي دراسة المعنى تقتضي الاكتفاء بدراسة جانبيين دلاليين هما: الرمز والمشار إليه (أي اللفظ وما يشير إليه في الواقع).
 - والثاني يرى أن معنى الكلمة يكمن في العلاقة بين التعبير أو اللفظ وما يشير إليه، ولدراسة المعنى ينبغي توفر العناصر الثلاثة؛ لأنه لا يمكن الوصول إلى المشار إليه في الواقع إلا عن طريق الفكرة أو الصورة الذهنية (2).

لكن ثبت -في الأخير- قصر هذه النظرية على دراسة المعنى ووجهت لها العديد من الانتقادات أبرزها:

- إنه يجب على متكلم اللغة ليصل إلى أي معنى كان: أن يكون على دراية بكل ما يوجد في العالم الخارجي.
- إن هذه النظرية اقتصرت في دراستها للمعنى على الكلمات التي تحمل دلالات في العالم الخارجي، لكن اللغة لا تتكون من هذه الألفاظ فقط بل هناك ألفاظ ليست لها دلالات

¹ - منقول عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2001 م، ص83.

² - أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص55.

- خارجية مثل (ليت، لكن، لعل) (1).

3-2- النظرية التصورية:

تعد هذه النظرية أو المنهج اللغة وسيلة لتوصيل الأفكار وهناك من سمى هذه النظرية بالنظرية العقلية وهو الفيلسوف "جون لوك" ويظهر ذلك من خلال قوله: " إنَّ استعمال الكلمات يجب أن يكون هو الإشارة الحساسة للأفكار، والأفكار التي تمثل هذه الكلمات تُعدُّ مغزاها المباشر الخاص" (2).

ونفهم من خلال هذا القول أنَّ اللغة هي المترجم الأساسي لما في ذهن الإنسان من أفكار وأنَّ هذه الأفكار يجب أن تحمل معنى، وبالتالي فأصحاب هذه النظرية يرون أنَّ المعنى هو الفكرة أو الصورة الذهنية التي تحصل في ذهن المتكلم ويمكنه توصيلها في نفس الوقت إلى سامع ما شرط أن يكون بينهما قاسم مشترك في تصورهما لهذه الفكرة أو المعنى الذهني الدال على اللغة أو اللفظ.

لقد قدمت النظرية التصورية الكثير من خلال دراستها للمعنى إلا أنها ألغت جوانب عديدة كانت مهمة وهذا ما أدى الى قصورها، ومن بين ما أغفلته هذه النظرية:

- إن هناك بعض الألفاظ التي لا يمكن إدراك معانيها إدراكا متطابقا عند كل الأشخاص المستخدمين للغة، لأنه يظل هناك تفاوت كبير بينها، فكل شخص لديه تصور وتأويل خاص به يختلف على تصور وتأويل شخص ثاني.

- إضافة إلى أنَّ هناك بعض الألفاظ اللغوية التي لا يمكن تصورها لأنه لا وجود لصورة تمثلها مثل ألفاظ: (الإحسان، الإيمان، الأمل... الخ) لأن هذه الألفاظ مكتسبة لصفة التجريد أي إنه ليس هناك ما يدل عليها في الواقع أو التصور الذهني (3).

1 - أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 56.

2 - منقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث، ص 89.

3 - نسيم عون: الألسنية محاضرات في علم الدلالة، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2005، ص 65.

3-3- النظرية السلوكية:

لقد نشأت النظرية السلوكية في أحضان علم النفس، واعتمدت على المنهج العلمي القائم على الملاحظة والمشاهدة والتجربة، فقد أراد أصحاب هذه النظرية أن يجعلوا منها علما طبيعيا، لذلك استبعدوا كل ما له علاقة بالتجريد، وقد خالفوا بذلك النظرية التصورية التي ركزت على الفكرة والتصور، ومن أبرز الأعلام الذين لمع نجمهم في خضم هذه النظرية العالم اللغوي "ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield"، الذي ابتعد عن المعنى العقلي وبحث عن المعنى الملاحظ في السلوك اللغوي، ويرى "بلومفيلد" أن: "المعنى اللغوي هو الموقف الذي نطق فيه متكلم ما، والاستجابة التي استدعاها كلامه عند السامع"(1).

وقد حاول "بلومفيلد" أن يشرح ويوضح هذا التعريف من خلال قصة قصيرة لـ "جيل" و "جاك" حيث يقول: "كان جيل وجاك يسيران في غابة، فرأت جيل تفاحة وكانت تشعر بالجوع فأصدرت صوتاً، سمع جاك ذلك الصوت، فصعد الى شجرة التفاح وقطف منها واحدة وقدمها لها لتأكلها"(2).

يتضح لنا من خلال تفسير "بلومفيلد" لهذه القصة أنه اعتمد تفسيراً ميكانيكياً، يربط بين المعنى والموقف الذي أُنتج فيه اللفظ، وبالتالي دلالة صيغة لغوية ما هو المقام الذي يفصح فيه المتكلم عن هذه الدلالة والرد اللغوي أو السلوكي الذي يصدر عن المخاطب.

لقد قدم العديد من الدارسين انتقادات لهذه النظرية تمثلت في ما يلي:

- إنه لا يمكننا وصف مؤثرات كل حدث كلامي، فأحيانا قد تكون المؤثرات خفية وغير ظاهرة للعيان، لأن هناك كلمات لا تدل على أشياء قابلة للملاحظة مثل: الحب والكراهة، فهي كلمات يصعب وصفها ووصف مؤثراتها بشكل علمي.
- إن استجابات الأشخاص للمثير اللغوي الواحد قد تتعدد وتختلف من شخص لآخر (3).

1 - عدنان بن ذريل: اللغة والدلالة آراء نظريات، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1981م، ص132.

2 - خليفة بوجادي: محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 197.

3 - ينظر: منقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص88.

3-4- النظرية السياقية:

تقوم هذه النظرية في دراستها للمعنى على أساس المنهج السياقي الذي يراعي الظروف والمقامات التي يرد فيها الكلام، ويعتبر اللغوي "جون فيرث John Firth" رائدا لها، ومن خلال حديثه عن ضرورة تنسيق المفردة أي وضعها في سياق معين لمعرفة دلالتها الحقيقية، وبالتالي فالمعنى لا يُبحث عنه إلاّ من خلال سياقه اللغوي وظروف إنتاجه، ومن هنا فإنهم يقرّون أنه لمعرفة معنى كلمة معينة يجب وضعها في سياقات مختلفة، لأن الوحدات اللغوية المجاورة للكلمة في التركيب اللغوي لها أهمية كبيرة في تحديد معناها⁽¹⁾، وهنا نجد اللغوي "أندي مارتيني André Martinet" الذي أكد على دور السياق في تحديد المعنى حيث يقرر بأنه خارج السياق لا يمكن أبدا أن تتوفر الكلمة على معنى⁽²⁾.

وما يكمن الوقوف عنده كشرح لهذا القول هو أن السياق هو تلك العلاقات الرابطة بين المفردات داخل تركيب لغوي معين وهذه العلاقات السياقية هي تلك التي تعيننا على فهم معنى كلمة معينة داخل نسق لغوي معين.

يرى أصحاب هذه النظرية أنه لا يمكن الكشف عن معنى وحدة لغوية ما إلا من خلال تنسيقها، وعليه فإن معرفة معاني الكلمات مرتبط بتحليل السياقات والمواقف التي ترد فيها، كما أن معنى الكلمة يتعدد تبعا لتعدد هذه السياقات التي تقع فيها⁽³⁾.

وقد قسم "فيرث" السياق إلى أربعة أقسام أساسية تمكن من التوصل إلى معنى كلمة لغوية معينة وهذه السياقات هي:

أ- السياق اللغوي: وهو البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة وهو الذي يعمل على تغيير دلالتها تبعا لتغيير التركيب اللغوي.

ب- السياق غير اللغوي: وقسمه "فيرث" إلى ثلاث سياقات وهي:

¹ - ينظر: محمد حسن حسن جبل: المعنى اللغوي-دراسة عربية مؤصلة نظريا وتطبيقيا-، مكتبة الآداب، ط1، 2005، ص 164.

² - ينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1985، ص 104.

³ - ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص69.

- السياق العاطفي.
- السياق المقامي أو الحالي.
- السياق الثقافي الاجتماعي (1).

وما يمكن قوله: إن لهذه السياقات على حدّ تعبير "فيرث" دور بالغ الأهمية في تحديد المعنى وضبطه والوصول إليه بشكل صحيح، وأن نظرية فيرت السياقية قامت في دراستها للمعنى على نوعين من السياق أحدهما لغوي يدرس العلاقات التي تربط الكلمة داخل تركيب لغوي معين في نص معين، والآخر يتمثل في الظروف المختلفة التي وقع فيها الحدث الكلامي، وهذا يعين على تحديد معنى الكلمة.

3-5- نظرية الحقول الدلالية:

تقوم هذه النظرية على مبدأ أساسي في بحثها عن المعنى، وهذا المبدأ يتمثل في أن معنى الكلمة لا يتحدد إلا ضمن مجموعة معاني الكلمات التي تتصل بها دلالياً، ومن هنا فهم يرون أن معنى الكلمة هو محصلة العلاقات بين الكلمات داخل الحقل المعجمي الواحد، ومن هنا يرى "جون ليونز John Lyons" بأن معنى الكلمة هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي (2).

ومعنى هذا أن معنى الكلمة اللغوية لا يتحدد إلا من خلال وضعها ضمن الحقل اللغوي الذي تنتمي له لأنه هو الذي يحدد دلالتها بدقة، وخروجنا عن مجال الحقل اللغوي الذي تنتمي إليه الكلمة سيؤدي بالضرورة إلى تغيير معناها بشكل جذري.

وقد ذكر أحمد مختار عمر مجموعة من المبادئ التي قامت عليها هذه النظرية وهي:

- ليس هناك وحدة لغوية تنتمي إلى أكثر من حقل لغوي.
- ليس هناك وحدة لغوية لا تنتمي إلى حقل معين.
- لا يصح لنا إغفال الحقل السياقي "السياق" الذي ترد فيه الكلمة.

1 - ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 70.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 80.

- مستحيل أن ندرس المفردات بعيدة أو مستقلة عن تركيبها النحوي (1).
 - لقد حاول أصحاب نظرية الحقول الدلالية من خلال وضع هذه المبادئ أن يشملوا جميع مفردات اللغة وذلك من خلال ضم كل مفردة إلى حقلها الدلالي الذي تنتمي إليه، وقد قسم "أولمان" الحقول الدلالية إلى ثلاثة أنواع رئيسية، هي:
 - الحقول المحسوسة المتصلة: مثل: نظام الألوان.
 - الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة، مثل: نظام العلاقات الأسرية.
 - الحقول التجريدية: وتتمثل في الألفاظ الخاصة بالمعاني الفكرية وغير المحسوسة (2).
- رغم ما قدمته نظرية الحقول الدلالية من محاولات لحصر المعنى اللغوي للكلمة في الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه إلا أنها واجهت العديد من الصعوبات جعلت ذلك غير يسير، ومن ذلك، صعوبة تحديد العلاقات بين الألفاظ أو الكلمات داخل الحقل اللغوي الواحد، فهناك علاقات (ترادف وتضاد واشتمال) مثلا، صف إلى ذلك أن بعض الحقول الدلالية ليست مغلقة بل تبقى مفتوحة وهذا مرتبط أساسا بالتطور الدلالي الذي يمر المعاجم اللغوية بالدرجة الأولى.

3-6- النظرية التحليلية:

لقد انطلق أصحاب النظرية التحليلية في دراستهم للمعنى من فكرة مفادها: أن المعنى في الكلمة هو مجموعة من العناصر التكوينية أو المكونات الدلالية التي تتحد لتشكل معناها الكلي، وقد تبلورت هذه النظرية على يدي كل من العالمين "كاتز" و "فودور" وهما تلميذا "نعوم تشومسكي Noam Chomsky"، حيث قاما في تحليلهما للمعنى اللغوي انطلاقا من اعتبارا أن الدلالة الكلية للكلمة تتكون من مجموعة من المكونات الدلالية الجزئية وقد حاول الباحثان شرح هذا في كتابيهما: The structure of language و Philosophy of language (3).

1 - ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 81.

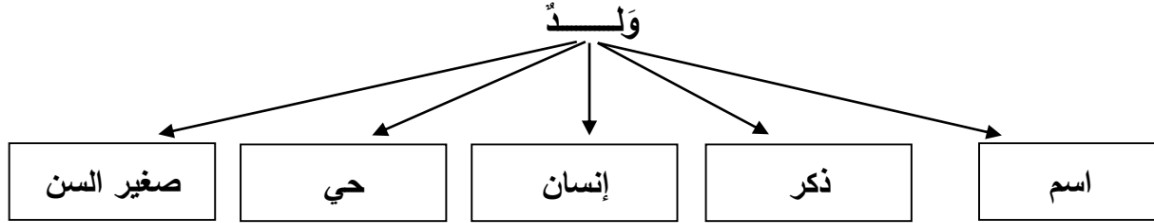
2 - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأهيلية في الدرس العربي القديم، ص 40.

3 - مونيكا شيفارتس، جينيت شور: علم الدلالة كتاب دراسي، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1،

2016، ص 75.

الفصل الأول (تمهيدي):المرتكزات النظرية للدراسة: المعنى، التداولية، العرفانية.

وترتبط تجزئة لفظ ما إلى سلسلة من المعاني الجزئية بقدرة الفرد وكفاءته الدلالية والمعرفية ومثال على ذلك لفظة "ولد"، فإذا أتينا إلى تجزئتها:



فهذه الصفات الجزئية تتحد فيما بينها لتشكل لنا لفظة ولد بمعناها الكلي (1).

وقد ركز هذان العالمان على ثلاثة عناصر أساسية اتخذها مفاتيح لتحليل المكونات الجزئية التي تشكل المعنى الكلي للكلمة، وهذه العناصر تمثلت في:

- المحدد النحوي: وهو الذي يقوم بالتمييز بين دالتين لصيغة واحدة، وهذا المحدد يعتبرانه غير ضروري وأساسي لتحديد المعنى لكلي.
- المحدد الدلالي: وهو الذي يقوم بتخصيص معنى عام وشامل لتكوين ما انطلاقاً من الدلالة الفردية للكلمات التي تشكل هذا التركيب.
- المميز: هو عنصر خاص يتعلق بمعنى معين، ويؤدي وظيفة تمييزية ويقتضي ذلك وجود التضاد (2).

ما يمكن قوله في الأخير هو أنّ هذه المدارس والنظريات التي ظهرت في العصر الحديث والتي حاولت دراسة المعنى، على اختلاف توجهاتها ومشاربها، لا تزال بكرة رغم ما قدمته من نتائج مقبولة في مجال دراسة المعنى لأنّ المعنى اللغوي يكتسب صفة التشعب هذا ما يجعل منه هلامياً لا يمكن حصره في زاوية فكرية معينة ويبقى قابلاً للتأويل من شخص إلى آخر كل حسب وجهة نظره.

¹ - محمد علي الخولي: علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر، الأردن، ط1، 2001، ص 194.

² - ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 116.

المبحث الثاني: اللسانيات التداولية

1- مفهوم التداولية:

1-1- لغة:

ورد المفهوم اللغوي للتداولية أو التداول في العديد من المعاجم العربية وجلّها أدرجت مصطلح التداولية تحت الأصل أو الجذر اللغوي "دَوَلَ"، هذا الأخير الذي يحمل -وفي معاجم مختلفة- العديد من المعاني نذكر منها: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، حيث جاء في هذا المعجم: "دَوَلَ "الدَّال، والواو واللام أصلان: أحدهما يدل على ضعف أو استرخاء". أما الأول فقال أهل اللغة: أنزال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم على شيء أي تبادلوه بينهم، والدَّوَلَ والدَّوَلَ لغتان، يقال الدَّوَلَ في المال والدَّوَلَ في الحرب، وإنما ذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه فيتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا (1).

وقد جاء أيضا في معجم أساس البلاغة "للزمخشري (ت 538هـ)" في مادة "دَوَلَ" ما يلي: "دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: أي جعل الكرة لهم عليه، وعن الحجاج قوله: إِنَّ الْأَرْضَ سَتْدَالٌ مَنَّا كَمَا أَدَلْنَا مِنْهَا، وفي مثل: يدال من البقاع كما يدال من الرجال، وأدبل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأدبل المشركون على المسلمين يوم أُحُد، والله يداول الأيام بين الناس، مرة لهم ومرة عليهم، ويقال تداولوا الشيء بينهم، والماشي يُدَاوِلُ بين قدميه: يراوح بينهما، وتقول دواليك: أي دالت لك الدولة كرة بعد كرة، وفعلنا ذلك دواليك أي كرات بعضها في أثر بعض" (2).

كما جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) في مادة "دول":

"تداولنا الأمر"، أخذناه بالدول، وقالوا دواليك: أي مداولة على الأمر... ودالت الأيام أي

1 - أحمد بن فارس بن زكرياء (القزويني): مقاييس اللغة، مادة "دول".

2 - محمود بن عمر (جار الله أبو القاسم الزمخشري): أساس البلاغة، بيروت، دار صادر، ط1، 2009م، مادة "دول".

دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة والأخرى مرة (1). ومن هنا يمكننا القول: إن المعاجم اللغوية لم تختلف في إعطاء مفهوم لمادة دول حيث إن جلها تجمع على أن مادة "دول" لا تخرج عن معنى التحول والانتقال من حال إلى حال وفي هذا الصدد نجد الدكتور طه عبد الرحمان في كتابه: " تحديد المنهج في تقويم التراث قد تطرق إلى إعطاء مفهوم للفعل دول حيث يقول: " إنَّ فعل "تداول" يفيد معنى تناقل، أي تداوله الناس تناقلوه، وأداروه" (2).

1-2- اصطلاحا:

شغلت التداولية اهتمام العلماء على اختلاف انتمائهم (غربيون وعرب) وعلى تنوع مشاربهم فمنهم البلاغيون والفلاسفة وعلماء السيكولوجيا وهذا ما أدى إلى وجود اختلاف من مفهوم إلى آخر، وانعدام تعريف موحد ودقيق لهذا العلم. أما من الغربيين فأستند إلى ما اقترحه اللساني "ليفنسون Livinson" في كتابه **pragmatique** من عديد التعريفات لمصطلح التداولية والتي نذكر منها: التعريف الأول: "التداولية دراسة للمبادئ التي تؤهلنا لإدراك غرابة بعض الجمل أو عدم مقبوليتها أو لحنها أو عدم ورودها في لغة المتكلم" (3). التعريف الثاني: "التداولية دراسة العلاقات بين اللغة والسياق، أي هي دراسة لكفاية مستعملي اللغة من خلال ربط اللغة بسياقاتها الخاصة" (4).

ونستطيع أن نستنتج من خلال قراءتنا لهذين التعريفين: أن التداولية وكأنها عبارة عن جهاز أدائي يميز بين الاستعمال الصحيح للغة من الاستعمال الخاطئ مقترنا في عملية تميزه بالسياق الذي يقال فيه الخطاب أو التلفظ اللغوي.

1 - جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م، مادة "دول".

2 - طه عبد الرحمان: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، دت، ص 243.

3 - إدريس مقبول: الأسس الابدستمولوجية للنظر النحوي عند سيبيويه، إريد، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1، 2005م، 263.

4 - المرجع نفسه، ص 264.

وأما من الباحثين العرب فأجد:

- "مسعود صحراوي" وقد عرّف التداولية بقوله: "هي مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمله، وطرق وكيفية استخدام لعلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي تُنجزُ ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب
- رسالة تواصلية واضحة وناجحة ... إلخ" (1).

والقارئ لهذا التعريف يستنتج أن التداولية مذهب لساني حديث يهتم باللغة لكن من وجهة نظر جديدة تتمثل في كيفية استعمال هذه اللغة لا في اللغة لحد ذاتها.

- "محمود أحمد نحلة" وقد أورد مجموعة من التعاريف لعلم التداولية تختلف باختلاف وجهة نظر الباحث ومن بين هذه التعاريف:

- التداولية: هي دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية.
 - التداولية: علم يدري كل جوانب المعنى التي أهملتها النظريات الدلالية.
 - التداولية: فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم (2).
- إن القارئ لهذه التعريفات جميعاً ليجد أنها تشترك في فكرة واحدة رغم اختلاف طريقة التعبير عنها مفادها أن التداولية علم يدرس اللغة في الاستعمال أي في سياقاتها الواقعية كما قيلت.

- "حافظ إسماعيل علوي" حين يقول: " وإنَّ أقرب حقل معرفي للتداولية في منظورنا هو "اللسانيات"، وإذا كان الأمر كذلك فإنه من المشروع البحث في صلة هذا العلم التواصلية الجديد باللسانيات وبغير اللسانيات من الحقول المعرفية الأخرى إمّا لأنها قريبة منه أو لأنه يشترك معها في بعض الأسس العلمية نظرية كانت أو إجرائية (3).

1 - مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2005م، ص14.

2 - محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 2002م، ص11.

3 - حافظ إسماعيل علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، ط2، 2014، ص31.

وهنا يرى "حافظ إسماعيل علوي" أنَّ التداولية حقل معرفي يشترك مع اللسانيات وعلم التواصل، وكأنه حلقة وصل بين العلمين، لذلك لابد من إعطاء هذا العلم أهمية من خلال البحث في جوانبه المختلفة ومحاولة اكتشاف علاقة باللسانيات.

2- نشأة التداولية وتطورها:

إنَّ أول من استخدم مصطلح التداولية هو الفيلسوف الأمريكي "تشارلز موريس Charles Morris"، حيث كانت التداولية عنده واحدة من أهم الفروع التي يقوم عليها علم العلامات أي السيميائية وهذه الفروع هي:

- علم التركيب: وهو يعني دراسة علاقة الرموز والتعبير بعضها ببعض.
- الدلالة: وهي دراسة الرموز وعلاقتها بما تشير إليه.
- التداولية: دراسة الرموز وعلاقتها بمستخدميها (1).

ويشير "محمود أحمد نحلة" إلى أنَّ نشأة الدراسات التداولية لم تكن إلا حديثاً وذلك من خلال قوله: "التداولية لم تصبح درساً يُعتمدُ به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أوكسفورد، وهم: "جون أوستين John Austin" و "جون سيرل John Searle" و "بول غرايس Paul Grice". وقد كانوا من مدرسة اللغة الطبيعية، ومن الغريب أن أحداً منهم لم يستعمل مصطلح التداولية فيما كتب من أبحاث (2).

وما أمنتجه هنا هو أنَّ التداولية لم تظهر إلا حديثاً على يد فلاسفة اللغة الطبيعية من مدرسة أوكسفورد الأمريكية.

إنَّ أبرز تيار كان له الفضل في ظهور المنهج التداولي هو تيار "الفلسفة التحليلية" الذي نشأ في العقد الثاني من القرن العشرين في النمسا على يد الفيلسوف الألماني "فريجة"،

¹ - Levinson, S.C. (1983): Pragmatics. Cambridge University Press. P1

نقلا عن: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 09.

² - محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 109.

حيث مثلت دروسه في الجامعة الألمانية مورداً لطلاب الفلسفة والمنطق، وكان الاتجاه التحليلي آنذاك هو الاتجاه البارز والغالب في الفلسفة المعاصرة، لأنه ركز على دراسة اللغة، فهو بذلك حاول تغيير مهمة الفلسفة وموضوعها وممارستها.

وقد سار على نهج الفيلسوف الألماني "فريجة"، الفيلسوف النمساوي لودفيغ فيثغنشتاين Ludwig Wittgenstein حيث انتقد هذا الفيلسوف مبادئ الوضعانية المنطقية، مؤسساً بذلك اتجاهها جديداً سماه "فلسفة اللغة العادية" وقد تناولت هذه الأخيرة الحديث عن المعنى في كلام الإنسان العادي.

وإنَّ أهم ما ميز الفلسفة التحليلية التي أتى بها " فيثغنشتاين " هو: بحثها في المعنى وذهابها إلى أن المعنى ليس ثابتاً ولا محدداً وإضافة إلى هذا تجنبت البحث في المعنى المنطقي الصارم، وقد أثر هذا الاتجاه الفلسفي الجديد في العديد من الباحثين من بينهم: "أوستين" و "سيرل"، حيث انطلق هؤلاء الفلاسفة من نقطة مفادها أنه من أجل أن يفهم الإنسان ذاته وعالمه الذي يعيش فيه وتحيط به يجب أولاً أن ينطلق من فهمه للغة (1).

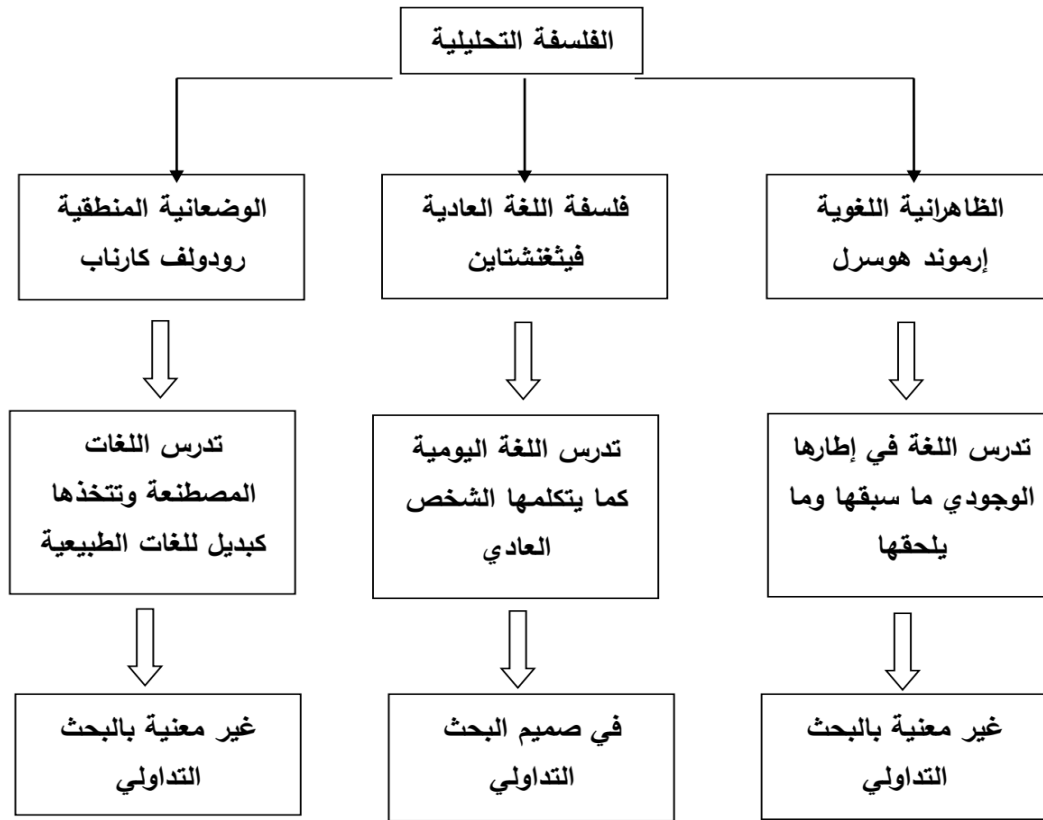
وقد قامت الفلسفة التحليلية باعتبارها توجهاً فلسفياً جديداً على مجموعة من الرؤى يمكن أن أجمالها في ثلاث نقاط أساسية وهي:

- ضرورة التخلي والابتعاد عن أسلوب البحث الفلسفي الكلاسيكي القديم الذي يهتم بالكشف عن كل ما هو ميتافيزيقي.
- تغيير اهتمام الفلسفة من موضوع المعرفة وبحثها فيه إلى موضوع تحليل اللغة باعتبارها أهم.
- لفت النظر إلى بعض المباحث اللغوية التي مسها نوع الإهمال خاصة الجانب الدلالي والظواهر التي تتفرع منه.

وقد انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة توجهات كبرى تمثل لها بالمخطط التالي: (2).

1 - ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص17، 20.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 22.



نرى بأنه انطلاقاً من الفلسفة التحليلية نشأ تيار فلسفة اللغة العادية الذي عُدَّ البذرة الأولى لنشأة البحث التداولي والتي كان لها الفضل في ظهور ما يعرف بنظرية أفعال الكلام.

3- مجالات بحث اللسانيات التداولية:

إنه لمن الصعب جداً حصر الموضوعات التي يهتم البحث التداولي بدراستها، وهذه الصعوبة ترجع أساساً إلى ظروف نشأة هذا المجال البحثي، كما ترجع أساساً وبالدرجة الأولى إلى النقطة الأساسية التي يبحث فيها هذا العلم وهي: المعنى داخل السياق الخاص بالاستعمال اللغوي بين متكلم ما ومتلقي ما، وبالتالي فهذا الجانب البحثي تميز بالتشعب والانتساع، وهذا جعل من إمكانية حصر مجال بحث هذا العلم صعباً جداً، لكن هناك من العلماء من اتفق على عدة جوانب جعلوا منها مرتكزات ومجالات لهذا البحث التداولي وهذه المجالات تتمثل في الآتي:

3-1-الإشارات:

إنَّ اللغات الإنسانية تحتوي على العديد من الكلمات التي تحمل دلالات معينة معجمية كانت أم من خلال وضعها في تراكيب معينة، وفي نفس الوقت تحتوي على كلمات يصعب التعرف على دلالتها ومن أمثلة هذه الكلمات: أسماء الإشارة، لأننا لا يمكننا معرفة ما تشير إليه ما لم نعرف: كل من المتحدث والى ماذا يشير، فمثلا في عبارة: " لن أكرر هذا الفعل إن شاء الله"، يصعب علينا تحديد دلالة اسم الإشارة "هذا" لأننا لا نعرف المتكلم والمتلقي ولذلك يبقى اسم الإشارة مبهما لنا.

وهذا يعني أن هذه الألفاظ غير مستقلة عن السياق وتبقى متغيرة بتغيره، ولا يمكن إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه، وتختلف هذه المؤشرات فقد تكون زمانية مثل: " أنت، هو، أنا " (1).

3-2-الافتراض المسبق أو السابق: " الاقتضاء" يُعنى الاقتضاء أو الافتراض المسبق

بالمعلومات المشتركة بين طرفي الخطاب أي: المتكلم والمتلقي، ويقصد بها المعروفة سابقا أي المعلومات التي يمتلكها المتلقي قبل أن يوجه له المتكلم الكلام (2).
فمثلا إذا قال متكلم لمخاطب آخر: أغلق النافذة، فمن المفترض سلفا أن النافذة مفتوحة، وأن هناك مبرراً يدعو إلى إغلاقها، وأن المتلقي يستطيع القيام بالحركة ليتمكن من تنفيذ الفعل الذي هو الإغلاق، وأن المتكلم في منزلة تسمح له بإعطاء أمر للمتلقي، وكل هذه الافتراضات لها صلة مباشرة بسياق الموقف أو هناك من يسميه بسياق الحال، إذن للافتراض المسبق أهمية بالغة في العملية الاتصالية، كونه جوهر السياق.

3-3-الأفعال الكلامية:

هناك من يطلق عليها اسم نظرية الأفعال اللغوية، ويُعدُّ "جون أوستين" أول من نبّه

1 - محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث الغوي المعاصر، ص17.

2 - على محمود حجي الصراف: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة -دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، ص9.

عليها من الفلاسفة المعاصرين الذين برزت أسماؤهم في مجال البحث التداولي، ثم نضجت النظرية في مرحلة لاحقة على يدي تلميذه "جون سيرل"، وتقوم هذه النظرية على فكرة أو مبدأ أن المتكلمين لا ينطقون جملاً للتعبير عما في نفوسهم فقط بل أحياناً يؤدون أفعالاً عن طريق نطق هذه الجمل، ومعنى هذا أن تلفظ الإنسان بكلمة ما لا تتوقف عند النطق بها بل تتضمن فعلاً ما، ولهذا أطلق عليها اسم نظرية الفعل الكلامي (1).

3-4- الاستلزام الحواري:

لقد ارتبط مصطلح الاستلزام الحواري بالفيلسوف "بول غرايس" من خلال محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفرد سنة 1978، حيث كانت هذه المحاضرات هي النقطة الأولى في دراسات "غرايس" فقد حاول من خلالها الإجابة عن مجموعة من التساؤلات التي شغلت تفكيره والتي تتعلق بالحوارات بين الأشخاص، فقال: إنّ الناس في حواراتهم قد يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، ومن هنا انطلق في دراسته حيث وجد أن التعبير يحمل معنى صريحاً يصل إليه المتلقي فور سماعه للكلام، كما أنه يحمل في نفس الوقت معنى متضمناً يحمله هذا القول ومن هنا أنشأ ما يسمى بالاستلزام الحواري (2).

وقد لخص "بول غرايس" القواعد التي تحكم الاستلزام الحواري فيما يلي:

- الاستلزام يمكن إلغاؤه.
- الاستلزام متصل بالمعنى الدلالي لما يقال.
- الاستلزام متغير.
- الاستلزام يمكن تغييره (3).

3-5- نظرية الملازمة:

لقد رسم معالم هذه النظرية كل من الفرنسي "دان سبربر" والانجليزي "ديردر ولسن"

1 - ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص 35.

2 - ينظر: على محمود حجي الصراف: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 10.

3 - المرجع نفسه، ص 11.

وتقوم على مبدأ: المزوجة في الترميز والاستدلال في عملية تأويلنا للخطابات وذلك لكي تُتَّيحَ لنا كلاماً واضحاً يفهمه المخاطب، فيسعى هذا المثير بدوره إلى تحفيز مجموعة من الافتراضات المحتملة واضحة بالنسبة للمتلقي.

تقوم هذه النظرية على "السياق"، لكن السياق عندها ليس عبارة عن معلومات معطاة وواضحة وإنما هو بنية مؤلدة من افتراضات سياقية مستمدة من تأويل الأقوال السابقة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ترتبط نظرية الملاءمة بالمحيط الفيزيائي الذي يؤثر العملية التواصلية (1).

4- علاقة المنهج التداولي بالحقول المعرفية الأخرى:

تبحث اللسانيات التداولية في المعنى، هذا ما جعل منها ملتقى للعديد من الدراسات سواء أكانت أدبية أم فلسفية، لأن كل الدراسات على اختلاف مشاربها تلتقي في نقطة واحدة ألا وهي "المعنى" ولأنه من أجل البحث عن المعنى يجب تداخل كل العلوم. يرى "مسعود صحراوي": أن التداولية عبارة عن حلقة وصل بين حقول معرفية متعددة أهمها علم النفس المعرفي وعلم الدلالة (2).

4-1- علاقة التداولية بحقل علم النفس المعرفي:

تتمثل العلاقة بين اللسانيات التداولية وحقل علم النفس المعرفي في: دراسة التداولية ونظرتها لبعض المباحث في علم النفس المعرفي ومن بينها: دراستها للآليات المعرفية التي هي أصل معالجة الملفوظات وفهمها، وتبحث كذلك في القدرات الذهنية التي تعالج التضمينات والافتراضات المسبقة وتحللها، وترتبط في هذا الأخير كذلك بعلم اللغة النفسي*،

1 - نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2009، ص 2.

2 - ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص 22.

* علم اللغة النفسي: يدرس علم اللغة النفسي -وهناك من يطلق عليه اسم اللسانيات النفسية- العمليات العقلية للفهم والإدراك، وذلك باعتماده على أدوات يستقيها من اللسانيات وأخرى من علم النفس. كما يحاول الإجابة عن العديد من الأسئلة، والتي منها: كيف يكتسب الإنسان اللغة؟ وكيف يفهمها؟ وكيف ينتجها؟

وعلاقته بالسياق وكيف أنه يساعد على تذكر الكلمات عند ربطها بسياق معين قِيلَتْ فيه (1).

4-2- علاقة التداولية باللسانيات البنيوية:

يشارك الدارسون في القول: إِنَّ مهمة اللسانيات: تتمثل في دراسة طرق التنظيم بين مجموع الأصوات ومجموع المعاني أي بين الشكل والمعنى، في حين أَنَّ التداولية أو البعد التداولي يتجاوز ذلك إلى أشياء أخرى منها مظاهر الاستدلال في اللغة والتضمن والاختصاص... إلخ، ويرى "مسعود صحراوي" أَنَّ "التداولية ليست مكونا من مكونات اللسانيات البنيوية، لأنها لا تُعدُّ المرحلة الأخيرة في التحليل اللساني، وليست التداولية نظرية للخطاب، كما يقال عن اللسانيات البنيوية أنها نظرية للجملة فتقابلها أو تكملها، كما يقول بعض الباحثين، بل التداولية أداة لتبسيط اللسانيات، وبالتالي ليست كل الظواهر التي تدرسها اللسانيات التداولية مهمة ومتروكة من طرف اللسانيات البنيوية، ضف إلى ذلك أَنَّ اللسانيات التداولية تقوم بإزالة الغموض عن عناصر التواصل اللغوي وشرح طرق الاستدلال ومعالجة الملفوظات(2).

وإنَّ المتأمل في هذا الرأي ليجد أن "مسعود صحراوي" ينفي صفة تبعية التداولية لللسانيات البنيوية بل يؤكد أن هذا العلم الجديد أو التداولية اهتم بدراسة الاستعمال اللغوي على نطاق أوسع.

4-3- علاقة التداولية بعلم الدلالة:

تتداخل التداولية مع علم الدلالة في نقطة أساسية ومشاركة بينهما ألا وهي "المعنى" فكلاهما يبحث في كيفية الوصول إلى المعنى وإدراكه إلاَّ أنهما تختلفان في كيفية التي تعتمد كل منهما، فعلم الدلالة يعتمد على المعاني الحرفية في التركيب اللغوي للوصول إلى المعنى أمَّا التداولية فتعتمد المعاني الحرفية إضافة إلى السياق؛ أي ما يحيط بهذا الملفوظ

¹ - الثامري عادل: التداولية ظهورها وتطورها، الموقع: <http://www.djelfa.info/vb/showthread.php>

بتاريخ: 2021/10/10.

² - ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص 27.

اللغوي الحرفي من ظروف أدت إلى إنتاجه، وقد صنف الباحثون اللغويون علم الدلالة ضمن ما يُعرَفُ "بقدرة معرفة اللغة" أما التداولية فتُصنَّفُ ضمن الأداء اللغوي أو الإنجاز أي الاستخدام الفعلي لهذه اللغة⁽¹⁾.

ويرى "بالمير" أن التداولية تختلف عن علم الدلالة لذلك نحن بحاجة إلى التمييز بين المعنى الاعتيادي للكلمة أو الجملة ومعناها في ظروف محددة خاصة، ويسمح هذا التمييز بأن نقول شيئاً ونعني شيئاً آخر، ومن هنا يمكننا أن نصرح بأن المقام أو السياق ومراعاته هو المعيار الأساسي الذي يسمح لنا من التفريق بين ما هو دلالي وما هو تداولي⁽²⁾.

4-4- علاقة التداولية باللسانيات الاجتماعية:

لقد أسهمت التداولية بشكل كبير في تطوير علم اللسان الاجتماعي، وذلك من خلال الدور الكبير الذي أدّته في تحليل المحادثات والحوارات والخطابات الاجتماعية، وبنّت التداولية الدور البالغ للعوامل الاجتماعية في تحديد صيغ المخاطبات بين أطراف العملية الاتصالية⁽³⁾.

إن ما يمكن قوله: هو أن التداولية نشأت كردة فعل على اللسانيات البنيوية التي تجاهلت المكون الاجتماعي للغة.

¹ - ينظر: جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، بغداد، العراق، دار الشؤون العامة، ط1، 1987م، ص32.

² - ينظر: خالد جليل: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص 122، الموقع:

<http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php.30254> ، بتاريخ 2022/12/25.

³ - ينظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، دت، ص35.

المبحث الثالث: في اللسانيات العرفانية (العرفنية)

1- مفهوم اللسانيات العرفانية (العرفنية):

1-1- العرفان لغة: العرفان لفظ مشتق من الفعل الثلاثي الصحيح "عرف"، حيث ورد في معجم "تهذيب اللغة للأزهري" (ت370هـ): "عَرَفَ يَعْرِفُ عِرْفَانًا ومعرفة، وأمر عارف: معروف وعريف (1).

وفي لسان العرب لابن منظور: "عرف العرفان: العلم... عَرَفَ وعِرْفَانًا يَعْرِفُهُ عِرْفَةً وعِرْفَانًا ومعرفة وإعترفه... ورجل عروف وعروفة: عارف يعرف الأمور ولا ينكر أحدا رآه مرة... والعريف والعارف بمعنى مثل عليم وعالم" (2).

وجاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي (ت817هـ): عَرَفَهُ يُعْرِفُهُ معرفة وعِرْفَانًا وعِرْفَةً بالكسر عِرْفَانًا بكسرة مشددة الفاء: علمه، فهو عارف وعريف وعروف (3).

أما معجم الوسيط فيعرف مادة عرف قائلا: "عَرَفَ الشيء عرفانا وعِرْفَانًا، ومعرفة: أدركه بحاسة من حواسه فهو عارف وعريف، وهو عروف" (4).

إن الملاحظ لهذه التعريفات اللغوية يجد أنها تشترك فقط في أن "العرفان" يعني المعرفة غير أن كلا من معجمي لسان العرب ومعجم القاموس المحيط شرحا لفظ "عرف" ليشمل معنى العلم والمعرفة في آن واحد أي أن العرفان هو مزج بين كل من المعرفة العامة والعلم الذي يختص بشيء ما.

وإن المطلع على كتاب "المقدمة" لابن خلدون (ت808هـ) ليجد أنه قد تناول دور الذهن في اكتساب الملكة اللغوية للفرد أو لمتعلم اللغة حيث يقول: "إن مباحث العلوم كلها

1 - محمد بن أحمد (أبو منصور الأزهري): تهذيب اللغة، تح: علي النجار، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، د ط، دت، مادة (عرف).

2 - جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور): لسان العرب، مادة "عرف".

3 - مجد الدين بن يعقوب (الفيروز أبادي): القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دار الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، ط1، مادة "عرف".

4 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية للنشر، القاهرة، مصر، ط4، 2004م، ص595.

إنما هي في المعاني الذهنية والخيالية واللغات إنما هي ترجمان عما في الضمائر من ذلك المعاني ... وممارسة البحث في العلوم لتحصيل ملكتها بطول المران على ذلك " (1).

وإن المتمعن لهذا القول ليرى أن ابن خلدون تكلم عن العلاقة التي تربط اللغة بالذهن والدليل على ذلك قوله: " اللغات إنما هي ترجمان عما في الضمائر"، فهو يؤكد على علاقة التكامل الموجودة بين اللغة والذهن منذ عصور خلت وسبقت زمان العلم العرفي.

1-2-العرفان اصطلاحاً:

العرفان هو ذلك النشاط الذهني الذي يضم مجموع العمليات الذهنية التي لها دورها الهام في استقبال المعلومات وتخزينها، ومن ثم معالجتها وتوظيفها متى استدعت الضرورة ذلك، وتجدر الإشارة هنا أن عملية المعالجة الذهنية للمعلومات هي عملية تخضع لمستوى الوعي واللاوعي معاً، حيث يقول " توفيق قريرة": العرفان هو العملية الذهنية المتعلقة بالمعرفة المقصودة وأقصد بالمعرفة عموماً النشاط الواعي واللاوعي للإنسان، وهنا تتدرج جميع الأنشطة المتعلقة بالذهن كانت كالأكل والأكل واللعب والضحك أو غير مرئية كالتفكير والتذكر... " (2).

إذن فالعرفان هو مختلف العمليات الذهنية التي تحقق بمعرفة لدى شخص ما سواء أكانت ناتجة عن قصدٍ لنشاط معين أم لا.

وتؤكد "باسكال ميشلون" أن للعرفان صلة بالذهن حيث تقول: " إنَّ للعرفان صلة بما يفهمه الإنسان أو يفعله في الكون وهو مجموعة القدرات والأعمال التي هي جزء من أي عمل بشري، والقدرات العرفانية هي مهارات ذات أساس ذهني تحتاج أن ننفذها عند القيام بأي مهمة من أبسطها إلى أكثرها تعقيداً " (3).

¹ -عبد الرحمان بن محمد (ابن خلدون): المقدمة، تح: علي عبد الواحد الوافي، مطبعة الهيئة المصرية، ط1، 2006، ص1125.

² -توفيق قريرة: الشريعة العرفانية مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعرية قديمة وحديثة، دار نهى، صفاقس، ط1، 2015، ص71.

³ - المرجع نفسه، ص 71.

الفصل الأول (تمهيدي):المرتكزات النظرية للدراسة: المعنى، التداولية، العرفانية.

وقد أوضحت "ميشلون" هذا القول بالمثال التالي: وهو كيفية الرد على الهاتف باعتباره جزءاً من النشاط اليومي الذي يقوم به الإنسان، حيث تتطلب هذه العملية جملة من العمليات الذهنية أولها: (سماع صوت جرس الهاتف)، واتخاذ القرار (الرد أو عدم الرد)، ثم بعد ذلك المهارة الحركية (الضغط على الزر المناسب) ثم المهارة اللغوية (التكلم أو الفهم) والمهارة الاجتماعية (التفاعل في الحديث مع الشخص الآخر) (1).

وانطلاقاً من الإطلاع على هذا المثال يمكننا القول: إن العرفان هو القدرة التي يملكها الذهن والتي تساعد على معالجة المعلومات في الذاكرة واتخاذ القرارات وتنفيذ الأعمال وهذا يدل على أن عملية إدراك الإنسان للمعلومات والأشياء هي عملية على درجة عالية من التعقيد حيث يتم على مستواها معالجة المعلومات، معالجة يكون الإنسان غير واع بها.

1-3- تعريف اللسانيات العرفانية:

يُعرف "جورج لاكوف" George Lakoff "العلم العرفاني في كتابه "النساء والنار والأشياء الخطرة" بقوله: "العلم العرفاني هو حقل جديد يجمع بين ما هو معروف حول الذهن ضمن العديد من التخصصات الأكاديمية مثل: علم النفس واللسانيات والأنثروبولوجية والفلسفة وعلم الحاسوب، ويسعى هذا العلم للإجابة على تساؤلات من قبيل: ما هو العقل؟ وكيف نعطي معنى لتجربتنا؟ وما هو النظام التصوري؟ وكيف ينتظم؟ وهل جميع البشر يستخدمون نفس النظام التصوري؟ فإذا كان الأمر كذلك، فما هو هذا النظام؟ وإن لم يكن كذلك، فما المشترك في طريقة التفكير عند كل الكائنات البشرية؟ هذه الأسئلة ليست بجديدة وإنما الجديد يكمن في بعض الأجوبة الراهنة عنها" (2).

إذن فالعلم العرفاني هو علم تشترك وتتضافر فيه مجموعة من العلوم والتخصصات التي تهتم الدراسات التي لها علاقة بالجانب العقلي.

¹ -توفيق قريرة: الشعرية العرفانية مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعرية قديمة وحديثة، ص71.

² - george lakoff: women, fire ,and , dangerous things ,what categories revel about the university of chicago presse, chicago and london, 1987,p(xi) ,(perfex).

ومن هنا فاللسانيات العرفانية تهتم بدراسة اللغة في ضوء العمليات الذهنية العرفانية، حيث يتضافر فيها الذهن والذكاء مع العلوم الأخرى كالفلسفة وعلم النفس وعلوم الأعصاب واللسانيات والأنثروبولوجيا (1).

2-المرجعيات التاريخية والأسس الفلسفية للعلم العرفني:

2-1- المرجعيات التاريخية:

يحدد "جاردنر" gardner بداية الثورة العرفانية بعام 1948 م، وهو العام الذي عقد فيه مؤتمر حول الميكانيزمات المخية للسلوك في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، حيث كان مخصصاً لدراسة كيفية سيطرة العقل أو الجهاز العصبي على السلوك وكان هذا المؤتمر بمعيته نخبة من الباحثين في المجال.

وقد كانت مداخلات "كارل لاشلي Karl Lashley" أستاذ علم النفس العصبي التي قدمها في جامعة هارفارد الأمريكية من أهم المداخلات، حيث تناولت مشكلة التسلسل التتابعي في السلوك، وهذه أول محاولة لمقاطعة المسلمات التي تقوم عليها المدرسة السلوكية، حيث رأى "لاشلي" أن أي نظرية تدرس السلوك البشري (2) لا بد أن تكون لها القدرة على تفسير السلوك اللغوي المعقد مثلاً أو تفسير ممارسة رياضة مثلاً.

فجاء هذا المؤتمر في جو ساد فيه البحث في الولايات المتحدة الأمريكية منطلقاً من قناعة مفادها أن الدراسات التي قدمتها السلوكية حول القضايا التي يثيرها العقل البشري غير مقنعة، ومن هنا جاءت الدراسات التي أعادت الاعتبار للجانب الذهني والعقل ومن بين العوامل المهمة التي أثّرت كذلك في ظهور العلم العرفني كحقل جديد ما يلي:

- اختراع الحاسوب: فقد كان للبريطاني "آلان تورنج alanturning" الفضل في توضيح وشرح خصائص هذه الآلة بالنسبة للعقل البشري، حيث قام بتصميم ما أصبح يُعرف

¹ - عز الدين عماري، الربيع بوجلal: مفاهيم لسانية عرفانية، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مج: 03، العدد 3، 2019 م، ص64.

² - محمد طه: علم المعرفة -آفاق جديدة في دراسة العقل - مجلة عالم الفكر، م: 01، العدد 1، 2006/09/01 م.

فيما بعد بما كتبه آرلان تورنج، حيث يمكنها القيام بأية عملية حسابية.

- جهود "توربرت وينر" "norbert winer": في نظرية الضبط والاتصال، وقد تأثر وينر بالتطورات في عصره مثل: هندسة الاتصال والجهاز العصبي وعلم الكمبيوتر، وكان يرى حسب مشروعه وجود نقطة مشتركة بين هذه المجالات لكنه لم يتوصل إليها.
- نظرية المعلومات: تتلخص هذه النظرية بأنها تمدنا بوسيلة لتقسيم كمية المعلومات المتاحة في كل نقطة داخل نظام الاتصال من أجل التعرف على ظروف أو متغيرات تزيد وتتنقص من احتمالية انتقال المعلومات، ويرجع الفضل في تطوير هذه النظرية الى الباحث شانون (1).

- أما العامل الرابع والأخير الذي ساهم في ظهور العرفانية، وهو التطور الذي شهده علم الأعصاب وعلم النفس العصبي في أواخر الأربعينات، حيث قدمت الحرب العالمية الثانية فرصة لباحثين في علم النفس المعرفي والعصبي لدراسة طبيعة "المخ" وذلك نتيجة لتوفر عدد كبير من الإصابات المخية نتيجة الحرب.
- وما يمكننا قوله هنا هو أن هذه العوامل مجتمعة جميعها أدت الى ظهور حقل العلم المعرفي أو العرفي كعلم مستقل بحد ذاته في منتصف خمسينات القرن الماضي وبالتحديد عام 1956م، ثم تتابعت الدراسات والأعمال في هذا المجال وبدأت تأخذ طابع الاستقلالية خاصة عام 1960م، حيث أنشا مركز الدراسات المعرفية بجامعة هارفارد الأمريكية على يد العالمين "برونر" و "ميلر".

ومع بداية السبعينات كانت مرحلة بداية نضج العلم العرفي حيث نُشرَ كتاب يحمل عنوان "علم النفس المعرفي" لمؤلفه "نيسر" "neisser" (2).

¹ - ينظر: عدنان يوسف العتوم: علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 2012 م، ص 24.

² - المرجع نفسه، ص 26.

2-2- الأسس الفلسفية للعرفانية:

عُدَّت العرفانية علمًا أعاد الاعتبار للعقل وثورة علمية على التقليد السلوكي، الذي أشار إليه العالم والمؤرخ الفيزيائي "توماس كون T.Kuhn في كتابة بنية الثورات العلمية والذي استعرض عددا كبيرا من الأمثلة حول تطور العلوم الطبيعية، مفادها أن مسار العلم لا يمضي بشكل تراكمي في اتجاه واحد بل في مسارات دائرية وهذا التقدم العلمي يمضي محكوما بنموذج إرشادي عام في أي فرع من فروع العلم⁽¹⁾.

لقد مثل العلم العرفي أو المعرفي ثورة علمية على النموذج الإرشادي الذي كان سائدا في دراسة العقل حتى ستينات القرن الماضي، وقد تمثلت هذه الدراسة في المدرسة النفسية السلوكية والتي تقيم افتراضاتها على ثلاث قضايا أساسية وهي:

- الحتمية: ومعناها أن أفكار الإنسان ومعتقداته وأفعاله محددة من خلال قوى خارجية لا تخضع لسيطرته الخاصة.
- رفض الاستبطان كمنهج للبحث.
- إضافة الى فكرة المصاحبة الثانوية والتي تقصد بها المدرسة السلوكية: أن كل حالة شعورية أو فكرة مثلا إنما هي نتاج ثانوي لأحداث ميتافيزيقية في الجسم أو كذلك في العالم الخارجي⁽²⁾.

- وقد أدى عجز التفكير السلوكي عن تفسير بعض الظواهر المهمة كالتفكير والإبداع وغيرها إلى إعادة النظر في هذا النموذج الإرشادي السلوكي، فظهرت الثورة المعرفية التي قدمت فكرة جديدة، وهي إعادة الاعتبار للعقل البشري، من خلال فهم أفعال الإنسان كأفعال ذات معنى تؤديه وليست فقط عبارة عن حركات عشوائية قائمة أساسا على المثير والاستجابة.

¹ -حمدي على الفرماوي: في علم النفس المعرفي الأساليب المعرفية بين النظرية والتطبيق، دار صفاء، عمان، ط1، 1430 هـ، 2009م، ص13.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 15.

3- إسهامات بعض العلوم في مجال اللسانيات العرفانية:

3-1- إسهامات علم النفس المعرفي في مجال اللسانيات العرفانية:

الإسهام الرئيس لعلم النفس المعرفي في حقل العلوم العرفانية هو إعادة مفاهيم (الذكاء، التفكير، الإدراك، الذاكرة، وغيرها من الموضوعات) إلى دائرة البحث العلمي، حيث يُعدُّ كل موضوع من هذه المواضيع مجالا للبحث والمعرفة وكذلك إعادة النظر الى العقل باعتباره صندوقا أبيض يمكن رؤية ودراسة ما بداخله، فهو بذلك ينفي ما ادعته وزعمته السلوكية التي ألغت دوره وأنه مجرد صندوق أسود لا يحتوي على شيء أو يحتوي أشياء لا يمكن دراستها (1).

ومنه فعلم النفس المعرفي قد ركز على عمليات أو وسائل المعرفة ويعيد الاعتبار لعملية التفاعل بين الإنسان والبيئة ويركز على دور العقل في هذا التفاعل وهنا أضاف علم النفس المعرفي نوراً جديداً اشتقت منه اللسانيات المعرفية يناهض دراستها.

3-2- إسهام الذكاء الاصطناعي:

أسهم علم الذكاء الاصطناعي في حقل اللسانيات العرفانية إسهامين رئيسيين هما:

- قدّم مفهوماً جديداً للعقل، الذي يتمثل في معالجة المعلومات، فالإنسان أو جهاز الكمبيوتر أو الحاسوب لا يتفاعل مع العالم فقط من خلال فكرة المثير والاستجابة، فبفضل هذا التطور في الذكاء الاصطناعي أصبح علم الحاسوب يعالج عمليات مثل التفكير مثلاً: التعلم، التخزين، التجريد والاسترجاع بشكل ملموس من خلال المكونات الصلبة لجهاز الحاسوب.

- وضع اختبار النظريات حول العمليات المعرفية الوسيطة لدى الإنسان في صور برامج محاكاة تحاكي هذه العمليات، فيصمّم برنامج الحاسوب بحيث يكون قادراً على القيام ببعض العمليات المعرفية كحل المسائل الرياضية وأهم النصوص المعقدة، وبالتالي يتنبأ

¹ - ينظر: علي عبد الرحمن صالح وآخرون: ومضات في علم النفس المعرفي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013م، ص 18.

هذا النموذج بمواضع قوة وضعف العقل البشري أثناء أداء هذه العمليات ورغم المشكلات التي تنتج عن الذكاء الاصطناعي وخاصة في إغفاله للجوانب الانفعالية والثقافية في العمليات المعرفية فإنه يظل أحد أهم الركائز الأساسية للعرفانية (1).

3-3- إسهامات الأنثروبولوجيا في حقل العرفانية:

تتلخص إسهامات الأنثروبولوجيا في الحقل العرفاني من خلال وجود فرع الأنثروبولوجية العرفانية، والتي تبحث في علاقة الثقافة بالذهن، كما تبحث في التمثلات التي يقيمها البشر في الثقافات المختلفة عن محيطهم وعلاقتهم به، وبذلك تكون الثقافة نظام جماعي، من خلال حقائقتها وجود اختلافات ثقافية في الإدراك، والذاكرة والاستدلال كما أنها تدرس مقولة الاستيلاء وتسمية الألوان وإدراكها عبر الثقافات، ومن مبادئها التي تتقاطع مع العلم العرفاني، قولها : إن الفكر مسير ثقافيا، فالبشر مثلا يختلفون في تصنيف الأشياء باختلاف الثقافة وهذا الاختلاف يبين تموضع العرفنة تموضعا اجتماعيا، كما كان من اهتمامات الأنثروبولوجيا العرفانية دراسة الخطاطة والأنماط الثقافية (2).

وبهذا تكون الأنثروبولوجيا أحد أهم العلوم التي أسهمت في تطوير العرفانية وإثراء موضوعاتها والبحث في كثير من الإشكاليات المتعلقة بالثقافة باعتبارها نظاما عرفانيا اجتماعيا.

3-4- إسهامات اللسانيات في الميدان العرفاني:

بدأ إسهام اللسانيات العرفانية حينما دحض "توم تشومسكي" التفسير السلوكي لاكتساب اللغة من خلال التعزيز والعقاب؛ أي تعزيز الاستجابة الصحيحة وعقاب الاستجابة الخاطئة، وكان رده على ذلك أن جميع الأطفال الأسوياء يكتسبون لغاتهم القومية في سن متقارب مع عدم الاكتراث للبيئة التي يعيشون فيها، بل الأطفال ينتجون جملا وفق ما يتعلمونه من هذه البيئة، وقد توصل تشومسكي الى أن اللغة عبارة عن بيئة معرفية ذات

1 - آلان بونيه: الذكاء الاصطناعي، تر: علي صبري فرغلي، عالم المعرفة الكويت، د ط، 1993 م، ص 13.

2 - الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفانية، الدار العربية للعلوم ناشرون، تونس، ط1، 2010 م، ص 46.

أساس بيولوجي أو فطري، وطريقة فهم وإنتاج واكتساب اللغة تتبع قوانين هذا النسق. والإسهام الثاني والرئيس هو أن اللسانيات تحدث التعاون بين اللسانيين وبين المختصين في مجال الذكاء الاصطناعي، وهو ما نتج عنه ما يعرف الآن بعلم اللسانيات الحاسوبية الذي يهدف إلى دراسة استخدام الحاسوب في معالجة اللغة، إذ يسعى الباحثون في هذا المجال إلى تطوير برامج لفهم وترجمة النصوص (1).

3-5- إسهامات الفلسفة في العرفانية:

تعد العرفانية مظهراً من مظاهر الصراع الذي يضرب بجذوره في الفلسفة الغربية، وقد تجلّى الصراع في الحضارات الأخرى في اتجاهين رئيسيين وذلك من خلال نظرتهم إلى مشكلة المعرفة.

- **الاتجاه الأمبريقي:** "ومثله فلاسفة الجزر البريطانية مثل لوك Lacke وهيوم Hume ومل Mill الذين يرون أن العقل صفحة بيضاء تتأثر بالمشيرات الخارجية، وتتكون المعرفة بالتالي من الارتباطات بين هذه المشيرات" (2).

- **الاتجاه العقلي:** ويمثله ديكرت الذي يعد مذهباً من أكثر المذاهب الفلسفية صدقاً ووضوحاً في التعبير عن روح العصر، " تمثل فلسفة العقل الآن، عند عدد كبير من الفلاسفة الفلسفة الأولى والمشكلات المتعلقة باللغة والمعرفة والأخلاق والمجتمع والإرادة الحرة والعقلية " (3).

فالفلسفة في معظمها ما هي إلا محاولات للإجابة عن الأسئلة التي تنشأ في عقل الإنسان حين يتأمل ويفكر في ظواهر الكون.

وقد ذهب أصحاب الاتجاه العقلي إلى: " أن طريقة الحصول على المعرفة هي بالتعويل على موارد المنطق والعقل وهذا النوع من التفكير لا يعتمد على معطيات الخبرة بل

1 - ينظر: محمد طه: علم المعرفة آفاق جديدة في دراسة العقل، ص 172

2 - المرجع نفسه، ص 138.

3 - جون سيرل: العقل واللغة المجتمع، تر: سعيد الغانمي، دار العربي للعلوم، الدار البيضاء، الجزائر، ط1، 2006م، ص

- ينطلق من الحقائق الأساسية التي يطلب أن تكون موجودة وليست نابعة من الخبرة⁽¹⁾.
- وقد مثل هذا التيار فلاسفة أوروبا خاصة ديكارت وكانط وتلخصت نظريتهم العقلية في:
- وجود مقولات عقلية فطرية في العقل الإنساني مسؤولة عن المعرفة.
 - العرفانية تقوم على تبني الاتجاه العقلي من حيث وجود دور فعال للعقل والمقولات القبلية أو المتغيرات الوسطية بين المثير والاستجابة.
 - رفض فكرة اعتبار السلوك نتيجة سلاسل متصلة من الارتباطات كما في الاتجاه الإمبريقي⁽²⁾.

3-6-إسهامات علم الأعصاب المعرفي في حقل العلوم العرفانية:

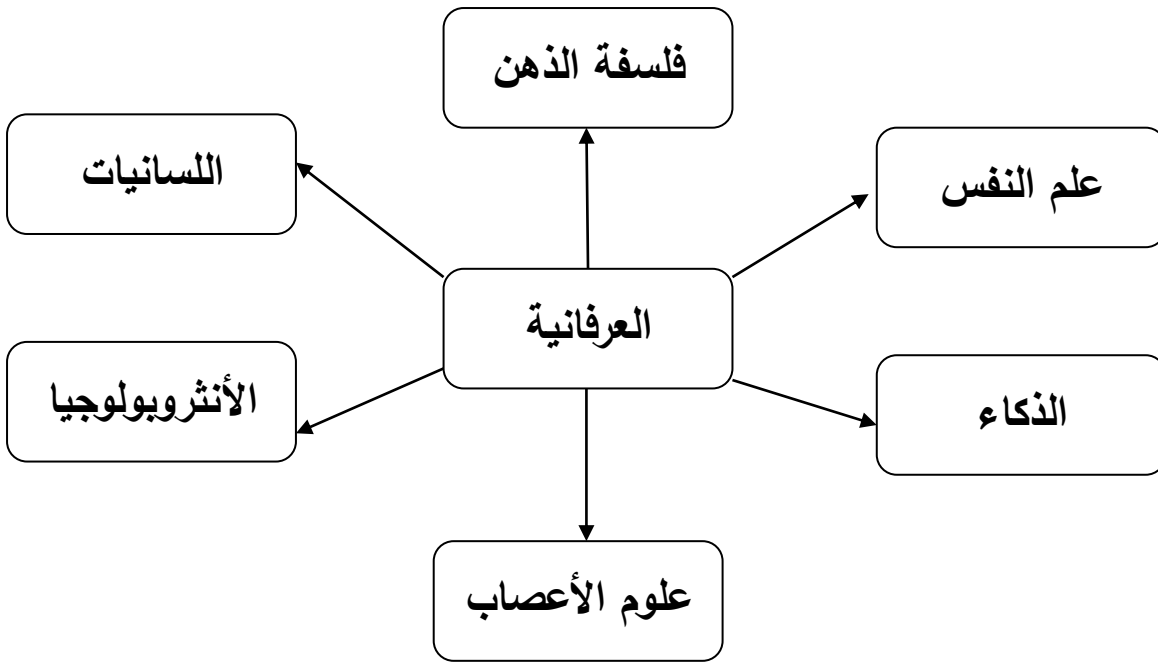
بدأ إسهام علم الأعصاب المعرفي في حقل المعرفة في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي على يد باحثين في علم الوظائف العصبية للأعضاء هما كل من **هيوبل Hubel** والعالم **ويزل Wesel**، حيث توصلا إلى وجود تخصص في الخلايا التي تستجيب للخصائص المختلفة للمثيرات وبالموازاة مع هذين العالمين نجد كذلك بحوث " **روجر سبيري R.Sperry** الذي توصل من خلال بحوثه مع زملائه إلى اكتشاف تمايز بين النصفين الكرويين للمخ ووظائفهما، فالنصف الأيسر من الدماغ متخصص في وظائف اللغة والوظائف التحليلية والنصف الأيمن متخصص في الجانب الحدسي الابتكاري، وفي منتصف الثمانينات تطور هذا الدور في البحث خاصة فيما تعلق بطريقة تفكير الدماغ البشري وكيف أنه يقوم بترجمة هذا التفكير الى وظائف اجتماعية مع باقي الأشخاص⁽³⁾.

والمخطط التالي يوضح علاقة العلم العرفي بمختلف الحقول العلمية والفلسفية الأخرى:

¹ - جوليان باجي: الفلسفة، تر: يوسف شنش، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2010 م، ص 30.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 32.

³ - حيدر لازم الكنائي: علم الأعصاب المعرفي، مجلة الحوار، العدد 4786، الموقع الإلكتروني:



مخطط يوضح علاقة العلم العرفاني بالحقول الأخرى.

4- الأسس العامة لللسانيات العرفانية:

تقوم اللسانيات العرفانية أو كما يسميها البعض اللسانيات المعرفية على أساسين نظريين هما: الموقف الذهني أي "النفسي" والموقف التألفي.

4-1- الموقف الذهني "النفسي":

تعتبر كل نظرية لغوية نظرية ذهنية ونفسية بالنظر إلى هذا الموقف، إذا افترضت أن اللغة موضوع نفسي، وأن بناء التعبيرات اللغوية ليس إلا جزءاً من العمليات النفسية أو الذهنية التي تقوم عليها مختلف القدرات المعرفية لدى الإنسان، لأن الهدف الذي تسعى إليه أي نظرية لغوية نفسية، ليس ربط اللغة مباشرة بالعالم الخارجي كما في النظريات التي تدرس الظواهر البيئية، ولا ربط اللغة بنموذج رياضي ومنطقي كما في نظرية النماذج المنطقية، وإنما هدفها الأساسي هو توضيح الكيفية التي ترتبط بها اللغة والعالم ببعضها في الذهن البشري ومنه تبيان الصورة التي يتعالق بها التمثيل الذهني للجمل والتمثيل الذهني للعالم الخارجي، وتعدّ اللسانيات العرفانية من بين العلوم التي تتدرج تحت هذا الإطار، كونها تتطرق

من مسلمة ذهنية مفادها أن اللغة الطبيعية بنية معلومات مرمزة في الذهن البشري أو هي عبارة عن تمثيل ذهني، ومعنى هذا أن المعلومات التي تحملها اللغة مرسومة في الذهن بطريقة ما وهذه الطريقة خاضعة لتجربته مع الواقع الخارجي، ولكن لا يمكن لهذه المعلومات المتجلية في الذهن أن تميل على العالم الواقعي وإنما تميل على "عالم مسقط" ناتج عن التنظيم الذهني النفسي⁽¹⁾.

ما يمكن قوله هنا هو أن متكلم اللغة عند اللسانيين العرفانيين لا يمكنه التحدث بهذه اللغة لولا امتلاكه تمثيلات ذهنية عنها، وما يمكن أن نشرح به هذا القول مثلاً هو لو أن الشخص "س" لا يملك تمثلاً ذهنياً في ذهن المتكلم "ص" فإن هذا الشخص "س" لا وجود له عند الشخص "ص" لأنه لا يملك تمثلاً ذهنياً يحيله عليه في الواقع.

4-2- الموقف التأليفي:

يمثل هذا الموقف الخاصية الجوهرية التي تتفرد بها اللغة العربية الطبيعية، وخاصية التأليف معناها قدرة متكلميها على خلق عدد لا محدود من الأقوال وفهمها انطلاقاً من التأليف بين عناصر محدودة العدد، وذلك تبعاً لمبادئ معينة أو قواعد نحوية خاصة، وتعتبر هذه الخاصية -أي التأليف- نقطة الوصل بين النسق التوليدي واللسانيات العرفانية، حيث عُدَّ التأليف من الخصائص الجوهرية في تصور النحو التوليدي بمعناه الحديث عند تشوميسكي، الذي انبنى على التطور الذي حصل في التقنيات الصورية لوصف القواعد وأنساق القواعد والذي أُشْتُقَ من العمل المتعلق بأسس الرياضيات خلال النصف الأول من القرن العشرين وهي التقنيات نفسها التي قادت إلى تطوير الحاسوب.

وعندما نضع خاصية التأليف في إطار الموقف الذهني من موضوع اللغة تصبح المسألة كالتالي: بما أن عدد الأقوال الممكنة في اللغة الطبيعية غير محدود، فإن مستعملي

¹ - ينظر: غسان إبراهيم الشمري: عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة، جامعة طيبة، كلية الآداب ببنبع، السعودية، مشاركة ضمن فعاليات المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية بتاريخ: 8 ماي 2014، الإمارات العربية المتحدة،

اللغة لا يمكنهم تخزين الأقوال كلها في رؤوسهم، بل رصد المعرفة اللغوية في ظل طابعها الإبداعي الذي يتطلب مكونين أساسيين هما: أولاً: لائحة محدودة من العناصر البنيوية التي تصلح للتأليف، وهي المعروفة "بالمعجم"، وثانياً: مجموعة محدودة من المبادئ والقواعد للتأليف بين هذه العناصر المعجمية (1).

ونجد كذلك مجموعة من المبادئ المؤسسة التي تميز حقل اللسانيات العرفانية وتعتبر بمثابة القاعدة في أعمال جل اللسانيين المعرفيين "مبدأ التعميم"، ويتعلق بتخصيص الأسس العامة المتحركة في كل ظواهر اللغة الطبيعية، "والمبدأ المعرفي" المتعلق بتخصيص المبادئ اللغوية التي توافق المعارف التي توصل إليها العلم العرفاني عن الذهن أو الدماغ البشري في مجالات علمية أخرى، "ومبدأ التجسيد" المتعلق بمركزية جسد الإنسان وبنيته المعرفية النوعية في تحديد تصوره للعالم المحيط به (2).

5- مبادئ مؤسسة للسانيات العرفانية:

أسست للسانيات العرفانية ثلاثة مبادئ رئيسة وهي: مبدأ التعميم، والمبدأ المعرفي، ومبدأ التجسيد.

5-1- مبدأ التعميم:

يعتبر اللسانيون المعرفيون أن هناك مبادئ تهتم بمختلف مظاهر اللغة، وأن من بين مهام اللسانيات الكشف عنها، فقد قامت دراسة اللغة في اللسانيات الحديثة في الغالب على الفصل بين مجالات الدراسة للجوانب اللغوية كالصوات (أي دراسة الأصوات) والدلالة (أي دراسة معنى الكلمات والجمل) الذريعات (أي المعنى في السياق) والصرف (لبنية الكلمة) والتركيب (لبنية الجملة) ... إلخ، و يصدق هذا على الخصوص في المقاربات الصورية التي تُنمذجُ اللغة على أساس آليات وإجراءات واضحة تعمل على أولويات نظرية لإنتاج البنيات اللغوية في اللغة المعنية، فتستدل هذه المقاربات مثلاً: على أن هناك مجالات كالصواتة

1 - ينظر: غسان إبراهيم الشمري: عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة، ص: 02

2 - المرجع نفسه: ص 02.

والدلالة والتركيب تتعلق بأنماط مختلفة من المبادئ المُبْنِيَّة العاملة على أنواع مختلفة من الأوليات وهكذا يعتبر قالب التركيب مثلاً مجالاً ذهنياً يُعنى ببناء الكلمات في جمل، بينما يُعنى قالب الصوتية ببناء الأصوات في بنيات تسمح بها قواعد اللغات الطبيعية¹. ويرى اللسانيون المعرفيون أن الأغراض العلمية قد تدعوه عادة إلى التعامل مع مجالات كالتركيب والدلالة والصوتية باعتبارها متميزة مفهوماً، فعند دراسة التنظيم التركيبي مثلاً، معناه دراسة نمط مختلف عن دراسة التنظيم الصوتي، لكن نجد أن اللسانيات العرفانية أو المعرفية تخضع لمبدأ التعميم، وهذا يعني أنها لا توافق على اعتبار أن القوالب المشكلة للغة ما منظمة بكيفيات مختلفة، أو حتى على اعتبار أن هذه القوالب أو الأنساق الفرعية موجودة أصلاً⁽²⁾.

وهناك العديد من المجالات اللغوية التي توضح الكيفية التي يمكن أن تشترك بها مكونات اللغة منفصلة في الظاهر في سمات تنظيمية أساسية مشتركة، منها مجال التعدد الدلالي والمقولة وكذلك الاستعارة.

-التعدد الدلالي:

إن التعدد الدلالي ظاهرة تتعلق بدلالة وحدة لغوية معنية على عدد من المعاني المختلفة المتعلقة، ويحاول اللسانيون العرفانيون الاستدلال على أن التعدد الدلالي لا يقتصر على معاني الكلمات، ولكنه سمة أساسية في النسق اللغوي عموماً، يهم مختلف مستوياته، لأن التعدد الدلالي أداة للتعميم عبر ظواهر لغوية متميزة تمكن من كشف الصلة العميقة الرابطة بين التنظيمات المعجمية والصفية والتركيبية.

وهناك العديد من الأمثلة التي تدل على ورود ظاهرة التعدد الدلالي عبر مختلف المستويات اللغوية، ويعد مستوى الدلالة المجال الذي حظي بأكبر قدر من الاهتمام بهذا الخصوص وذلك للكشف عن تعدد دلالات الفعل الواحد، ومن أمثلة ذلك:

¹ - ينظر: غسان إبراهيم الشمري: عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة، ص: 03

² - ينظر: سمير عابي: اللسانيات العرفانية - المبادئ العامة والأسس - مجلة العدوي، مج: 01، العدد 2021، ص 30.

"ضرب زيدٌ عمرًا"، "ضرب زيدٌ في الأرض"، "ضرب زيد بحظ وافر في العلم".
فهنا الفعل ضرب واحد وهو فعل ثلاثي دال على الماضي لكن اختلفت دلالاته بحيث
يكتسب معنى جديدا في كل سياق وُضع فيه.

كما قد تتعدد دلالات الحرف الواحد مثل: حرف الجر "على" فقولك:

- اللوحة على الطاولة = علاقة فوقية.

- اللوحة على الثقب = علاقة تغطية

- النور على الجبين = علاقة علو.

ضف الى ذلك أننا نجد ظاهرة التعدد الدلالية في مستوى البنية الصرفية كذلك حيث
قد تتعدد معاني الصيغة الواحدة كصيغة اسم الفاعل للدلالة على العمل المعين مثل: قولك:
ضرب =ضارب"، "ساق =سائق"، "حسب =حاسب " ...إلخ.

كما نجد كذلك ظاهرة التعدد الدلالي في مستوى أكبر من هذين المستويين، وهو
مستوى البنية التركيبية، فقد تتعدد معاني التركيب الواحد، كتركيب الفعل المتعدي مثلا إلى
اثنين والذي يدل على الإعطاء أو المنح كقولك: " أعطى زيد هندا كتابا" أو الإهداء كقولك:
"أهدى زيدٌ هندا كتابا"(1).

أو الإقراض، كما في قولك: "أقرض محمدٌ هندا كتابا"، فكلها دلالات مختلفة لكنها اشتركت
في قيامها على نقل إرادي من منفذ الى متقبل، رغم اختلاف طبيعة النقل وشروطه المرتبطة
به في كل حالة على حدة.

ومن هنا اعتبر الدارسون العرفانيون أن ظاهرة التعدد الدلالي، ظاهرة تشترك فيها
مختلف مستويات اللغة أي النسق اللغوي ككل، وهي بذلك توحد هذه المستويات وتسمح
بإبراز مبدأ التعميم كما تفرضه اللسانيات العرفانية.(2).

1 - ينظر: سمير عابي: اللسانيات العرفانية -المبادئ العامة والأسس-، ص32.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 36.

-المقولة:

تعد المقولة من المكتسبات الحديثة في علم النفس المعرفي، ولا تقوم هذه الأخيرة على معايير صارمة، وهذا راجع الى أن الأمر لا يتعلق بكون الشيء "ينتمي" أو "لا ينتمي" إلى المقولة على أساس معايير واضحة، بل إن المقولات لدى الإنسان عادة ما تكون مبهمة من حيث طبيعتها، فتبدو بعض العناصر أكثر مركزية في المقولة من غيرها، بينما نجد عناصر أخرى أكثر قربا من الهامش، وتخضع درجة المركزية هذه عادة إلى الكيفية التي تتعامل بها مع مقولة معينة في زمن معين، ومن الأمثلة على ذلك، هو أننا قد نعتبر وعاءً معيناً المتمثل الأفضل لمقولة الفناجين، وهو فنجان يكاد طوله يساوي عرضه، ويملك عروة وصحنا قاعدياً صغيراً، ولكن هذا لا يمنعنا عند شرب القهوة في وعاء يملك خصائص مختلفة كأن يكون عرضه أكبر من طوله ولا يملك صحناً قاعدياً صغيراً ولا عروة، من أن نحيل عليه باعتباره فنجاناً، وقد يحصل أن نتناول حساءً بملعقة من نفس الوعاء فنحيل عليه إذ ذاك باعتباره زبدية، وهذا يبين على أن المقولة عملية تتصف بالإبهام، إذ في أي نقطة بالضبط يُصبح الفنجان زبدية؟ وأنَّ طبيعة تعاملنا مع كيان معين يمكن أن تؤثر في كيفية مقولته (1).

ورغم أن أعضاء مقولة معينة كمقولة الفناجين مثلاً، يمكن أن تُصنّف على أساس كونها أكثر وأقل تمثيلية للمقولة، فإن كل عضو منها يبدو مشابهاً لباقي الأعضاء من جوانب مختلفة، فبينما تمتلك بعض الفناجين صحناً صغيراً وعروة وتُسّعمل عادة لشرب سوائل ساخنة كالقهوة والشاي، فإن أخرى لا تمتلك من وجود علاقة بينهما، وتسمى هذه العلاقة التي تربط بين أعضاء مقولة معينة على أساس القرب أو البعد، " بعلاقة التشابه الأسري " (2).

1 - ينظر: غسان إبراهيم الشمري: عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة، ص 3-4

2 - محمد غاليم: النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، مبادئ وتحليل جديدة، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، 2007م، ص 32.

ويُقر اللسانيون العرفانيون أنَّ الإبهام والتشابه الأسري لا ينطبق فقط في حالة الموضوعات الفيزيائية كالفناجين مثلا بل ينطبقان أيضا في حالة المقولات اللغوية كالصرفيات *mocphemes* والكلمات وباقي المقولات سواء تعلق الأمر بالصوت أو الصرف أو التركيب، فرغم وجود علاقات واضحة تربط بين هذه المقولات اللغوية فاللسانيون العرفانيون يرون أنها لا تتصرف بكيفية موحدة.

فإذا أتينا إلى مجال الصرف مثلا لوجدنا أن صيغة التصغير لا تدل على معنى صفة الصغير من الأشياء المادية، كما في لفظ "حُبَيْلٌ"، بل قد تدل أيضا على الكمية القليلة كما في لفظ دُرَيْهَمَات وصفة التحقير كما في لفظ رُجَيْلٌ والتلطف كما في لفظ يا بُنَيَّ، والملاحة كما في لفظ: لُطِيفٌ و مُلَيِّحٌ، وحين تنطبق على المجردات كالزمان تفيد تقليل المدة الزمنية كما في قُرَيْبٌ و بُعِيدٌ، ومن هنا نجد أن التصغير في اللغة العربية ليس له معنى واحدا بل يُشكّل مقولة من المعاني تتصرف بكيفيات مختلفة، إلا أنها تبقى متعلقة في دلالتها العامة على التقليل في الحجم أو الكمية أو الكيفية...إلخ.

ومن أمثلة انطباق النمط النموذجي في المجال الدلالي ما وضعه "محمد غاليم" بخصوص بينات المعاني الإضافية، حيث بين أن المعاني التي تدل عليها البنات الإضافية تقوم في أغلب اللغات على نفس الجهاز الصوري بما فيه (إعراب الجر)، ولا يمكن معالجة قائمة على المشترك اللفظي إلا أن تعتبر هذا من قبيل الاعتباط أو الصدفة، في حين أننا نحتاج إلى افتراض أقوى يذهب إلى غير هذا (1).

أي افتراض وجود علاقة ما بين معاني البنات الإضافية تقوم على نوع من التعدد الدلالي أو التمثلات التصويرية الجزئية، وإلى أن هذا التعدد ليس اعتباطيا بالصورة التي توحى بها المعالجات التقليدية. كما أن مثل هذا الافتراض يُمكن من عدم تنزيل مختلف معاني الإضافة منزلة واحدة، كما هو الأمر في معالجة المشترك اللفظي ويسمح بإمكان تبين وجود درجات من التعالقات المنطقية النموذجية بين مختلف المعاني، وتتميز بعض

¹ - سمير عابي: اللسانيات العرفنية - المبادئ العامة والأسس -، ص 34.

المعاني المركزية من أخرى مشتقة أو غير مركزية، ضف إلى ذلك أن هذا الافتراض يُمكن من تفسير كون هذه المجموعة من المعاني المخصصة دون غيرها، فيعبر عنها بنفس البنية التصورية وذلك بتبيان الرابط الذي يربط هذه المعاني ببعضها ويربطها بنمط نموذجي في نفس الوقت (1).

-الاستعارة:

تعتبر الاستعارة العرفانية من بين السمات المركزية التي تقوم عليها اللغات الطبيعية وهذا ما تقره اللسانيات العرفانية، فهي تقوم على بنية مجال تصوري معين من خلال مجال تصوري آخر، ومن خصائص هذه الاستعارة إنتاج التوسع الدلالي، أي إبداع دلالات جديدة. ويستدل اللسانيون المعرفيون على أن الاستعارة تتجلى عبر مختلف الظواهر اللغوية وتشكل دليلاً إضافياً لصالح مبدأ التعميم.

ويقوم التصور الاستعاري في اللسانيات العرفانية على نمطين مختلفين من الأشياء: الجدل: (خطاب لغوي) والحرب (صراع مسلح) وهذان التعبيران يتطلبان إنجاز نمطين مختلفين من الأفعال، لكن الجدل يبنى جزئياً، ويُفهم ويُجَزَّ ويُحَدَّث عنه من خلال الحرب فالتصور والنشاط العملي مبنيان استعاريان، وكذلك اللغة (2).

ومن أمثلة الاستعارة في المجال المعجمي ما يلي: ... استعارة "الجدال حرب" والتي تتجلى في الجمل التالية: "هاجم زيدٌ مواطن الضعف في حجتي"، أو قولك: "أصاب انتقاداته الهدف"، وأما الاستعارة في مجال التركيب فمثال ذلك قولك: "منحنا المطر منحة جميلة"، أو كقولك: "منحته الكرة الضائعة الانتصار" فهنا في هذين الجملتين نجد أن الفاعل ليس منفذاً إرادياً، وهذا توسع لتركيب الأفعال ذات المفعولين عن طريق استعارة تقوم على أن الأحداث المسببة انتقالات فيزيائية، وهذا ما يسمح بتوسع استعمال التراكيب ذات المفعولين إلى

1 - غسان ابراهيم الشمري: عن أسس اللسانيات العرفانية ومبادئها العامة، ص 38.

2 - المرجع نفسه، ص 39.

الحالات التي لا تتبني على منفذ إرادي (1).

إذن، إن أهمية مبدأ التعميم تكمن في تعميم تشترك بفضل مختلف مستويات النسق اللغوي في سمات منظمة عامة.

5-2-المبدأ المعرفي:

إذا كان التعميم أو مبدأ التعميم في اللسانيات العرفية يرتبط بالبحث عن البنية اللغوية ومبادئها التي تنظم مختلف مستويات النسق اللغوي، فإن المبدأ المعرفي يتعلق بافتراض مفاده أن مبادئ البنية اللغوية يجب أن تعكس المبادئ التي تقوم عليها المعرفة عامة وليست خاصة به من حيث هو تنظيم لغوي، وهذا ما معناه أن اللسانيات العرفية لا تقوم على تصور قالب للذهن ولا تقول بوجود قالب خاص باللغة، بل ترى أن النسق اللغوي يعكس المبادئ التي تتبني عليها الوظائف المعرفية الهامة كالمقولات المبهمة والانتباه.

- المقولات المبهمة:

يُعد الإبهام المقولي في اللغة انعكاسا للإبهام الذي تتصف به العمليات المقولية في باقي الوظائف المعرفية الأخرى، كما أن الاستعارة ذات طابع تصوري عام وليست خاصة باللغة بل إن الاستعارة اللغوية ليست سوى انعكاسا للكيفيات ذات الطبيعة الاستعارية التي يقوم عليها تفكيرنا وأعمالنا (2).

- الانتباه:

يُعد الانتباه من القدرات المعرفية التي يمتلكها البشر، وهو القدرة على التحويل من مظهر إدراكي إلى آخر، ومثال على ذلك: تتبعنا لمباراة كرة القدم، حيث يمكننا أن نُحوّل انتباهنا باستمرار إلى الأوضاع المختلفة للكرة وكذلك للاعبين...إلخ.

ويرى اللسانيون العرفانيون أن اللغة كذلك تقوم بتوجيه الانتباه إلى مظاهر معينة من الوضع المرمز له لغويا.

1 - ينظر: سمير عابي: اللسانيات العرفية -المبادئ العامة والأسس-، ص 37.

2 - غسان إبراهيم الشمري: عن أسس اللسانيات العرفية ومبادئها العامة، ص 41.

ويتجلى هذا من خلال استخدام التراكيب اللغوية لتوجيه الانتباه الى مظاهر مختلفة داخل وضع معين، كما تدل على ذلك الكيفيات المختلفة التي يمكن عن طريقها مثلاً إبراز جوانب معينة من وضع يدوس فيه الطفل على قلم فيسبب تحطيمه، مثل قولنا في التعابير التالية: "داس الطفل القلم"، "تعرض القلم للدوس"، "تحطم القلم إلى أجزاء"، وبذلك فإن هذه التراكيب اللغوية وَجَّهت الانتباه الى مظاهر مختلفة داخل الوضع الذي تقوم بوصفه، وهذا ما يدل عند اللسانيين العرفانيين على أن اللغة تعكس قدرة معرفية عامة يسمونها "بالانتباه"⁽¹⁾.

5-3- مبدأ التجسيد:

يعتبر مفهوم "التجسيد" من المفاهيم المركزية في اللسانيات العرفانية، ومعناه تأكيد أهمية التجربة الإنسانية من خلال مركزية جسد الإنسان وبنيته المعرفية النوعية، وهذا يعني أن اللغة لا يمكن دراستها في معزل عن تجسيد الإنسان ويقوم مبدأ التجسيد في اللسانيات العرفانية على مفهومين أساسيين هما: "المعرفة المجسدة" و "التجربة المجسدة"

- المعرفة المجسدة:

يرتبط مفهوم المعرفة المجسدة بمفهوم التجربة المجسدة وذلك راجع إلى أن تلك المعرفة مستمدة من طبيعة أجسادنا، ومن تنظيمنا العصبي، فالتصورات التي نصل إليها وطبيعة الواقع الذي نفكر فيه ونتحدث عنه نابعان لبنيتنا الجسدية، وهذا معناه أنه لا يمكننا الحديث إلا عما يمكننا إدراكه وتصوره، وهذه أشياء مشتقة من التجربة المجسدة، ويجب أن يُحمل الذهن وفق وجهة النظر هذه⁽²⁾.

إذن فالتجسيد هو تجسيد الواقع غير المنظور من خلال خصائص الواقع المنظور، والتفاعل معه على أنه كيان موجود أي يبدو متجسداً حتى يسهل التعامل معه، ومنه يحدث تفاعل الجسد بما هو نظام إدراكي وجهاز حركي مع عناصر الكون الخارجي وينعكس هذا

¹ - ينظر: سمير عابي: اللسانيات العرفانية -المبادئ العامة والأسس-، ص 39.

² - صالح غيلوس: مباحث لسانية عرفانية، دار البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، سطيف، ط1، 2020، ص94.

التفاعل في تصور الأشياء المحسوسة، والأمور المجردة (1).

وقد افترض "مارك جونسون Mark Johnson" في كتابه "الجسد في الذهن" سنة 1987م أن من الكيفيات التي تعبر بها التجربة المجسدة عن نفسها في المستوى المعرفي، أنها تظهر في شكل خطاطات صورته، وهي عبارة عن تصورات أولية مثل: الإنسان والوعاء، ذات دلالة كونها مشتقة من التجربة قبل التصويرية لدى الإنسان، أي من تجربة العالم التي تُبنى مباشرة بواسطة الجسد البشري، وهذا لا يعني أن هذه التصورات الخطاطية التصويرية أنها تجريدات فارغة، وإنما تستمد مادتها إلى حد كبير من تجاربنا الحسية الإدراكية التي تكونها أولاً قبل أن تكون غيرها، وقد استدل "جونسون" على أن هذا النمط من التصورات المجسدة يمكنه أن يتوسع بكيفية نسقية لإنتاج تصورات أكثر تحديدا ومجالات تصويرية مبنية، وتسمى عملية التوسع هذه إسقاطا استعاريا تصويريا (2).

ويعتبر جونسون أن "التصور الاستعاري" يمثل صورة من صور "الإسقاط التصوري"، وهذا يبرر حديثنا عن الكينونة في حالات معينة كالحب أو الهم، من خلال بنائنا لتصورات مجددة مثل الحب، أو الهم هو أننا نبني لها ونفهمها بفضل تصور أساسي وهو الوعاء (3).

وقد اعتمد اللسانيون المعرفيون أو العرفانيون في هذا الخصوص على عدد من النتائج المتوصل إليها من مجالات علمية مختلفة منها علم النفس التطوري، الذي تُمثله عالمة النفس مادلر، حيث كانت أعمال هذه الأخيرة حول الكيفية التي تُنتج بها التجربة المجسدة الخطاطات التصويرية، فقد استدلت على أن الأطفال ينتبهون في سن مبكرة لا تتجاوز الشهرين للأشياء والعلاقات الفضائية في محيطهم، ويستطيعون بفضل هذه الصلة الوثيقة بالتجارب الفضائية القيام بتجريدات عبر تجارب مماثلة وإيجاد بنيات دالة من خلال هذا النوع من العمليات، وهذا يعني أن الخطاطة التصويرية لديهم والمتعلقة بالوعاء ليست

1 - ينظر: صالح غيلوس: مباحث لسانية عرفانية، ص 50.

2 - ينظر: سمير عابي: اللسانيات العرفنية، -المبادئ العامة والأسس-، ص 33

3 - ينظر: صالح غيلوس: مباحث لسانية عرفانية، ص 95.

مجرد تمثيل فضائي هندسي وإنما هي نظرية حول نمط معين من التنظيم يحتوى فيه كيان معين كيانا آخر (1).

-التجربة المجسدة:

يقوم مفهوم التجربة المجسدة على مبدأ مفاده: أن الإنسان يمتلك تصورا نوعيا للعالم بسبب طبيعة جسده الفيزيائي الخاص، وهذا معناه بعبارة أخرى أن تأويل الواقع لدى الإنسان يتم إلى حد كبير من خلال طبيعة جسده، ومن الكيفيات التي يؤثر بها تجسيدنا في طبيعة التجربة، تلك المتعلقة بمجال اللون، فبينما يملك النسق البصري البشري ثلاثة أنماط من القنوات اللونية، فإن ذواتنا تختلف في امتلاك هذا العدد على اختلافنا نحن، وكذلك يظهر هذا الاختلاف في ذوات الحيوانات فمثلا: النسق البصري لدى الأرانب يملك قناتين لونيتين يستخدمهما في الرؤية، بينما يستخدم الحمام أربع قنوات.

وهذا معناه أن امتلاكنا عددا مختلفا من القنوات اللونية يؤثر في تجاربنا مع اللون فيمكننا من إدراك ألوان معينة من ألوان الطيف دون أخرى (2).

وقياسا على ما سبق ذكره، فإن طبيعة التكوين الإيحائي لدى الإنسان أي "نمط من الأعضاء الجسدية التي يملكها"، تحدد إلى جانب طبيعة محيطه الفيزيائي الذي يتفاعل معه باقي مظاهر تجربته، ويعرف هذا المفهوم المتعلق بكون الذات المختلفة تملك أنماطا مختلفة من التجارب بسبب طبيعة تجسيدها بمتغير التجسيد.

إذن ما يمكن قوله هو أن التجسيد يُعد من بين النقاط التي ركزت عليها اللسانيات العرفانية حتى توضح صورة العالم الخارجي بالنسبة للإنسان الذي يتواجد فيه.

وأخيرا وبعد أن تطرقنا في هذا الفصل إلى الأقطاب الثلاثة للبحث (المعنى، اللسانيات التداولية، اللسانيات العرفانية)، فإننا نخلص إلى ثلاث نتائج تتمثل في:

¹ - ينظر: غسان إبراهيم الشمري: عن أسس اللسانيات العرفانية ومبادئها العامة، ص 07.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 06، 07.

الفصل الأول (تمهيدي):المرتكزات النظرية للدراسة: المعنى، التداولية، العرفانية.

- حظي "المعنى" باهتمام كبير من قبل العلماء والدارسين قديما وحديثا باعتباره أول المباحث ظهورا في ميدان دراسة اللغة، وأكثرها أهمية على الإطلاق، فلا أحد يُنكر أهميته بالنسبة لها، وبالتالي فهو عنصر مهم في جميع الدراسات، وهي على اختلافها فإنها تتطرق منه وتعود إليه.

- إن التداولية اتجه يهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال وذلك من خلال اهتمامها بالسياق والطبقات المقامية التي يُنجز فيها الخطاب، وهذا الاهتمام باللغة جعلها تلتقي بمجموعة من العلوم والتخصصات الأخرى ذات الصلة المباشرة باللغة منها: علم اللغة الاجتماعي، علم النفس المعرفي، واللسانيات.

- اللسانيات العرفانية تيار لساني حديث يهتم بدراسة علاقة اللغة مع مختلف الآليات الذهنية المسؤولة عن إنتاجها وله العديد من التعالقات مع علوم مختلفة منها علم الأعصاب، الذكاء الاصطناعي، وعلم النفس المعرفي.

الفصل الثاني:



تجليات المعنى في الفكر التداولي

المبحث الأول: المعنى في رحاب نظرية أفعال الكلام.

1-نشأة نظرية أفعال الكلام ومراحل تطورها:

ارتبطت البدايات الأولى لنشأة نظرية أفعال الكلام في الحقل التداولي بفلاسفة اللغة الذين كان لهم الإسهام الأكبر في نشأتها وتطورها، " وإن الدافع بفلاسفة اللغة هو التوصل إلى فهم أفضل لكيفية عمل الذهن في تصويره للعالم الخارجي (1).

والمطلع على هذه النظرية في بدايتها الأولى ليجد أنها اكتسبت صفة الصورية في معالجتها للقضايا متبعة في ذلك المنطق الرمزي الحديث، وقد اقترض نموذجاً يُفسر على ضوءه اللغة وتركيباتها على الرغم مما تصف به اللغات الطبيعية على اختلافها من غموض، ومن أبرز العلماء الذين تبناوا هذا الاتجاه الفيلسوف "فريجة" Fregz و"راسل" Russel وفيتغنشتاين Wittgenstein في المرحلة الأولى لبدايات هذه النظرية وقد مثلها كتابه Tractaus logico-philosophicus (2).

وعلى هذا الأساس جنح رواد هذا الاتجاه -أي الاتجاه الفلسفي- نحو الواقع والوقائع بكل معطياتها، وهذا جعل "أوستين" Austin يكون أكثر قناعة من العلماء لأنه استرشد بطريق فلسفة اللغة العادية، وبين أن هذه اللغة ليست لغة عادية بل هي اللغة التي تعبر عن واقعنا بدقة ومثالية.

وقد ذكر أغلب الدارسين أن البدايات الأولى لهذه النظرية كانت على يد "أوستين" الذي تمكن من تقديم مفاهيم دقيقة حول "الفعل الكلامي" وجعله نظرية كاملة البناء.

1-1-1-مراحل تشكل النظرية على يد العالم "جون أوستين":

1-1-1-1-مرحلة ظهور الفكرة الأولى للنظرية:

حاول "أوستين" تشكيل حيز التفكير الفلسفي للغات الطبيعية، وذلك من خلال معارضته

1 - طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، جامعة الكويت، د ط، 1994، ص 20.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

للمنظور الفلسفي التقليدي الذي يرى أن الجمل التي ستحقق الدراسة والتحليل هي الجمل الوصفية، التي تخضع لمعيار الصدق والكذب، أما الجمل التي لا تحتل الصدق والكذب فهي جمل لا تحمل أي معنى في حد ذاتها وبالتالي تعد جملا هامشية لا تحلل ولا تعتبر لغوية أصلا (1).

وبعد أن تجاوز "أوستين" هذا الرأي ميز بين صنفين من الجمل اللغوية، جمل وصفية خاضعة لمعيار الصدق والكذب، وجمل إنجازية وأدائية تخالف الجمل الوصفية الأولى في العديد من النقاط أهمها:

- مجرد تلفظنا بها يؤدي إلى تشكل أفعال لغوية تتطلب الأداء مثل: "أفعال: الاستفهام والأمر والنهي والوعد.... إلى غيرها " وعلى سبيل المثال عندما يقول شخص: " أنا أهب أو أقدم سيارتي لصديقي" فهو هنا لا يصف شيئا أو يقرره، فلا يمكننا أن نحكم على تلفظه هذا بالصدق أو الكذب، لأنه في الحقيقة يؤدي فعلا أو ينجز وعداً منه (2).
- هي جمل منطوقة ومعناها يكمن في العمل الذي ينجز من خلال النطق بها، ويتم الحكم عليها بكونها ملائمة، وذلك من خلال مراعاة الظروف المختلفة المحيطة بها.
- عدم احتمالها الصدق أو الكذب لأنها جمل لا تعرض أقوالا ولا تقرر حقيقة موجودة لأنها لا تصف شيئا على الإطلاق وبالتالي لا يمكن الحكم بصدقها أو كذبها (3).

وقد خلص "أوستين" في هذه المرحلة الى تحديد نوعين من الجمل: جمل "وصفية" تصف حدثا أو حالة معينة دون أن تدل على فعل، وجمل "إنجازية" تدل على فعل وفي نفس الوقت تحمل معنى وليست خالية من المعنى كما وصفها الفلاسفة التقليديون، بل هي جمل تنجز القول الحامل للمعنى وتؤدي الى إنجاز الفعل في الوقت نفسه، وقد ميز "أوستين" بين

1 - عبد العزيز محمد حسن: كيف ننجز الأشياء بالتلفظ، جامعة القاهرة، مجلة كلية دار العلوم، العدد 19، 1995، ص78.

2 - علي محمود حجي الصّراف: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 23.

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

هذين النمطين من الجمل عن طريق وضع مجموعة من المعايير منها ما تعلق بالمقال أو التلفظ في حد ذاته، ومنها ما يتعلق بالمقام:

1-1-2-مرحلة وضع الاقتراحات ودراسة الفكرة بعمق:

بدأت هذه المرحلة بعد ما وقف "أوستين" على التفريق بين الجمل الوصفية والجمل الإنجازية وبعدها انتقل الى دراسة المعيارين المقالي والمقامي، وأبقى على المعيار المقامي المتمثل في ثنائية القول والإنجاز، إذ عدَّ "أوستين" جميع الجمل اللغوية أفعالا في الوقت ذاته إلا أن هناك منها نوعان: منها الصريح، ومنها الضمني وخلص الى أن:

- الجمل الإنجازية الصريحة: هي منطوقات أو ملفوظات معناها صريح لدى المتلقي
- الجمل الإنجازية الضمنية: هي منطوقات معناها ضمني.

وذكر أن الجمل أو الملفوظات الإنجازية الصريحة تحمل في سطحها قرينة المتكلم والخطاب وقرينة الفعل اللغوي الإنجازي مثل الأفعال التالية: (أراهن، أعد، أوصي، أنهى، أَحْذِرْ...)، في حين أن الجمل أو الملفوظات الإنجازية الضمنية تفتقر إلى هذه القرائن والمؤشرات⁽¹⁾.

ويمكننا التمثيل لهذين الصنفين من الجمل بالمثالين التاليين:

- حان وقت الصلاة، آن لك أن تذهب الى المسجد.
- اذهب الى المسجد.

نلاحظ من خلال الجملتين أنهما تحملان نفس الأمر وهو الأمر بالذهاب ولكن تختلفان في أن الأولى لا تحمل في سطحها قرينة المتكلم والخطاب ومؤشر الفعل الانجازي، ففي المثال الأول لا يظهر المعنى من الكلام لدى المتلقي إن كان نصحا أو أمرا بالذهاب حقا على عكس الجملة التالية.

وما نستنتجه من خلال شرحنا لهذا المثال هو: أنه ما يمكننا من فهم الفرق بين

¹ - عبد العزيز محمد حسن: كيف ننجز الأشياء بالتلفظ، ص 87.

الجملة الصريحة والجملة الضمنية والتوصل إلى معنى هو مستويات اللغة من صوت وتركيب ودلالة فكلها تشكل موقفاً تواصلياً يظهر من خلاله مقصد المتكلم.

1-1-3- تبلور النظرية وصياغة نظرية الأفعال الكلامية أو اللغوية:

بعد أن فرق "أوستين" بين أفعال الوصف وأفعال الإنجاز صاغ نظرية حول كل الأفعال اللغوية سماها "نظرية الأفعال الكلامية"، حيث عدّ فيها كل قول، على أنه فعل في الوقت ذاته أي إن أي متلفظ بجملة تنتمي إلى لغة معينة يقوم بأداء فعل في الوقت نفسه، يقول: "إن فعل التكلم ما بالمعنى الواسع دراسته العبارات المتلفظ بها هي في الحقيقة ولنفس السبب دراسته لأفعال الكلام وإن شئت قلت دراسة الوحدات الشاملة لعناصر التكلم اللغوي" (1).

وبعد أن اقترح "أوستين" نظرية شاملة في الأفعال الكلامية، ميز فيها بين ثلاثة أفعال ترتبط بالقول ولا يمكن فصلها عن بعض وهي:

- أولاً: فعل القول (فعل التلفظ، أو الفعل اللغوي).
- ثانياً: الفعل المتضمن في القول، أو (الفعل الآدائي، الفعل الإنجازي).
- ثالثاً: الفعل الناتج عن القول أو "الفعل التأثيري".

-فعل القول: (الفعل اللغوي)

هو إطلاق الألفاظ في جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع تحديد ما لها من معنى ومشار إليه وهذا الفعل يقع دائماً مع كل قول، لكنه وإن أعطى معنى ذلك القول فإنه لا يزال كافياً لإدراكنا أبعاد هذا القول فمثلاً قولنا: " ستمطر " يمكن أن نفهم معناه كاملاً ولكن لا يمكننا أن ندري إن كان "خبر" بأنها ستمطر أو هو "تحذير" من الخروج وعواقبه أو "أمر" بحمل المظلة أو غير ذلك (2).

وكل فعل كلامي بالضرورة هو فعل لغوي مكون مما تتكون منه البنية اللغوية فهو:

1 - جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنين، دار إفريقيا الشرق، ط2، 2006، ص 18.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 127.

الفصل الثاني.....تجليات المعنى في الفكر التداولي

- **فعل تصويتي:** وهو مجرد إصدار للغة معينة من مخارج صوتية معلومة من مثل الأصوات المركبة لقولك: " سيكون الجو اليوم جميلاً".
- **فعل تركيبى:** وهو إنتاج وتأليف الأصوات وفق أنحاء مخصوصة متصلة ببعضها البعض على نحو ما ومرتبطة بمعجم ما وخاضعة لقواعد النحو والتركيب التي تقوم عليها اللغة التي يندرج ضمنها التأليف التصويتي كقولك مثلاً: " إنَّ الجو اليوم ممطرٌ".
- **فعل إيحالي دلالي:** وهو إنتاج وتأليف مرتبط بمعان ومرجعيات معينة، وقد ذكر هنا "أوستين" أن المعنى والمرجع أي (الاسم والإحالة المرجعية " ذاتيتهما قد قصد بهما في هذا الموضع أفعال تابعة للإنجاز حالة إيقاع وحصول الفعل الخطابي " (1). أي معناه هنا المعنى والمرجع الذي يحيل عليه أي جملة مهما كان نوعها.
- **الفعل الإنجازي (أي الفعل المتضمن في القول):**

وهو الفعل المنجز من خلال القول وهذا هو الفعل الذي قامت عليه النظرية من الأساس حيث يقول " أوستين": "وغرضنا من هذه المحاضرات متجه بالأساس الى أن نتمكن من حصر المقولة الثالثة الوسطى، وهي قوة فعل الكلام، ومقابلتها مع المقولتين الأخرى وفي الفلسفة يوجد ميل عام ثابت وقار إلى طي ذكر هذه المقولة الوسطى لفائدة الأخرى مع أنها متميزة عنهما"(2).

ومن هنا اقترح "أوستين" تسمية الوظائف الثانوية للفعل القولى وسماها بالقوى الإنجازية أو الإنجازيات أو الأفعال المتضمنة في القول، والمقصود بها ذلك الفعل أو التصرف الذي ينبع قولنا لشيء ما مثل: سؤالنا عن أمر ما، أو تأكيدنا، أو تحذيرنا...، أو غير ذلك.

ونجد أوستين يشرح أنه بتحقيقنا للفعل التلفظي سنكون أيضاً قد أنجزنا أفعالاً تناولها كلامنا وما لم يتناولها وذلك لأننا:

¹ - جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأفعال بالكلام، ص 127.

² - جون سيرل: العقل واللغة المجتمع، ص 202.

- قد نكون سائلين أو مجيبين عن سؤالنا.
 - قد نتناول في خبرنا أو تحذيرنا للآخرين غير ما طُلبَ منا.
 - قد يحدث أن نصف أن نعرف أو أن نمائل...إلخ.
 - قد ننطق بجملة يُفهمُ منها أكثر مما أردنا.
 - قد نصدر حكماً أو نعلن عن إرادتنا (1).
- وقد نبّه "أوستين" كذلك إلى أن هذا الفعل -الإنجازي- يخضع لثلاثة شروط تحدده وهي:
- أنه يمكن أن نورد هذا الفعل في التلفظ بصيغة إنشائية تعبر عنه مثل: قولنا: "أطلب منك" أو "آمرك"، أو "أعد بأنني".
 - أنه يرتبط بفعل منجز ضمن القول نفسه، وليس ناتج عن القول فعند قلبي مثلاً: "أنا أقبل الذهاب إلى المدرسة كل صباح"، فهنا ارتبط لفظ القبول بفعل الإنجاز مباشرة أي أن أقول وأنجز الوقت ذاته.
 - يخضع أيضاً للاتفاق بين طرفي العملية الكلامية أي التواصلية وهي التي تمنح القول المقصود من الكلام. (2).
- ويجب علينا هنا الوقوف لكي نفرق بين هذين الفعلين أي الفعل الأول هو "فعل القول" والفعل الثاني "وهو الفعل المتضمن في القول" حيث نجد أن فعل القول الأول هو الحدث على القيام بفعل أثناء قول شيء ما، وهذا هو ما أطلق عليه "أوستين" اسم القوة الإنجازية المتضمنة في القول؛ فقد يقول أحدهم لك: سأكون هناك فهذه العبارة تحمل العديد من القوى في وقت واحد، فقد تكون في موضع معين قوة للخبر، وقد تكون في موضع آخر: قوة للتحذير...إلخ.

إذا، فإن القوة الإنجازية في الفعل الكلامي قد تتنوع بحسب المقاصد والسياقات التي ترد فيها، وجوهر هذه النظرية إذن يتمثل في دراسته، ومنه: كيف تقوم القوة الإنجازية للعبارة

¹ - صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند فلاسفة أوكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ط1، 1993م، ص 141.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 143.

اللغوية الواحدة بتأدية العديد من المقاصد التي تتعدى حدود معناها الحرفي؟

وما يمكن تأكيده هنا هو أنه لا يمكن التوصل إلى المعنى المراد من أي تلفظ لغوي إلا انطلاقاً من ربطه بالسياق أو القصد هذا الأخير الذي يتعدد بتعدد العبارة المعنوية التي تسهم في الكشف عن الإنجاز المطلوب.

ولا يتحقق المعنى في نظرية أفعال الكلام إلا من خلال فهم القصد لتحقيق القوة الإنجازية للفعل الكلامي، فلو قلنا مثلاً: " هل ينزل المطر غداً؟" يذكر "ديكرو" أنه لو اعتبرنا هذا النوع من التساؤلات استفهاماً بلاغياً، فإنه يتجاوز القصد الدال على الشك أو القلق من طرف السائل عن حالة الجو، بل يتعداه إلى قصد الإجابة على السؤال من قبل أشخاص سامعين وكانوا معنيين بالسؤال، وهنا يأخذ هذا التساؤل معنى وقصداً آخر تتحقق من خلاله القوة الإنجازية للأفعال.

وهذا ما أوضحه رائد هذه النظرية " جون أوستين" في حين يرى أن مقولة -القول هو الإنجاز- لا تعني بها أن كل قول قد ينتج عنه إنجاز ما " فمن الجائز أن يعترض شخص بقوله: يتراءى لي أن أفترض أن الزواج هو ببساطة النطق بكلمات قليلة، أو إنَّ النطق بعبارة ما يعني المراهقة، أو إنني يمكن أن أسير بجوار مبنى قيد الإنشاء وأسميه كما يحلو بكلمات معينة، غير أنَّ هذا الاعتراض مردود عليه، لأن " أوستين " يؤكد أنه لكي يكون المنطوق منطوقاً إنجازياً أو أدائياً ناجحاً لا بد أن يتم النطق به في ظروف خاصة ومعينة." (1).

يظهر هنا ومن خلال هذا القول إن للسياق غير اللغوي دور في تأويل المعنى في الفعل الكلامي أي إن معنى الفعل الكلامي يتغير بتغيير السياق الذي يرد فيه هذا الفعل.

وفي هذا السياق أشار "أوستين" إلى ما يمكن أن تحمله العبارة من معاني وفحوى الكلام، فإذا كان للكلام وظائف متعددة، أو طرق مختلفة نستعمله فيها وحصل تنوع كبير في إيجاد فعلنا على وجه ما، فلا بد أن تنتوع كذلك الطرق والمعنى الذي يُقصد من استخدام الفعل فيه، وهكذا يختلف الشأن حينما يقع التحذير أو مجرد التنبيه أو إصدار الأمر كما

¹ - صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند فلاسفة أوكسفورد، ص 145.

يختلف حينما نكون آمريين بوعد على وجه معين، أو نكون فقط مصرحين بإرادتنا على هذا النحو أو ذاك فسوف يغدو هنا الحال بكل معطياته، أنه لفهم المعنى لابد أن يتوفر المعطى الأساسي وهو القصد والمتوخى الذي يُتَضَمَّنُ في القول من خلال قوة إنجازية مقصودة. وهنا تتجلى أهمية السياق غير اللغوي في بلورة مفاهيم نظرية أفعال الكلام، وقد ناقش "أوستين" هذه الفكرة وحدّد مصطلح "القصد"، حينما أشار الى أنّ النطق بالألفاظ يشكل في العادة أمراً مهماً بل هو الحدث الرئيسي في إنجاز الفعل، وهذا هو القصد من الإنجاز في كل تلفظ، ويرى أنه من الضروري ودائماً أن تكون المناسبات التي حصل فيها التلفظ بالعبارة هي ظروف مناسبة مخصوصة على وجه ما أو على وجوه كثيرة، فالقول شيء أساسي ولكن قيمته مرهونة بالإنجاز المقصود منه.

ولكي تتحقق القوة المتضمنة في القول يشترط "أوستين" أن تتوفر مجموعة من الشروط التي تساهم وبشكل أساسي في تحقيق هذه القوة الإنجازية، ومن بين هذه الشروط ما يلي:

- **الشرط الأول:** مرتبط بأداء فعل القول، لأنه لا يمكن تحقيق "القوة المتضمنة في القول" من دون تأدية المتكلم "فعل القول"، حيث يقول: إن النطق بالألفاظ يُشكّل في العادة أمراً مهماً بل هو الحدث الرئيسي في إنجاز الفعل (كالرهان أو ما شئت) وهذا هو القصد من الأشياء في كل تلفظ "(1).

ومنه فلتتحقق القوة الإنجازية الصادرة عن الفعل الكلامي لا بد أولاً من إصدار فعل القول وهنا يضيف قائلاً: "كثير من قوى أفعال الكلام لا يمكن تأديتها وإنجازها إلاّ بقولنا شيئاً ما"(2).

- **الشرط الثاني:** يكون متعلقاً بالمناسبة التي قد يُحَقِّقُ فيها الفعل الكلامي، فالنطق باللفظ ليس هو العنصر الوحيد والضروري، حتى نعتبر أن الفعل كان في حالة إنجاز، ولهذا نقول بوجه عام: "إنه من الضروري ودائماً أن تكون المناسبات التي حصل فيها التلفظ

1 - جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص 147.

2 - المرجع نفسه، ص 151.

بالعبارة هي ظروف مناسبة مخصوصة على وجه مخصوص أو على وجوه كثيرة⁽¹⁾.
ما يمكن استنتاجه من هذا القول هو أن القوة المتضمنة في القول أو القوة الإنجازية خاضعة بالدرجة الأولى لمعطيات السياق المختلفة حتى يتمكن المتلقي أو السامع من معرفة المعنى والقصد المراد إيصاله من قبل المخاطب.

وقد ميزَ "أوستين" هنا بين "معنى الفعل القولي"، و"قوة الفعل الإنجازي"، وقد توصل إلى هذا التمييز انطلاقاً من مجموعة من الأمثلة التي قد تتعدد قواها الإنجازية، وأفضل مثال أورده ليوضح ويميز بينهما، هو قول شخص لك مثلاً: "إنه سيهجم عليك"، فعلى الرغم من أن هذا المعنى القولي واضح إلا أنه لا نعرف القوة المقصودة فيه، فليس واضحاً ما إذا أنت تقصد إثبات حكم الخبر أو توجيه تحذير... أو غير ذلك.

وقد بيّن كذلك "أوستين" أننا عندما ننجز فعلاً كلامياً ما فنحن بالضرورة نستعمل الكلام، ولكن بهذه المناسبة على كم وجه نكون بالضبط مستعملين له؟ وإذا كان للكلام وظائف متعددة أو طرق نستعمله فيها، وحصل تنوع كبير في إيجاد فعلنا على وجه ما وكان لنا أن نقول في كل مناسبة لا بدّ أن تتنوع الطرق والمعنى الذي يُقصدُ (استخدام الفعل فيه)، وهكذا يختلف الشأن حينما يقع التحذير أو مجرد التنبيه أو إصدار الأمر كما يختلف حينما نكون آمرين بوعد على وجه معين أو نكون فقط مصرحين بإرادتنا على هذا النحو أو ذاك وقس على ذلك⁽²⁾.

ما يمكن استنتاجه هنا هو أن فعل الكلام يختلف باختلاف المناسبة والوجه الذي يقصده المتكلم من خلال إنجازه لهذا الفعل.

- **الشرط الثالث:** يتمثل أساساً في إذعان المتلقي للفعل القولي بجدية وتفعيل الفهم حيث يقول "أوستين": "فإذا لم يسمع مخاطبي ما أخبرته به، أو أنه لم يحمل كلامي محمل

¹ - ينظر: جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص 19

² - كريستوفر نوريس: التفكيكية النظرية والممارسة، تر: صبري محمد حسن، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 1989، ص 231.

الجد، لا يصح لي القول إنني قد حذرته، وإذن لا بد أن يحدث أثر وتأثير على المخاطب حتى تتحقق قوة فعل الكلام، وتكون قيمه العبارة به واصله الى تأدية المقصود⁽¹⁾. والذي يفهم من خلال هذا الشرط هو أنه لا بد أن يؤخذ الفعل الكلامي على محمل الجد حتى يؤثر في المتلقي أو يحدث الفعل التأثيري.

- **الشرط الرابع:** ارتباطه بالعرف الشائع بين المتكلم والمتلقي، فالفعل الإنجازي فعل عرفي قائم على الاتفاق والمواضعة، يقول "أوستين": "يجب أن نلاحظ أن قوة فعل الكلام هي اتفاق مبني على التواطؤ والمواضعة، إنه فعل مؤدي ومنجز طبقا للتواضع"⁽²⁾. إذا فالعرفية أو صفة المواضعة، هي التي تنظم العلاقات بين المتكلم والمتلقي حتى تتحقق القوة الإنجازية المقصودة.

-الفعل الناتج عن القول (أي الفعل التأثيري):

يتعلق بالفعل الذي قد تحققه بواسطة قولنا لشيء ما، وتحقيقنا لغرضه الإنجازي، ويظهر فعل التأثير مع فعل القول، أو في الآثار التي يحدثها القول على المخاطب، كتعديل أنظمته السلوكية مثلا أو عاداته المعرفية.

فقد رأى "أوستين" أنه مع القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل مُتَضَمِّن في القول ويقصد به القوة الإنجازية الكامنة في الفعل، لابد أيضا أن ننجز نوعا آخر من الأفعال، كأن نقول شيئا ما يترتب عنه أحيانا في العادة حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره أو تصرفاته كذلك... وإنجاز فعل من هذا النوع نسميه، إنجاز "ما ترتب عن فعل الكلام"، ومن هنا نجد أنّ "أوستين" قد أشار الى بعض الآثار التي تنتج عن أداء الفعل الكلامي والتي قد تتنوع بحسب أغراضه، ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، الإرشاد، التظليل، التهريب... إلخ، وسنوضح ذلك من خلال قولنا مثلا-عبارة: "أُخْرِج من البيت"، فعند نطق أي متكلم لهذه العبارة فإنه يكون قد أدى وحقق الفعل الكلامي بجميع مستوياته الثلاثة، أي:

¹ - ينظر: جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ص 19

² - المرجع نفسه، ص 141.

فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل التأثيري.

وسنشرح ذلك كالآتي:

- فعل القول يتمثل في نطق عبارة "أخرج من البيت"، فالمتكلم هنا يقصد فعل الخروج على صيغته الحرفية التي ورد عليها.

- الفعل المتضمن في القول: هو فعل الأمر بالخروج والتحريض عليه.

- الفعل الناتج عن القول: هو قيام المخاطب بالخروج من البيت فعلا.

فالمتكلم في المستوى الكلامي الأول حقق فعلا كلاميا وبه يكون محققا للفعل الإنجازي الذي تمثل في الأمر بالخروج، وما يترتب عنه من حدث نفسي تمثل في الاقتناع بالخروج. وقد ميز "أوستين" بين ما ننجزه من "أفعال كلامية" وبين الآثار والنتائج التي قد تحققها من حيث: "كون هذا الأخير مفهوما من الخارج ومن مختلف قرائن الأحوال، ونتيجة لآثارها، ثم إنه في ذاته ليس نتيجة، ولا مترتبا عن فعل الكلام، ومن ناحية أخرى يتعين الآن أن نشير إلى أن فعل الكلام من حيث هو متمايز عن لازم الفعل يرتبط بالضرورة على وجه ما بحدوث بعض الآثار، لأنه لو لم تحصل بعض الآثار تامة الإنجاز لم تكن قوة فعل الكلام مناسبة للاعتبار ومقبولة، وبالتالي لو لم يكن كذلك لم يقع الفعل على وجهه وإذن لا بد أن يحدث أثر أو تأثير ما على المخاطب حتى تتحقق قوة فعل الكلام وتكون قيمته العبارة وبه واصله إلى تأدية المقصود"⁽¹⁾.

ومن هنا يتضح الفرق الشاسع بين "الفعل المتضمن في القول" و"الفعل الناتج عنه".

1-2- تصنيف "أوستين" للأغراض الإنجازية في الأفعال الكلامية:

قام أوستين بتقسيم الأفعال الكلامية من حيث المعنى الذي يؤديه غرضها الإنجازي إلى خمس مجموعات وظيفية تؤدي معناها وهي:

¹ - جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ص 155.

-الحكميات: (أفعال الأحكام):

هي أفعال تعبر عن فعل في شكل حكم تصدره سلطة معترف بها رسميا وأخلاقيا وتشمل أفعالا مثل: إصدار القرارات القضائية كأفعال التبرئة وتعيين رتب بعض المسؤولين.

-التنفيذيات: (أفعال اتخاذ القرارات):

هي أفعال كلامية تعبر عن اتخاذ بعض القرارات اتجاه أشخاص معينين مثل: الطرد، التحذير، النصيح.

-الوعديات (أفعال الوعد والتعهد):

هي أفعال كلامية تؤسس لدى المتكلم الالتزام بعمل ما معترف به من قبل المخاطب مثل الضمان، والقسم... إلخ.

-السلوكيات (أفعال السلوك):

ترتبط هذه الأفعال بالسلوك الاجتماعي لدى المتكلم، لأنها تعبر في العادة عن ردة فعل لسلوك الآخرين: كالاعتذار، الشكوى، المواساة.

-العرضيات: (أفعال العرض والإيضاح)

هي أفعال كلامية تستخدم في العادة لتوضح وجهة نظر معينة، أو لبيان رأي ما وكثير ما تُستعمل في مواقف الحجاج، ومن الأمثلة الدالة عليها: الإثبات، النفي، الشرح⁽¹⁾.

1-3-اكتمال معالم نظرية أفعال الكلام على يد "جون سيرل":

إذا كان "لأوستين" فضل السبق في وضع الأسس الأولى لنظرية أفعال الكلام، فإن تلميذه "سيرل" أدى دورا مهما في تطوير هذه النظرية وتحديد مصطلحاتها، وخاصة فيما تعلق بالغرض الإنجازي للفعل الكلامي وتقسيم الأفعال إلى: "كلامية مباشرة"، و"كلامية غير مباشرة"، وذلك من خلال التمييز بين أربعة أفعال في بنية الفعل الكلامي:

1-3-1-بنية الفعل الكلامي عند "سيرل":

يبني الفعل الكلامي حسب "سيرل" من:

¹ - ينظر: الجبالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص25.

- **فعل التلفظ:** وهو إنتاج عبارة لغوية تخضع لقواعد صوتية وتركيبية للغة ما.
 - **الفعل القضوي:** وهو أن يسند "المسند" الى " المسند إليه" أي الفعل لمنجز هذا الفعل الذي يعبر عن قضيا معينة.
 - **الفعل الإنجازي:** هو القوة الإنجازية التي يحملها التلفظ أو فعل القول.
 - **الفعل التأثيري:** هو ما ينتج من تأثيرات تحدثها الأفعال الكلامية. (1).
- 1-3-2-إعادة صياغة شروط الملاءمة:

أعاد "جون سيرل" صياغة شروط الملاءمة التي وضعها "جون أوستين" وجعلها في أربع، هي:

- **شرط المحتوى القضوي:** أي إنه لابد أن يكون للكلام معنى قضويا يقوم على مرجع ومُتَحَدِّثٍ به، وأقصد بالمحتوى القضوي، المعنى الحرفي الأصلي للجملة اللغوية.
- **شرط التمهيدي:** يتحقق هذا الشرط على حسب وجهة نظر "سيرل" بقدرة المنجز على إنجاز الفعل لحظة القول.
- **شرط الإخلاص:** لابد أن يخلص الفاعل بقوله، فلا يزعم أنه قادر على إنجاز مع عدم الاستطاعة.
- **شرط الأساسي:** هو محاولة المتكلم إنجاز فعل التأثير في السامع، ينجز الفعل المراد (2).

1-3-1-إعادة تصنيف "سيرل" للأفعال الكلامية:

تجاوز سيرل تصنيف أستاذه "أوستين" للأفعال الكلامية، ووضع تصنيفا جديدا حصر فيه القوة الإنجازية للأفعال الكلامية بخمسة أصناف وهي:

- **الإخباريات (التقارير، أفعال الإثبات):**

الغرض من إنجاز هذه الأفعال هو التقرير والإثبات، وفيها يتحمل المتكلم مسؤولية صدق القضية المعبر عنها وتشمل هذه المجموعة أفعال التأكيد والتحديد والإثبات.

1 - ينظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 20.

2 - ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص45.

-الطلبات (أفعال التوجيه):

الهدف من وراء إنجاز هذه الأفعال هو دفع المخاطب إلى أداء عمل معين، وتشمل هذه المجموعة: النداء، الأمر، النهي...إلخ.

-الوعديات (أفعال الوعد):

وتسمى كذلك الإلزاميات والغرض من هذه الأفعال: إلزام المتكلم القيام بعمل ما في الزمن المستقبل؛ ومن أمثلة هذا النوع، قولك: أعد، ألتزم بـ، أضمن.

-الإفصاحيات: (التعبيريات):

أي أفعال التعبير، وتشمل هذه المجموعة الأفعال التي يعبر بها المتكلم عن الحالات النفسية التي تحدث معه في مواقف محددة مثل: الشكر، الاعتذار، المواساة.

-التصريحيات (الإعلاميات):

يتميز هذا النوع من الأفعال بالحديث عن صدق محتواه القضوي، وقد سماها "جون أوستين" أقوالاً إنشائية (1).

2- ماهية الفعل الكلامي:

يعد الفعل الكلامي أحد أهم العناصر الأساسية التي انبنت وقامت عليها نظرية أفعال الكلام اللغوية، ونجد العديد من التعريفات التي حاولت تحديد ماهية الفعل الكلامي، ويعود ذلك إلى اختلاف المرجعيات المتنوعة التي انطلق منها كل باحث في تعريفه له فنجد من بين الدارسين الذين أعطوا مفهوماً له "أوستين" حيث يقول: "الفعل الكلامي هو الفعل المؤسس من قبل المتكلم يتمتع بصلاحيات معينة" (2).

إذن ما نفهمه من هذا التعريف للفعل الكلامي هو: أن الفعل الكلامي ملفوظ يُحقَّق من قبل متكلم فردي يتمتع بالعديد من الصلاحيات.

1 - ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص49.

2 - جون ليونز: اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة، العراق، ط1،

ونجد "فان دايك Van Dijk" من بين العلماء الذين أعطوا مفهوما للفعل الكلامي حيث يقول: " وما نعينه بقولنا إننا نفعل شيئا ما، متى صغنا عبارة معينة هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي كأن نعدّ وعداً ما ونطلب وننصح، وغير ذلك مما شاء وذاع أنه يطلق عليه "أفعال الكلام". ويطلق عليه على نحو أخص "قوة فعل الكلام" (1).

إذن، إن الفعل اللغوي على حسب رأي "فان دايك" هو سلوك لغوي يمارس من خلاله الإنسان عملية تواصله مع الآخرين عبر ما يسمى بعملية التواصل أو الحوار.

ويُصنّف "فان دايك" قائلًا في تعريفه للفعل الكلامي: "غالبا ما يؤخذ مفهوم الفعل الإنجازي في علاقة وثيقة مع مفهوم الحدث، وقد يكشف مفهومنا الموجز والبديهي للفظ الفعل هذه العلاقة، فالفعل هو كل حدث حاصل بواسطة الكائن الإنساني، ... ومقتضى المفهوم الأساسي في تعريف معنى الحدث هو التغير، ويجوز أن ينظر الى هذا التغير على أنه علاقة بين أو عملية جارية حول العوالم الممكنة" (2).

ويعرف "دومينيك مانغونو Dominique Maingueneau" الفعل الكلامي بقوله: " والمقصود به الوحدة الصفراء التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه، " أمر، طلب، تصريح، وعد... " غايته تغيير حالة المخاطبين، كما أن المتلفظ المشارك بهذا الفعل لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل التلفظ" (3).

وما يمكن أن نستنتجه في الأخير أن فعل الكلام هو فعل تلفظي ناتج عن متكلم معين موجه لمتلقي أو سامع معين حاملاً قصداً معيناً يهدف إلى تأثير شيء ما في نفس المتلقي في سياق معين.

1 - فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الجزائر، 2000، ص228.

2 - المرجع نفسه، ص 263.

3 - دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد محمد يحياتي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005، ص70.

3- خصائص الفعل الكلامي:

يتميز الفعل الكلامي بجمله من الخصائص التي تميزه عن باقي الكلام وهي:

3-1-المواضعة والتعاقد:

تعد المواضعة والتعاقد من بين الصفات التي تميز الفعل الكلامي اللغوي، لأنهما يكونان بين أفراد البيئة اللغوية الاجتماعية المعينة، لذلك فالمتكلم ينظم ما هو جاهز داخل قدرته التواصلية انسجاماً مع نظام العلاقات الاجتماعية، بما يقوله هذا النظام من حريات ويفرضه من قيود وإرغامات، وعليه فإن أي إنتاج ناجح أو تحقيق للفعل الكلامي يجب أن يخضع لمجموعة من التعاقدات الاجتماعية، ولعل فكرة التعاقد هذه تقتضي أن يكون للأفراد المنتمين لنفس جماعة الفعل الاجتماعي قابلية التفاهم حول العروش اللغوية الممكنة لهذا، إذن فنجاح الفعل الكلامي مرهون ومقترن بالمواضعة والتعاقد متفقان عليهما الجماعة المتكلمان للغة المعينة⁽¹⁾.

إن أفعال الإنجاز في اللغة هي صيغ تخضع لصفة "الوضعية" وهذه الأخيرة هي التي يمكنها أن تحدد الكيفيات التي يتحقق بها مقصد القول، ومن بين الأمثلة التي تخضع لصفة المواضعة بين أصحاب الجماعة اللغوية نجد: أن قول الشهادة والتلفظ بها لا يكون إلا بصيغة المضارع دون صيغة الماضي أو اسم الفاعل، فالمتكلم يقول: "أشهد بكذا"، ولو قال: "شهدت بكذا" أو "أنا شاهد بكذا"، لما كان ذلك جائزاً ولا تقبل منه، لأنها خرجت عن صفة المواضعة التي حددها جماعة اللغة، إذن يخضع إنتاج الفعل الكلامي بالضرورة لصفة المواضعة.

3-2-القصدية:

تُعَدُّ القصدية من بين المفاهيم الأساسية التي أدخلها "أوستين" وأتباعه في تحليل الفعل الكلامي وتصنيف القوى المتضمنة في القول حيث يقول في هذا الصدد: "إن مسألة

¹ - ينظر: عبد السلام إسماعيل علوي: التلفظ والإنجاز، الموقع: www.fikrwamakd.net/n58

الفصل الثاني.....تجليات المعنى في الفكر التداولي

الأغراض والمقاصد في التلفظ بالعبارة يختلف من سياق الى سياق⁽¹⁾.

والقصد هنا عند أوستين يعدّ من بين شروط النجاح في تأدية الفعل الكلامي، "لأن الفعل الكلامي عنده لا يُعْتَبَرُ ناجحاً إلا إذا حقق القصد المراد منه أو من وراء التلفظ به ونجده في هذا الصدد يقول: "إذا لم يتحقق شرط القصد في الكلام فإن نتيجته الفعلية تُصْبِحُ غير حقيقية، ولا يمكن تسميتها حينئذٍ بفعل الكلام"⁽²⁾.

وما نستنتجه من خلال قول "أوستين" هو أن الفعل الكلامي لا يكون موفقاً وناجحاً إلا إذا حقق مقصده، ويلاحظ هذا القصد من خلال التغيرات الحاصلة على المخاطب ذاته بالدرجة الأولى مما يحدثه من تأثير فيه، ولكي يكون هذا الفعل ناجحاً ومحققاً للغرض والقصد المرغوب منه فيجب على المتكلم امتلاك القدرة على الملاءمة بين التركيب اللغوي والغاية منه، وهذا الأمر يستدعي منه العلم بمقاصد القول حتى يحقق أغراضه المطلوبة.

ومن الأمثلة التي تبين دور فهم المقصد ما ذكره "ابن عبد ربه" من أنه في مرة من المرات دخلت ليلي الإخيلية على الحجاج فأسمعته أبياتاً من الشعر تمدحه بها، فقالت:

إِذَا وَرَدَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً ... تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْغُضَالِ الَّذِي بِهَا ... غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاطَةَ سَقَاهَا.

فقال لها الحجاج: لا تقولي غلام بل قل لي همام لتناسب اللفظ، فالقصد الذي ترمي إليه⁽³⁾. ومن هنا يتضح لنا أن تحقيق الفعل الكلامي لا يتم إلا عن طريق إيصال القصد المراد، وهذا ما يقره الطرح التداولي فهو لا يقوم على إنتاج لغوي فحسب بل تنظمه مجموعة من المبادئ التي تُسَهِّمُ وتُكَمِّنُ المتكلم من تبليغه، كما أنها تؤمن للمتلقي سيرورات التأويل لفهم المعنى.

1 - جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ص178.

2 - عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، الدار البيضاء للعلوم، الجزائر، ط1، 2009، ص71.

3 - : إسماعيل بن بلقاسم (أبو علي البغدادي القالي): الأمالي، بيروت، دط، دت، ج1، ص86.

3-3-الحالية:

يعد الفعل الكلامي فعلاً يمزج بين المتكلم والإنتاج اللغوي من جهة، وبين المتكلم وقصده والسياق الذي قيل فيه فعل التلفظ من جهة ثانية، فمثلاً نجد أنفسنا أننا قد نستعمل القول الواحد لكي ننجز من خلاله أوجه مختلفة وقد نستعمله للأخبار أو التعجب أو الاستفهام، إذن فالفعل الكلامي يخضع بالضرورة للسياق المقامي الحالي الذي يُنتج فيه الكلام.

وتظهر صفة الحالية أهمية الفعل الكلامي البالغة من خلال الملاحظات التي أبداها "جون أوستين"، والتي تخص تلك الجمل التي لا تصف واقعة ما أو تخبر عنها، إنما تنشأ في الواقع، وهي بهذا لا يمكن التأكد من صدقها أو كذبها لأنها صفتان للحكم على الواقع، لا إنجازها، وهذا ما جعل "أوستين" يُقسّم الجمل إلى: "إنشائيات أو جمل إنشائية" في مقابل "الإخباريات" أو "الجمل الخبرية".

ومن أجل أن نبين هذا الصنف من الجمل نمثل له كالاتي:

- أسمى هذه الباخرة الملكة إليزابيث: وهذه العبارة تقال عند تدشين الباخرة.
- نعم أقبل أن تكون هذه المرأة زوجتي الشرعية.
- أراهنك بستة دراهم على أنّ السماء ستمطر غداً⁽¹⁾.

إنّ الملاحظ لهذه الأمثلة الثلاثة يجد أن الفعل الكلامي مقترن بحال معينة وأدى فيها كل منطوق: فالمثال الأول يقال عند التصريح بتسمية الأشياء، أما المثال الثاني فيُقال في حال أداء مراسم الزواج، أما المثال الأخير فيقال في المراهنة.

لكن التلفظ بالفعل الكلامي في كل مثال اقترن بحال معينة، فلا يمكن أن أتلفظ بفعل "أراهنك" في حالة أداء الزواج مثلاً، وهذا ما يدل على امتلاك الفعل الكلامي للصفة الحالية وخضوعه لها.

¹ - ينظر: جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص16.

4—تمثيلات المعنى التداولي انطلاقاً من أصناف القوى الإنجازية للفعل الكلامي من خلال نماذج مختارة:

قسّم التداوليون التعابير اللغوية تحت مصطلح الأفعال الإنجازية قسمين هما: جمل إنجازية تحمل دلالة ظاهرة؛ أي "معنى ظاهر"، وجمل إنجازية تحمل دلالة ضمنية أو متضمنة؛ أي "معنى ضمني غير ظاهر"، وتكمن أهمية القوة الإنجازية التي تحدث عنها كل من "أوستين وسيرل" في كونها توصل المتكلم إلى التأثير في المخاطب عن طريق أساليب مباشرة وأخرى غير مباشرة تحمل في طياتها المعنى المراد من وراء التلفظ وهذه بعض الأمثلة التي يمكن من خلال شرحها أن نتبين جيداً معنى القوى الإنجازية ودورها في تحديد المعنى التداولي في نظرية أفعال الكلام:

4-1-تمثيلات المعنى في القوة الإنجازية للإخباريات:

إن المقصود من "الإخباريات" الأفعال الكلامية التي يمكننا من خلالها وصف وقائع وأحداث العالم، أما غرضها الإنجازي فيتحقق عندما يتم نقل هذه الأحداث والوقائع نقلاً أميناً، وقد وردت أفعال الكلام بصيغة الإخبار في القرآن الكريم، مع اختلاف أغراضها الإنجازية، حيث حمل الخطاب القرآني العديد من الإخباريات التي تنقل من خلالها الحوادث والمشاهد وصورها، وقد اختلفت القوة الإنجازية للإخبار في القرآن الكريم بحسب توفر العناصر اللغوية ومنها: المؤكدات ومراعاة حال المتلقي الذي يوجه له هذا الخطاب، ونجد في القرآن الكريم أيضاً العديد من الآيات التي حملت إخباراً وحوّت أفعالا كلامية صورت من خلالها مشاهد الدعوة، وجسدت كذلك أسلوب الرسل في ذلك، ومن بينها نذكر:

يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (60) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أَبْلُغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62)﴾ الأعراف من 59-62

فالآية الكريمة تصف حال نوح عليه السلام وأنه نبي مرسل ومبلغ عن رب العالمين، وفي الوقت ذاته هي تنبئ عنه ما يُنسب إليه من الضلالة والزيف، وقد أوردت مجموعة من أفعال الكلام التي جاءت بصيغة المضارع الذي أفاد الحال والاستقبال وهذه الأفعال هي: (أُبَلِّغُكُمْ، أُنْصَحُ، أَعْلَمُ) وكلها أفعال صريحة مباشرة غرضها الإخبار عن سيادة الحق ودحض الباطل من خلال استعمال الوصف.

-ومن بين الأمثلة الدالة على ورود الإخباريات بشكل متكرر في الخطاب القرآني كذلك قوله ﷺ: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ القمر آية 09. وفيها فعل كلامي (قَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) حيث جاء بصيغة الإخبار لكن الغرض الإنجازي الذي أداه هو وصف نوح عليه السلام ونسبهم صفة الجنون له.

إضافة إلى ذلك الإخبار في قوله ﷺ: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ هود - آية 32.

احتوت هذه الآية على فعلين كلاميين جاءا بصيغة الإخبار، وغرضهما الإنجازي هو التقرير، أما الأول فهو قوله ﷺ: (جَادَلْتَنَا)، وأما الثاني فقوله ﷺ: (فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا).

-ومن أمثلة الإخبار بالأفعال الكلامية والتي وردت بكثرة في الخطاب القرآني نجد كذلك قوله ﷺ على لسان نبيه "نوح" عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا 5 فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا 6 وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا 7 ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا 8 ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا 9 فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا 10 يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا 11 وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا 12﴾ نوح- الآيات 12-05.

احتوت الآية على العديد من الأفعال الكلامية الإخبارية والتي حاول من خلالها نبي الله نوح ﷺ أن يخبر عن جهوده التي بذلها في سبيل دعوة قومه للإيمان، ومن بين هذه الأفعال الكلامية (دعوت، جعلوا، استغشوا، قلت ...) حيث حملت هذه الأفعال الكلامية قوة إنجازية

حرفية تمثلت في الإخبار والوصف بشكل صريح ومباشر، في حين حوت قوة إنجازية ضمنية تمثلت في الشكوى لله وطلب النصر منه.

ونجد كذلك ورود أفعال الكلام في الأحاديث النبوية الشريفة بصيغة الإخبار، خاصة وأن الرسول ﷺ يود تحقيق رسالة لنا من خلال إخباره عن بعض الأمور الغيبية ومن ذلك: - ما جاء في كتب الأحاديث ومنها كتاب الإمام "مالك" الذي سماه "الموطأ"⁽¹⁾، عن إخبار الرسول ﷺ في بعض الأمور الغيبية منها إخباره عن صفات النار، حيث وصف حدها ولونها، قال رسول الله ﷺ: (أَتَرَوْنَهَا حمراءَ كَنَارِكُمْ هذه؟! لَهَا أَشَدُّ سَوَادًا مِنَ الْقَارِ وَالْقَارِ (الزَّفْتُ)، فنجد أنه في قول الرسول ﷺ: (لَهَا أَشَدُّ سَوَادًا مِنَ الْقَارِ) فعل كلامي إخباري، حيث أكد من خلاله على درجة شدة حر النار ولونها، وفي هذا الإخبار تحذير شديد منها وما يقرب إليها من قول أو عمل، وانطلاقاً من هذا المثال نجد أن الفعل الكلامي قد تعدى معنى الإخبار والوصف لينجز بذلك أفعالا تأثيرية أخرى كالتحذير.

-ومما أعلم عنه الرسول ﷺ وأخبر به كذلك والذي يندرج في هذا الصنف من الغرض الإنجازي، إخباره عن الساعة في يوم الجمعة حيث قال ﷺ: (خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أَهْبَطَ مِنَ الْجَنَّةِ وَفِيهِ تَبَّ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مَصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينَ تَصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ إِلَّا الْجَنُّ وَالْإِنْسُ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يَصْلِي يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أُعْطَاهُ إِيَّاهُ)⁽²⁾.

نجد في هذا الحديث الشريف توالي للأفعال الكلامية التي تعلم المخاطب بحقيقة يوم الجمعة عند المسلمين وما الذي جعل منه يوماً مميزاً، وقد اشتركت هذه الأفعال في خاصية مجيئها بصيغة الإخبار إلا أن أغراضها الإنجازية والمعاني التي أدتها اختلفت، فمنها

¹ - مالك بن أنس: الموطأ، مراجعة وإشراف نخبة من العلماء، دار الجبل، بيروت، لبنان، د ط، دت، كتاب جهنم، الحديث

الأول، ص 863

² - المرجع نفسه، ص 76-78.

الإخبار ومنها الترغيب والدعوة إلى استغلال هذا اليوم كله في الصلاة والدعاء.

-ونجد كذلك من بين الأحاديث النبوية التي أتت الأفعال الكلامية فيها بصيغة الإخبار قوله عليه أفضل الصلاة والسلام: (إِى خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ) (1).

وقد حوى الحديث أفعالا كلامية إخبارية أعلمت المسلمين بأسماء الرسول وسبب تسميته بها وهذه الأفعال الإخبارية هي: " الماحي " "الحاشر" وهما أسمى فاعل فالأول دلّ على محو الكفر، والتالي حشر الناس يوم القيامة، وكذلك: العاقب بمعنى آخر الأنبياء.

هذه بعض الأمثلة التي استطعنا من خلالها أن نبين الفرق بين ما يفيد المعنى الحرفي للفعل الكلامي الإخباري وما يفيد معناه الضمني المحتوى فيه عن طريق قوة الانجاز.

4-2-تمثلات المعنى في الأغراض الإنجازية لأفعال التوجيه (التوجيهات):

كما أشرنا سابقا في شرح التوجيهات أو كما تسمى بالأمريات أو أفعال التوجيه، فهي من أفعال الكلام التي تدفع مستعملها إلى جعل شخص آخر وهو المخاطب يقوم بأمر ما، وبالتالي هي تعبر عما يريده المتكلم، وقد احتلت أفعال التوجيه أو الأمر حيزاً كبيراً في النص القرآني، وذلك راجع إلى كلام الله ﷻ على لسان رسله وأنبيائه وتوجيه أممهم إلى عبادته وحده لا شريك له، ومن أمثلة ذلك قوله ﷻ في سورة الأعراف على لسان نبيه شعيب: ﴿وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۖ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۖ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ الأعراف - آية 85.

القارئ لهذه الآية الكريمة يجد أنها احتوت على أفعال كلامية توجيهية منها ما أتى على صيغة الأمر كقوله: (اعبدوا، أوفوا)، ومنها ما جاء بصيغة النهي (لا تبخسوا، لا تفسدوا)، فقوله ﷻ: (اعْبُدُوا اللَّهَ) فعل كلامي أمر بالتوجيه إلى عبادة الله تعالى وتوحيده وحده لا شريك له.

1 - مالك بن أنس: الموطأ، كتاب أسماء النبي ﷺ، ص 875.

الفصل الثانيتجليات المعنى في الفكر التداولي

وقوله ﷺ: (فَأَوْفُوا الْكَيْلَ) فالفعل الأول كلامي أمر بإبقاء الكيل والميزان، والفعل الكلامي التالي نهى عن انتهاك حقوق وأشياء الناس وكلاهما فعلاّن كلاميان توجيهيان.

- وأخيرا قوله ﷺ: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا)، فعل كلامي نهى عن الإفساد في الأرض، وغرضه الإنجازي الدعوة إلى الإشفاق على خلق الله ﷻ.

وتعد توجيهات الله ﷻ على لسان رسول الله ﷺ من أكثر المواضيع التي أتى بها القرآن الكريم في العديد من المواطن ومن أمثلة ذلك توجيه الرسول الناس إلى توحيد الله ونهيهم عن طريق الشرك والمعاصي ومن بين الآيات الدالة على ذلك نجد قوله ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِ ۖ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ ۚ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۚ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ 151 وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۚ لَا نُكَفُّ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۚ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ 152 وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۚ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام الآية 151-153.

إن المطلع على حواه التركيب اللغوي لهذه الآية الكريمة من مكونات ليجد أن فيها مجموعة من الأفعال الكلامية التي تكتسي صيغة التوجيه على اختلاف غرضها سواء أكان أمرا على القيام بشيء أم كان نهيا وتوجيها لتجنب القيام به، ومن بين الأفعال التي أتت بصيغة النهي نذكر: (لا تشركوا، لا تقتلوا، لا تقربوا)، وقد كان الهدف من صيغة النهي، هو توجيه الناس إلى عدم الإساءة وحسن معاملة بعضهم البعض.

أما فيما يخص الأفعال التي أتت بصيغة الأمر في هذه الآية فنذكر: (أوفوا، اعدلوا، اتبعوا)، وهي أفعال توجيهية يفهم من خلالها المتلقي أو المخاطب حفظ نظام تعامله مع باقي الأفراد.

كما نجد كذلك أفعال التوجيه التي أوردتها الله ﷻ على لسان نبيه لقمان وهو يُوجه وينصح ابنه ويغضه ومن أمثلة ذلك قوله ﷻ: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ 17 وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ 18 وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ 19﴾ لقمان آية 17-19.

لقد اشتمل خطاب الله ﷻ على لسان نبيه لقمان على جملة من الأفعال الكلامية التي وردت بصيغة الأمر نذكر: (أقم، أوامر، إنه، اصبر، أقصد، أغضض)، والغرض الإنجازي أو المعنى الذي أدته هذه الأفعال هو الدعوة إلى القيام بالأعمال الصالحة في الدنيا من صلاة وقيام وأمر بالمعروف...إلخ.

ومن الأفعال الكلامية التوجيهية التي وردت بصيغة النهي نذكر: (لا تصغر، لا تمش)، وقد وردت بصيغة النهي لتوجه المخاطب وهو ابن لقمان الحكيم إلى التأدب في تعامله مع الناس.

وهنا ومن خلال النماذج السابقة نقف على ما لأفعال الكلام من دور بالغ الأهمية في توجيه معنى النص القرآني، يتمثل في توجيه المخاطب للقيام بتوحيد الله تعالى وعبادته ودعوته إلى الابتعاد عن الشرك وما يحيط به من أعمال منافية للشرع والدين، وذلك كله ليتمكن المسلمون من فهمه في أحسن صورة وأبسط تعبير.

وإذا توجهنا صوب السيرة النبوية فإننا نجد أيضا ورود أفعال الكلام التوجيهية في العديد من أحاديث الرسول ﷺ ومن أمثلة ذلك حديث رواه الإمام مالك، عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمان بن عوف، أن رجلا أتى إلى رسول الله فأنسى، فقال رسول الله ﷺ: (لا تَعْضِبْ)، وإذا ما تأملنا هذا الحديث لوجدنا أنه من الكلام القليل الألفاظ الجامع للمعاني الكثيرة، ففي لفظة (لا تغضب) نهى الرسول ﷺ عن فعل الغضب ووجه وأرشد في الوقت نفسه إلى كظم الغيظ وحبب إليه، إذا هو فعل كلامي مباشر دلت صيغته الحرفية على النهي، وحمل صيغة غير مباشرة وهي توجيه المسلم الى كظم الغيظ والابتعاد عن الغضب.

4-3-تمثيلات المعنى من خلال الأغراض الإنجازية للالتزاميات (أو الوعديات)

هي أفعال كلامية يقوم بها المتكلم ويقصد من ورائها الالتزام بأمر ما في المستقبل ومثال على ذلك أفعال الوعد والقسم، وقد كان لهذا النوع من أفعال الكلام ورود في القرآن الكريم على السنة الأنبياء والرسل، وذلك أن الله ﷻ يعد المؤمنين بأشياء كثيرة، لقاء عبادته وطاعته، فنجد قوله ﷻ على لسان سيدنا نوح وهو يدعو قومه : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا 10 يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا 11 وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ نوح الآية 10-12.

لقد اشتمل خطاب نوح عليه السلام لقومه عددا كبيرا من الأفعال الكلامية التي أتت بصيغة الوعد والالتزام الذي سيحضون به من قبل الله ﷻ لو أطاعوه، وهذه الأفعال هي: (يرسل ، يمدكم، يجعل لكم) وهي كلها أفعال إنجازية أتت بصيغة المضارع لأن الوعد والالتزام يكون بفعل شيء ما في المستقبل.

ونجد كذلك من صور أفعال الكلام الدالة على الالتزام في الخطاب القرآني ما ورد في قصة موسى عليه السلام مع سحرة فرعون، قال ﷻ: ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۚ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الشعراء، آية 49.

ففي الخطاب القرآني الذي لسان فرعون نجد أنه احتوى على فعلين كلاميين إلزاميين هما الفعلان (أَقْطَعَنَّ، أَصْلَبَنَّكُمْ) وهما فعلا مزارعان اقترن الفعل الأول بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة ليحمل القوة الإنجازية الدالة على التهديد وقوة الوعيد لما سيفعله بالسحرة.

ونجده ﷻ في سياق آخر يقول على لسان نبيه "هود عليه السلام": ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الأعراف - آية 65.

وابن عاشور في تفسيره لهذه الآية يذكر أنها احتوت فعلا كلاميا دلّ على الالتزام لكن لم يحقق بشكل صريح وإنما بشكل ضمني يفهم من خلال المعنى حيث يقول: "...ولم يتقدم

الفصل الثاني.....تجليات المعنى في الفكر التداولي

ما يفيد أنه توعدهم بسوء فيحتمل أن يكون وعيدا ضمنيا تَضَمَّنَهُ قوله " أفلا تتقون " لأن إنكاره عليهم انتقاء الانتقاء دليل على أن ثمة ما يحذر منه...⁽¹⁾.

ونجد كذلك أن أفعال الكلام بصيغة الالتزام واردة بكثرة في أحاديث الرسول ﷺ لأن أغلب الأحاديث النبوية فيها ترغيب وترهيب، وغالبا ما تقترن الأفعال الكلامية في الأحاديث النبوية بأفعال الوعد والوعيد، لأن الرسول ﷺ عندما يقوم بالترغيب لفعل شيء ما فإنه في النهاية يَعِدُ فاعله بالثواب، وعندما يرهب ويهدد من القيام ببعض الأفعال فإنه يتوعد في الأخير بالعقاب إن هو قام به، ومن الطبيعة البشرية التي فطر الله عليها الإنسان هو أنه يُقْبَل على كل ما هو نافع ويقطع عن كل ما هو ضار.

ومن الأفعال الكلامية التي أتت بغرض الالتزام في الأحاديث النبوية ما دل منها على الترغيب في الفعل، ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: (ما من امرئ يتوضأ فيُحَسِّنُ وُضوءَهُ، ثم يصلي الصلاة إلا غُفِرَ له ما بينه وبين الصلاة الأخرى، حتى يُصَلِّيَهَا)⁽²⁾.

يحمل هذا الحديث في طياته ترغيبا للمؤمن في الوضوء وما يلزم عنه من ثواب وأجر وغفران للذنوب، لأن الوضوء يطهر الإنسان من الخطايا.

ونجد كذلك من بين الأحاديث التي رَغِبَ فيها أصحابه للقيام بالعمل وما يترتب عنه من أجر قوله ﷺ: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر)⁽³⁾.

ففي هذا الحديث ترغيب واضح من الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه في الاغتسال يوم الجمعة والتبكير للصلاة، ويكون الأجر على قدر وقت الإقبال وهنا نوع من

1 - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984 م، م 4، ج 8، ص 209.

2 - مالك بن أنس: الموطأ، كتاب الطهارة للصلاة، ص 897.

3 - المرجع نفسه: كتاب الجمعة، الحديث الأول، ص 91.

الالتزام وهو أنه كلما كان إيكار المرء للمسجد زاد أجره والعكس صحيح.

4-4-تمثلات المعنى انطلاقاً من الأغراض الإنجازية للتعبيريات:

يحتوي القرآن الكريم خطاب الله ﷻ، العديد من المواضع التي توالى فيها مظاهر التعبير مستعملاً في ذلك أفعال الكلام ولعل أبرز المظاهر التعبيرية في القرآن الكريم نجدها في قصة سيدنا يوسف عليه السلام كقوله ﷻ: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يوسف - آية 84.

إن القارئ لهذه الآية يجد فيها العديد من الأفعال الكلامية المعبرة عن حالة سيدنا يعقوب جراء فقدان ولده يوسف وما قاساه من الألم والحزن وهذه الأفعال هي : (تولى، ابيضض)، يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: " والفعل "تولى" وصيغة المبالغة "كظيم" يدلان على الاعتزال والاختناق والاختلاء بالنفس وعدم بث الشكوى للغير، وكلها أفعال كلامية تعبيرية تبرز الحالة النفسية ليعقوب عليه السلام، وموقفه مما أصابه، وبالتالي ظهرت هذه الانفعالات النفسية على العي وأدت الى إضعاف البصر وابيضاض العينين ومعلوم أن كتم الأحزان والألام النفسية يؤثر على البدن والحواس"(1).

ونجد كذلك مجموعة من الأفعال الكلامية التعبيرية التي وردت في قصص أنبياء ورسل آخرين منها قوله ﷻ على لسان سيدنا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ القصص - آية 16.

حوت هذه الآية الكريمة فعلين كلاميين تعبيرين هما: (ظلمت، اغفرلي) وقد جاءا لتبيان موقف نفسي وهو الاعتراف بالخطأ ثم طلب الصفح والغفران وطلب المغفرة يبين خضوع موسى لربه ﷻ طامعاً في غفرانه ورحمته.

إذن قد جاءت أفعال الكلام بصيغة التعبيرية معبرة عن جملة من الحالات النفسية والمواقف التي تختلج نفس المتكلم، ومن أمثلة ذلك قوله ﷻ على لسان نبيه لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ هود - آية 80.

1 - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج6، ج13، ص42.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية الكريمة: "... استمرارهم في غيهم وَضَعُف عنهم ولم يقدر على دفعهم عن معصيتهم، تمنى لو وجد عوناً على ردّهم ويظهر ذلك من خلال حالة "التفجع" التي أحس بها والتي تمثلت في قوله: " لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً "(1).

لقد كان لأفعال الكلام دور كبير في إبلاغ التعبيري النفيس الذي عاشه أنبياء الله وقد لاحظنا هذا من خلال ما أوردنا من أمثلة سابقة حاولنا من خلالها إبراز دور أفعال الكلام في إعطاء جانب من الجمالية للنص القرآني وذلك كونها سهلت للقارئ أو المتمعن في كلماته الوصول الى المعنى الذي يقصده هذا الخطاب الإلهي.

ومن جهة أخرى إذا توجهنا صوب أحاديث الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى السّلام فإننا نجد أن أحاديثه احتوت على العديد من أفعال الكلام التي عبرت عما يحس به العديد في كثير من المواقف، نذكر البعض منها:

لقد كان قلب النبي ﷺ مولعاً بالمدينة المنورة حبا وقد عبر عن ذلك في العديد من المواضع منها قوله عليه الصّلاة والسّلام: (مَا عَلَى الْأَرْضِ بُقْعَةٌ مِنَ الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَبْرِي بِهَا مِنْهَا) مكررا ذلك ثلاث مرات(2).

ونجد كذلك من أفعال الكلام التعبيرية التي استخدمها رسول الله ليبرر عما في نفسه من مشاعر ما ورد في أحاديثه التي فيها دعوة وترغيب في الجهاد قال عليه الصلاة والسلام: (لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ قَالَ عَلَى النَّاسِ لِأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَتَخَلَّفَ عَنْ سَرِيَّةٍ تَخْرُجُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَجِدُونَ مَا يُتَحَمَّلُونَ عَلَيْهِ، وَلَشَقَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا بَعْدِي، أَوْ نَحْوَهُ. وَلَوِدِدْتُ أَنِّي أَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ) (3).

1 - محمد بن جرير (الطبري): جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2000م، ص180.

2 - مالك بن أنس: الموطأ، كتاب الجهاد، الحديث السابع، ص 404 .

3 - المرجع نفسه، كتاب الجهاد، الحديث الثاني، ص 407.

يعبر هذا الحديث الشريف عن مدى حب رسول الله ﷺ للجهاد في سبيل الله وترغيبه فيه وذلك من خلال استعماله لفعل الكلام الدال على المحبة وهو الفعل (وَدِدْتُ) وفيه نوع من التمني وهو تمنى الرسول ﷺ أن يحيا ثم يُقْتَل في كل مرة يجاهد فيها في سبيل الله.

4-5-تمثلات المعنى انطلاقاً من الأغراض الإنجازية للتصريحات:

تعددت تجليات أفعال الكلام في النص القرآني على اختلاف أصنافها ومن بينها أفعال الكلام الدالة على الإعلان ومن أمثلة ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَرِلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ مريم - آية 48

وقد أدى هذان الفعلان غرضاً إنجازياً تمثل في إعلان إبراهيم عن اعتزال عبادة الأوثان التي يقوم بها والده وقومه، يقول ابن عاشور: " وزاد على الإعلان باعتزال أصنامهم، الإعلان بأنه يدعو الله احتراساً من أن يحبسوه أنه نوى مجرد اعتزال عبادة أصنامهم، فربما اقتنعوا بإمساكه عنهم، ولذلك أعلن لهم أنه بعكس ذلك يدعو الله الذي لا يعبدونه "(1).

ونجد كذلك من بين صور أفعال الإعلان الواردة في الخطاب القرآني قوله تعالى في قصة موسى مع فرعون: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ 120 قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ 121 رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ الأعراف - آية 120-122

نلاحظ في هذا الحوار الذي دار بين سيدنا موسى وسحرة فرعون ورود فعل كلامي دال على الإعلان والتصريح وهو الفعل (آمَنَّا) ويحمل هذا الفعل الكلامي غرضاً إنجازياً وهو إعلان سحرة فرعون إيمانهم بالله تعالى وقد اقترن فعل الإعلان بفعل السجود وذلك للاعتراف بعظمة الله ﷻ وخضوعهم له يقول ابن عاشور: " الهوي للسجود اشتمل على ذلك القول أي قولهم "آمنا" وهم يقصدون من قولهم ذلك الإعلان بإيمانهم "(2).

1 - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج 07، ج 16، ص 122.

2 - المرجع نفسه، مج 07، ج 16، ص 53

ومن بين أمثلة أفعال الكلام كذلك الدالة على الإعلان في القرآن الكريم قوله تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ ۖ أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ الأعراف - الآية 71.

يقول ابن عاشور: " لقد صُدِّرَ فعل الإعلان بحرف التحقيق "قد" وَخُتِمَ بفعل الوعيد والتهديد "انتظروا" وهذا فيه تأكيد لوقوع العذاب"(1).

إذن فقد تضمنت هذه الآية الكريمة فعلا كلامياً دلَّ على الإعلان تمثلت قوته الإنجازية في إعلان هود عليه السلام وقوع العذاب والهلاك على قومه نتيجة لتكذيبهم وإصرارهم على الكفر والمعصية.

ما يمكن قوله كختام لهذا المبحث هو أن للأفعال الكلامية على اختلاف أغراضها الإنجازية دور في تقريب المعنى للمتلقي بشكل سهل ومفهوم وواضح يُفهمُ خاصة عند ربطه بالقصد الذي يعنيه المتكلم سواء أكان قصدا مباشرا يظهر بشكل صريح أم كان متضمنا في الكلام أي غير مباشر ولا يظهر في التركيب الحرفي، وبالتالي كان لنظرية أفعال الكلام غاية وهي إيصال المعنى في أبسط صورته ليفهمه الجميع ممن يستعملون اللغة.

¹ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 63.

المبحث الثاني: الاستلزام الحواري وأثره في اتساع المعنى التداولي عند "بول غرايس"

1- نشأة فكرة الاستلزام الحواري في الحقل التداولي:

يعد الاستلزام من أهم الجوانب التي اهتم بها الدرس التداولي وله تاريخ ممتد، إذ ترجع نشأة البحث في هذا المصطلح الى اللغوي "بول غرايس" الذي كان من بين فلاسفة جامعة أوكسفورد المختصين في دراسة اللغة الطبيعية، وأول من استَخدمَ مصطلح الاستلزام الحواري، وكان ذلك في محاضرة ألقاها في جامعة هارفارد الأمريكية سنة 1967م، حيث قام فيها بتقديم تصوره حول هذه الفكرة من الدرس التداولي وأعطى كذلك الأسس المنهجية التي تقوم عليها (1).

وقد كانت نقطة البدء التي انطلق منها "غرايس" هي ملاحظة الحوارات التي تدور بين الأشخاص حيث لاحظ أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون فبنى نظريته في الاستلزام الحواري انطلاقاً من فكرة إيضاح الاختلاف بين ما يُقال وما يُقصدُ، وما يعنيه غرايس "بما يقال" هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظية، وما عناه "بما يُقصدُ: هو ما يريد المتكلم أن يوصله للسامع على نحو غير مباشر (2).

وما يمكننا قوله هنا هو أن نظرية "غرايس" في الاستلزام الحواري أقامها أساساً ليُحدِثَ ربطاً بين ما يحمله القول من معنى صريح، وما يحمله من معنى متضمن، ومن هنا نشأ ما سمي عنده بفكرة الاستلزام.

وقد أكد "بول غرايس" في محاضراته أن السبب في تواصل البشر بعضهم مع بعض، تواصلًا مناسباً يرجع الى اتسامهم فطرياً بالميل إلى مساعدة الآخرين ومعاونتهم، لذلك كان علينا أن نُعيّن مبادئ يتأسس عليها هذا السلوك التعاوني، ومنه اقترح في هذا الصدد أربعة مبادئ للحوار تتمثل في مبدأ الكم، مبدأ الكيف، مبدأ الملاءمة، مبدأ الجهة، وإنَّ مراعاة هذه

1 - محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص34.

المبادئ وفق منظور "غرايس"، إضافة إلى مبدأ التعاون، يجعل الحوار يتم بطريقة مثلى قائمة على ما يلزم من التعاون والفاعلية بين المتخاطبين وهو السبيل الكفيل لجعل المتحاورين يبلغون مقاصدهم (1).

2- مفهوم الاستلزام الحواري:

2-1- لغة:

-في المعاجم الغربية:

في معجم المورد الحديث مصطلح الاستلزام **implication** بمعنى: تضمين، تضمن المتضمن، ومشتقة من الفعل **imply** بمعنى يتضمن (2).

-في المعاجم العربية:

جاء في لسان العرب أن مصطلح الاستلزام يعود أصل جذره اللغوي إلى الفعل: (ل- ز-م) يُقال: رجل لزمه، يلزم الشيء فلا يفارقه، واللزام، الفيصل جدًا، يقول **رَجُلٌ: ﴿قُلْ مَا يَغْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾** الفرقان - آية 77. أي ما يصنع بكم ربي لولا دعاءه إياكم إلى الإسلام، فقد كذبتكم فسوف يكون لزاما أي عذابا لازما لكم (3).

2-2- اصطلاحا:

الاستلزام هو التداخل بين ما يوجد داخل اللغة وما يوجد خارجها أي ما بين البنية اللغوية وما تؤديه من معاني، ما يربطها بمختلف السياقات التي تنتج فيها. والحوار هو فعل قاصد يتجلى أساسا في صورة من المتواليات للأفعال الكلامية، حيث يتداولها واحد أو أكثر من المتحاورين، ويوجهها هدف مشترك يتعاون الطرفان من أجل تحقيقه، وذلك عن طريق التزامهم بجملة من الضوابط والمقتضيات (1).

1 - ينظر: عبد الحميد جحفة: مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص31.

2 - رمزي منير بعلبكي: المورد الحديث قاموس انجليزي -عربي، دار العلم للملايين، لبنان، د ط، د ت، ص 574.

3 - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مج14، مادة "لَزَمَ".

وقد عرّف "عبد الهادي الشهري" الاستلزام الحواري من خلال مطابقته بين مفهوم غرايس ومفهوم الأصوليين، حيث قال: "يعبر المرسل بالمفهوم بدلا من اقتصاره على التعبير عن قصده بالمنطوق والأصوليون يفرقون بين منطوق الجملة ومفهومها، ومنطوقها هو ما يتبادر إلى ذهن السامع مباشرة من سماعه الجملة ومفهومها هو ما يُستعمل له هذه العبارة بطريقة غير مباشرة، وقالوا هو مفهوم المخالفة ومفهوم الموافقة ويفيد تماما ما يقصده غرايس بالاستلزام في أثناء الحوار الذي يدور بين طرفي الخطاب"(2).

وتعرفه بشرى البستاني: "بقولها: " الاستلزام الحواري هو إعطاء الأولوية القصدية للمتكلم أو ما يُسمى بالدلالة غير الطبيعية والاهتمام لها بشكل كبير"(3).
ما يمكن قوله عن الاستلزام الحواري هو أنه جانب يسعى إلى الكشف عن مقاصد المتكلمين أثناء التواصل.

ويعرّف أيضا بأنه: "عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر أو أقل أنه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه، ولا يكون جزءا مما تعنيه الجملة حرفيا"(4).
بمعنى أنه المعنى الثاني الذي لا يصرح به المتكلم، ولكنه يظهر من خلال عملية تأويل الكلام لفهم المعنى والوصول إليه.

3- أنواع الاستلزام الحواري:

بعد أد درس "بول غرايس" فكرة الاستلزام الحواري قسمه إلى نوعين هما:

1 - ينظر: رشيد الرّاضي: الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى الحوار في الحوار، الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 74-75.

2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 429، 430.

3 - بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012، ص86.

4 - صلاح إسماعيل عبد الحق: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية، القاهرة، ط1، 2005م، ص 78.

3-1-الاستلزام الحواري الخاص:

هو استلزام لا يمكن فهمه أو استنتاجه إلا من خلال الخضوع إلى السياق ومعرفة الظروف التواصلية المحيطة بكل عملية حوار خاصة (1).

ومنه فالاستلزام الحواري الخاص يتعلق بالسياق الذي يتبادل فيه المتحاورون الحوار، وكذلك يتعلق بالمعلومات المتبادلة بين هذين الطرفين، ولا يتَّوَصَّلُ إليه إلا بواسطة عملية استنتاج تقوم أساساً على مبادئ الحوار ومثال ذلك: لو قال أحدهم: " الحرُّ شديد في هذه الغرفة"، وكان يرغب من صاحب البيت الذي هو المتلقي أن يفتح النافذة، فهذا يكون قصده " افتح النافذة "

3-2-الاستلزام الحواري العام:

ينتج هذا النوع من الاستلزام الحواري بشكل طبيعي، لأنه يدخل في الاستعمال العام للغة، وذلك عن طريق بعض التراكيب اللغوية والمعاني المعجمية للكلمات، ويستغني هذا النوع من الاستلزام عن السياقات المختلفة التي تحدث فيها عملية الحوار (2). ولا يأخذها بعين الاعتبار، بل يعتمد فقط على ترتيب مكوناته اللغوية المشكلة للجملة أو التعبير اللغوي أي يعتمد صفة الترتيب في التركيب اللغوي.

ومثال على ذلك: قولك: " دخلت متجراً بالأمس"، فهذا يريد المتكلم أن يقول بأنه دخل متجراً أجنبياً ليس له، ويفهم المتلقي انطلاقاً من العبارة اللغوية نفسها وذلك لأن المتكلم استعمل صيغة النكرة في قوله "متجراً"، وهذه الجملة تختلف من حيث معناها عن قولك "دخلت متجري بالأمس" أو قولك: "دخلت المتجر بالأمس"، فالمعرفة هنا دلت على معرفتك للمتجر أو أنه ملكك.

¹ - ينظر: سعاد ميرود: الاستلزام الحواري في سورة طه، تحليل تداولي وفق نظرية غرايس، مجلة المدونة، جوان 2018، مج:05، العدد:01، ص 325.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 327.

4- خصائص الاستلزام الحواري:

تحدث "غرايس" عن خصائص الاستلزام الحواري أثناء عملية تمييزه بين الاستلزام الحواري والاستلزام العرفي، وهذه الخصائص حصرها فيما يلي:

4-1- الاستلزام الحواري قابل للإلغاء:

قد يُلغى الاستلزام الحواري عادة إذا أضاف المتكلم قولاً يمنع به حدوث استلزام حواري لدى متلقي ما أي يكون في كلامه الأول استلزام ثم يقول قولاً يحول دونه (1). فإذا قالت طالبة في إجابة لأستاذها عن سؤال سألته: "أنا لم أقرأ كل كتب المادة"، فقد يحدث استلزام عند الأستاذ أنها قرأت بعضها، لكن لو أعقبت طالبة قولها بقول آخر وهو: "الحق أنني لم أقرأ أي كتاب من كتب المادة"، فقد قامت بإلغاء هذا الاستلزام، وهذه الخاصية من خصائص الاستلزام تبين الاختلاف بين المعنى الصريح والمعنى المستلزم.

4-2- الاستلزام الحواري قابل للتغيير:

وهذه الخاصية من خصائص الاستلزام الحواري استطاع من خلالها "بول غرايس" أن يبين أن الاستلزام الحواري يتغير بتغير السياقات التي قد تتعدد ويتردد فيها التعبير الواحد (2). ومثال على ذلك: قد نسأل تلميذاً لاحظنا عليه علامات الجد والاجتهاد، وقد نجح في الامتحان فنقول له "كم عمرك"، ففي هذا السياق يستلزم العلم بالعمر التشجيع والرضا عليه وعلى نتائجه.

لكن الأمر يختلف لو سألنا تلميذاً آخر كثير الشغب وتبدوا عليه الملامح أنه كبير في السن، فيستلزم العلم بالسن في هذا السياق مؤاخذته ولومه كونه كبير في السن ويقوم بتصرفات غير مرضية، والأمر يختلف أيضاً لو سألنا شيخاً السؤال نفسه تبدوا عليه ملامح التعب، ففي هذه الحالة يستلزم العلم بالسن إظهار التشجيع والعجاب للشيخ.

إذن تختلف أشكال الاستلزام الحواري باختلاف السياقات التي يُستعمل فيها القول

1 - ينظر: محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 19-20

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 42.

الواحد، فالمفهوم الذي قد يعبر عنه بشكل عام يبقى بحاجة إلى ضرورة ربطه بسياق معين حتى تتعين قوته الإنجازية.

4-3-الاستلزام الحواري يمكن تقديره وحسابه:

ويُقصدُ به أن المتلقي الذي وُجِّهَ إليه القول ينتقل خطوة بخطوة للوصول إلى ما يستلزمه كلام المخاطب أي تأويل الفعل القولي تأويلاً مناسباً ينتج عنه فهم معنى معين (1). ويمكن أن تستشهد بالمثل التالي: وهو قول "ابن الزبيري" وهو يطلب المغفرة والاعتذار من النبي ويستعطفه حيث يقول:

خُذِ الْفَضِيلَةَ عَنْ ذُنُوبٍ قَدْ خَلَتْ وَأَقْبَلِ تَضَرُّعَ مُسْتَضِيفٍ تَائِبٍ (2).

وفي هذا الشاهد نلاحظ أن الشاعر قد استعمل أسلوب الأمر لكن ندرك في عملية تأويلية لخطابه أنه لا يأمر الرسول ﷺ لأنه أعلى منه رتبة بل ذلك من باب الاستعطاف والاعتذار، وقد استدعى ذلك توظيف الألفاظ والعبارات التي تؤكد القوة الإنجازية التي أراد إيصالها.

4-4-الاستلزام الحواري لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي:

ما يقصده "بول غرايس" بهذه الخاصية هو أن الاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يُقال، وليس بالصيغة اللغوية التي قيل بها، فلا يُلغى أو ينقطع عند استبدال مفردة أو عبارة بكلمة أخرى ترادفها مثلاً، وهذه الخاصية هي ما ميز الاستلزام الحواري عن غيره من الاستلزمات الأخرى (3).

والمثال التالي يوضح ذلك، فقولك:

أ - لا أريد أن تتسلي إلي غرفتي على هذا النحو.

1 - ينظر: سعاد ميرود: الاستلزام الحواري في سورة طه، تحليل تداولي وفق نظرية غرايس، ص314.

2 - الحسن بن عبد الله (أبو هلال العسكري): الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، دت، ص384.

3 - ينظر: الخليفة، هشام عبد الله: نظرية التلويح الحواري بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 2013، ص36.

ب- أنا لا أتسلل ولكن أمشي على أطراف أصابعي خوفا من إحداث ضوضاء.

فنلاحظ في هذين العبارتين تغير المفردات "ب" لا يُلغِي الاستلزام، فقولك بعدم الرضا على هذا السلوك لا يزال قائما.

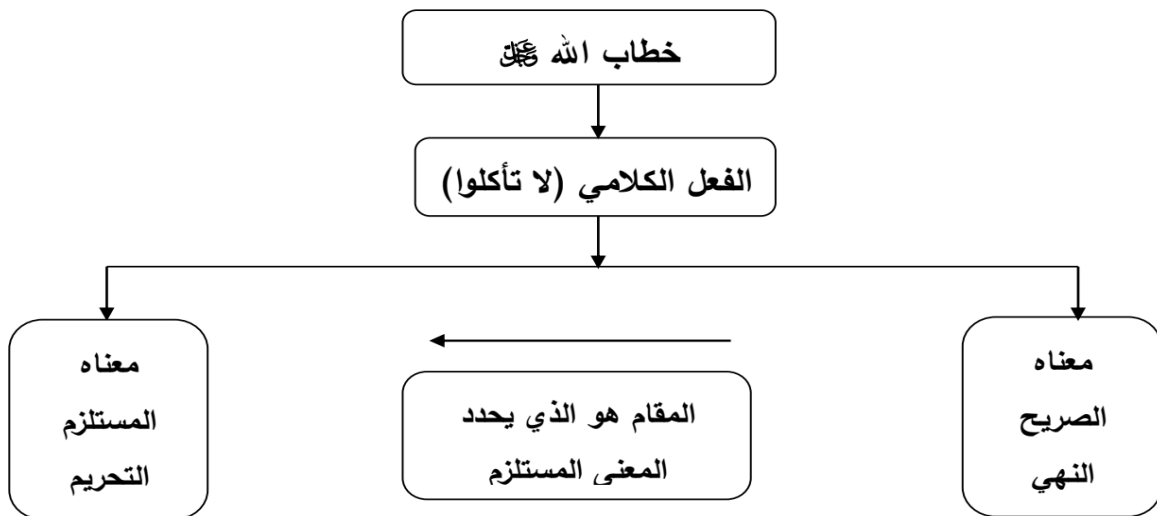
5- نماذج تطبيقية عن تمثلات الاستلزام الحوارية من خلال أسلوب النهي والأمر:

5-1- تمثلات المعنى الصريح والمعنى المستلزم لأسلوب النهي:

- استلزام معنى النهي لمعنى التحريم:

ومن أمثلة ذلك قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران - آية 130.

إن المتدبر لهذه الآية الكريمة من قوله تعالى بجد أن الله سبحانه وتعالى قد نهى عباده المسلمين المؤمنين عن تعاطي وأكل الربا وما تعلق به أضغافاً مضاعفة وهذا هو المعنى الصريح الحرفي، لكن المتمعن الدقيق يجد أنها تحمل معنيين اثنين أحدهما حرفي والآخر مستلزم؛ فالمعنى الحرفي الصريح: هو صيغة النهي من الله ﷻ والتي عبر عنها بالفعل (لا تأكلوا)، أما المعنى الفرعي أو الذي استلزمه هذا الفعل في سياق الآية هو التحريم ولتوضيح ذلك أكثر نستشهد بهذا المخطط:

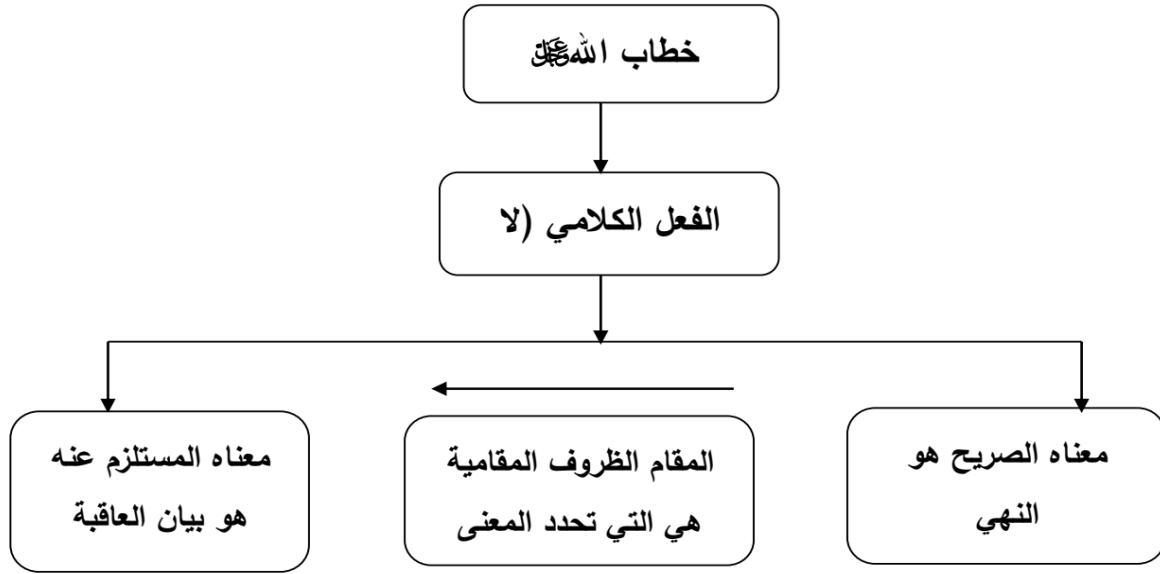


- استلزام معنى النهي لمعنى بيان العاقبة، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا

عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ إبراهيم - آية 42.

الفصل الثاني.....تجليات المعنى في الفكر التداولي

وهذه الآية من الخطاب القرآني تحمل معنيين اثنين أحدهما صريح يظهر من خلال صيغتها الحرفية وهو "معنى النهي عن حسابان الله غافل عما يعمل الظالمون فهو لا يخفى عليه شيء" (1)، ومعنى آخر مستلزم وهو تبيان عاقبة هؤلاء الظالمين وأنَّ معاقبتهم على سبيل التهديد والوعيد (2). ونُوضِّح ذلك أكثر بالمخطط التالي:



-استلزام معنى النهي لمعنى الإرشاد والتوجيه:

ومن أمثلة ذلك قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ المائدة- آية 101.

يفسر الزمخشري في كتابه الكشاف هذه الآية الكريمة بقوله: "المعنى لا تكثرُوا مساءلة النبي ﷺ، حتى تصلوا إلى سؤاله عن تكاليف شاقة عليكم، إن أفதாகم بها كلفكم إيّاها تغمكم وتشتقّ عليكم وتندموا على لسؤال عنها" (3).

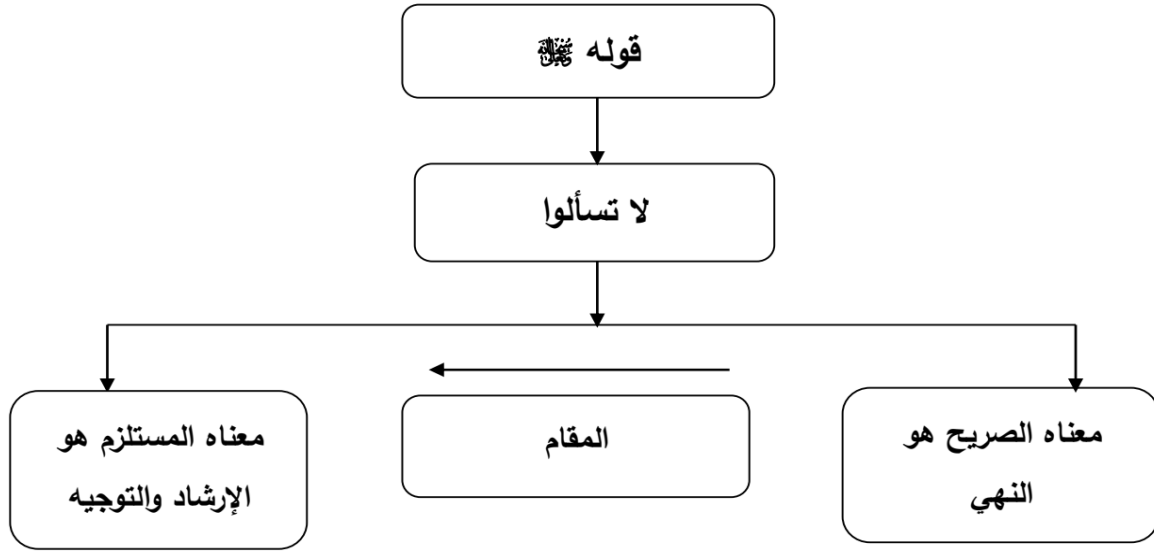
1 - محمود بن عمر (جار الله أبو القاسم الزمخشري): تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، خرجه وعلق عليه، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009، ص555.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص556.

3 - المرجع نفسه، ص312.

الفصل الثاني.....تجليات المعنى في الفكر التداولي

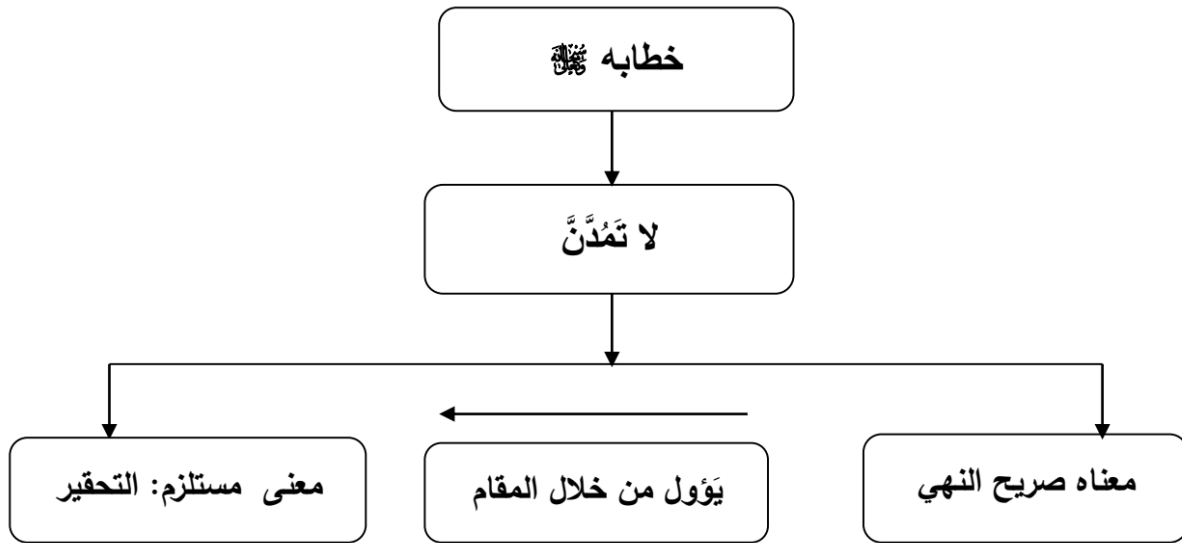
وقد أتت هذه الآية بصيغة النهي وهو المعنى الصريح الذي يصل إلى القارئ، لكنها تحمل معنى مستلزماً وهو معنى الإرشاد إلى عدم التكثير من المساءلة في أمور قد تتعب المؤمن وتشق عليه في عبادته، ونوضح للمعاني التي حوتها الآية بالمخطط التالي:



- استلزام معنى النهي لمعنى التحقير: ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: ﴿ لَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الحجر-آية 88. يرى ابن كثير أن القصد من النهي الذي ورد في هذه الآية الكريمة هو التحقير، أي تحقير متاع الحياة الدنيا. (1).

إذن تحتل هذه الآية الكريمة معنيين اثنين أحدهما ظاهر وصريح هو النهي والثاني خفي مستلزم وهو معنى التحقير والمخطط التالي يوضح ذلك.

¹ -إسماعيل بن عمر (أبو الفداء بن كثير): تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص 1052.



5-2- تمثيلات المعنى الصريح والمعنى المستلزم لأسلوب الأمر:

- استلزام معنى الأمر لمعنى الوجوب: ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ على لسان نبيه لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ لقمان - آية 17.

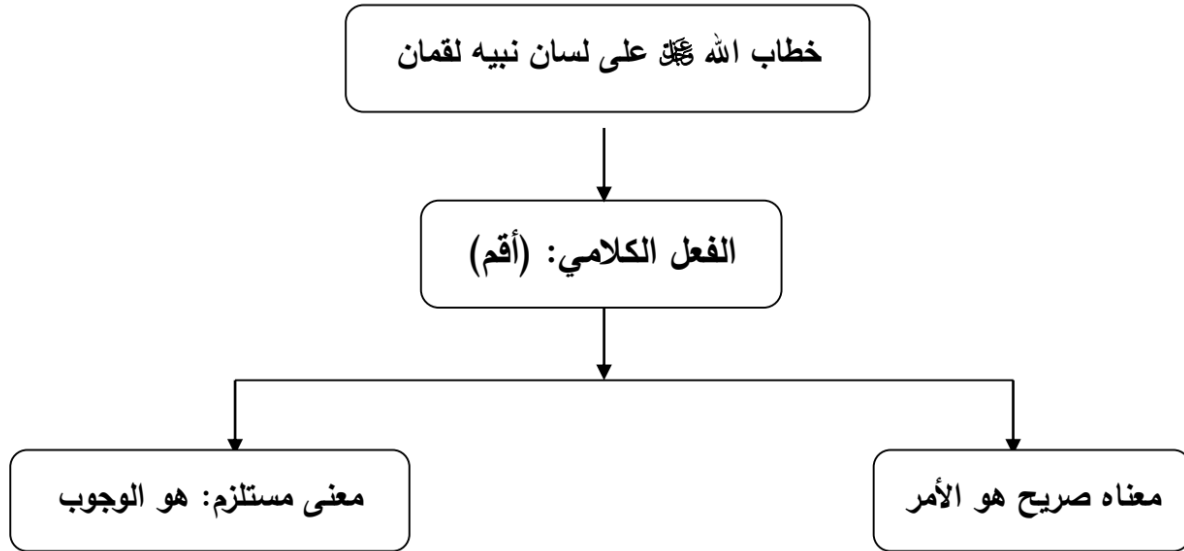
إن المتحدث في هذه الآية هو الله عز وجل على لسان لقمان والملتقي أو المخاطب الذي وُجِّه إليه الحديث هو ابن لقمان والموضوع المتحدث فيه هو إقامة الصلاة، لأن الصلاة من بين أقدم الطاعات التي كان مأمورا بها كافة الأمم وأن الصلاة لا تزال عظيمة الشأن سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الأديان كلها (1).

فإذا تأملنا في هذه الآية الكريمة وجدنا أنها تحمل معنيين اثنين هما: معنى صريح: يتمثل في فعل الأمر: (أَقِم) والذي يأمر بإقامة الصلاة وهو أمر صريح، ومعنى ثاني: هو معنى مستلزم يوجب على المخاطب وهو ابن لقمان وجوب إقامة الصلاة، لأن الصلاة من العبادات التي ألزم الله العباد بها، وفي الآية لا يحمل معنى الأمر دلالة على الأمر فحسب بل يحمل أيضا دلالة الوجوب لأن الله أمر بالصلاة وأوجب الناس عليها لقوله ﷺ: ﴿فَوَيْلٌ

¹ - ينظر: محمود بن عمر (جار الله أبو القاسم الزمخشري): تفسير الكشاف، ص 837

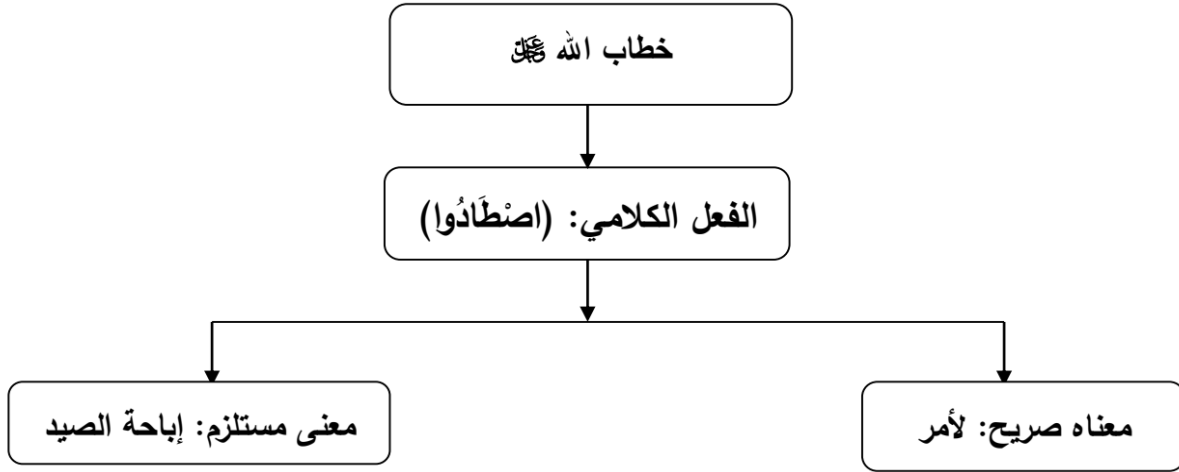
لِّلْمُصَلِّينَ 4 الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿5﴾ الماعون - آية 4-5.

إن إقامة الصلاة أمر واجب لذلك حملت الآية الكريمة معنيين ويمكن أن نوضح ذلك بالمخطط التالي:



-خروج فعل الأمر من المعنى الصريح واستلزام معنى الإباحة: ومن بين الأمثلة التي يدل فيها فعل الأمر على الإباحة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۚ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة - آية 02.

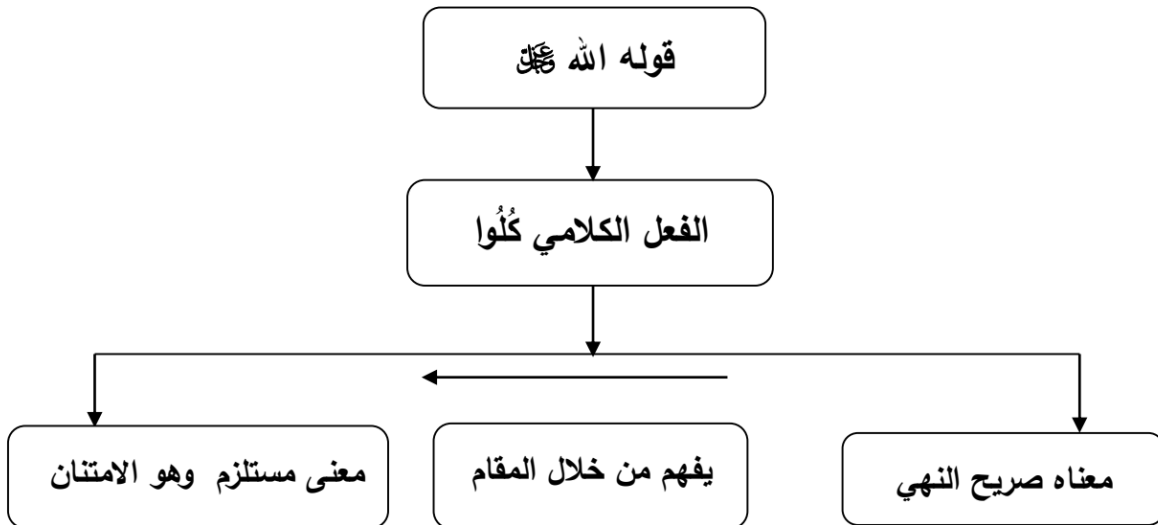
إن المطلع والقارئ لهذه الآية يجدها تتكلم عن موضوع الاصطیاد الذي يُحرَّم في حال الإجماع، وقد استعمل الله أسلوب الأمر وهو الفعل "اصطادوا" الذي حمل في الحقيقة معنى آخر الى جانب معنى الأمر ألا وهو معنى "الإباحة"، أي إباحة الاصطیاد بعد ما كان محضورا عليهم في حالة الإجماع والمخطط التالي يشرح ذلك أكثر.



-خروج فعل الأمر عن مغناه الصريح الى معنى مستلزم تمثل في الامتحان:

من أمثلة ذلك قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۖ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ الأنعام - آية 142.

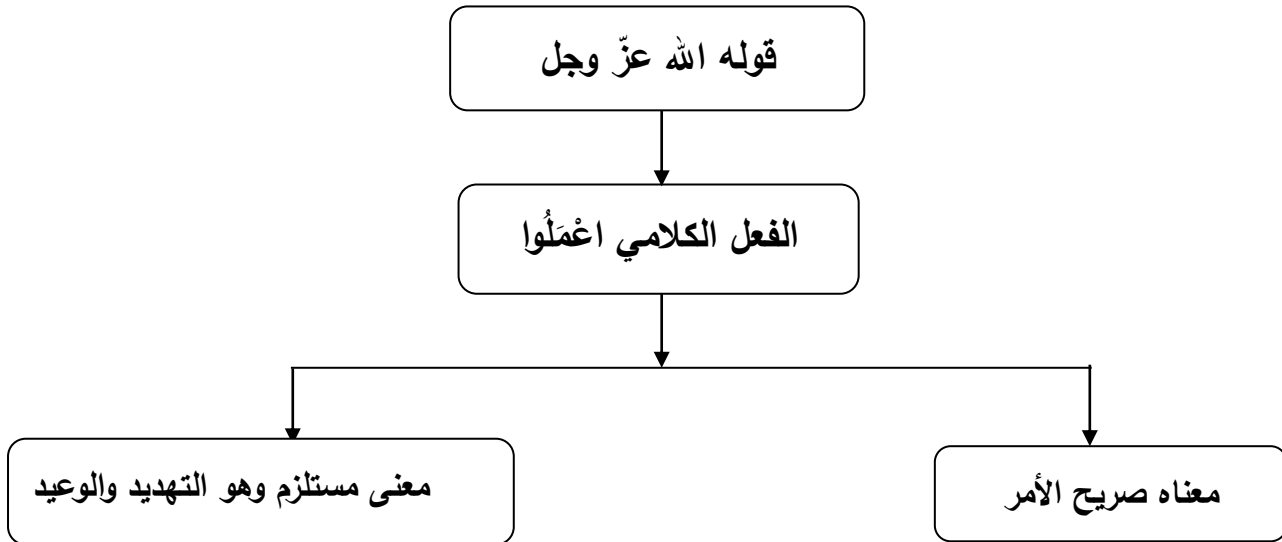
حملت هذه الآية القرآنية الكريمة معنى صريحا، وهو أمر الله تعالى بالأكل انطلاقا من قوله (كُلُوا)؛ أي أمرهم بالأكل من خيرات الثمرات والزرع والأنعام، ولأن الله تعالى خلق كل هذه الأنعام على اختلافها رزقا لهم، كما حملت معنى ثانيا مستلزما؛ أي إنها دلت على الامتحان لله تعالى. والمخطط التالي سيكون أكثر دقة في الشرح:



-خروج فعل الأمر عن معناه الأصلي الصريح إلى ثان مستلزم تمثل في التهديد:

ورد أسلوب الأمر في القرآن الكريم بغرض التهديد وتخويف الكافرين في العديد من المواضع نذكر منها قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۚ أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فصلت- آية 40.

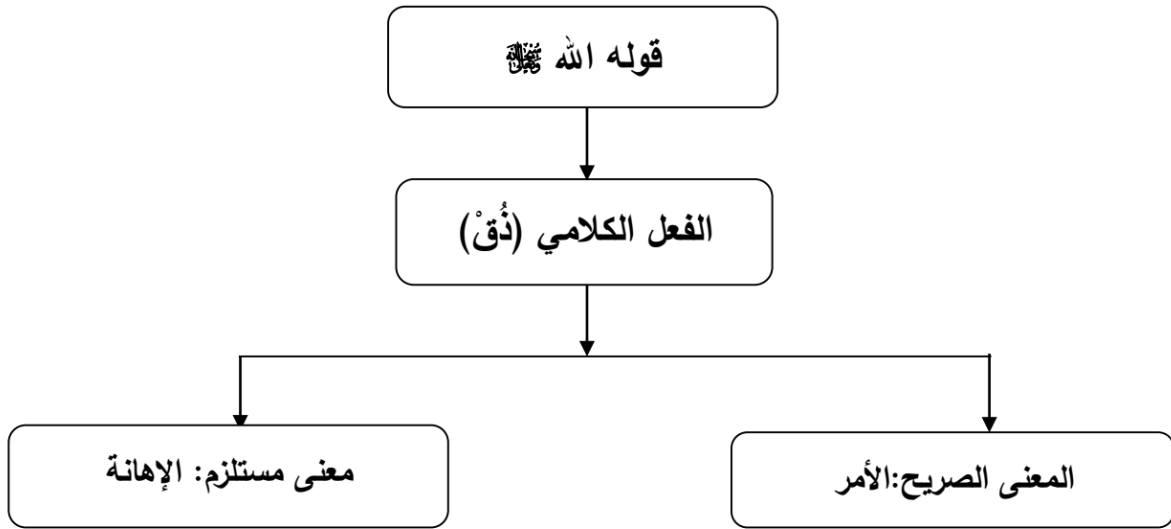
والم تأمل لهذه الآية الكريمة يجد أن الله عز وجل يخاطب فيها الكفار مستعملا أسلوب الأمر في قوله (اعملوا ما شئتم)، لكن من يُمعِن النظر فيها يجدها تحمل معنيين اثنين أحدهما صريح وهو متمثل في أمر الله بالقيام بجميع الأعمال خيرها وشرها، ومعنى خفي مستلزم تمثل في التهديد والوعيد لمن يقوم بأعمال لا يرضاها الله تعالى ويمكننا أن نوضح ذلك أكثر من خلال المخطط التالي:



- استلزام أسلوب الأمر لمعنى الإهانة والتذليل:

من الدلالات التي استلزمها أسلوب الأمر في القرآن الكريم في بعض المواضع معنى الإهانة ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ الدخان - آية 49.

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: " أي قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ...أي لست بعزيز ولا كريم"⁽¹⁾. فهذه الآية الكريمة "ذُق" ومعنى اثنين هما: معنى صريح وهو الأمر الذي يظهر من خلال الفعل الكلامي "ذُق"، ومعنى مستلزم وهو إهانته لكن بطريقة غير مباشر وهنا تظهر أهمية الاستلزام الحواري في إعطاء اتساع للمعنى اللغوي ليشمل معاني تخرج عن اللغة، ويمكن توضيح ذلك أكثر بالمخطط التالي:



إن ما يمكن أن نقوله في الأخير هو أننا حاولنا إعطاء بعض الأمثلة عن ظاهرة من ظواهر الدرس التداولي وهي ظاهرة الاستلزام الحواري، وقد اخترنا أن تكون الأمثلة من القرآن الكريم باعتباره كلام الله ﷻ فهو يرقى من حيث الدرجة اللغوية عن كافة كلام البشر، وكذلك حاولنا أن نبرز كيف تسهم ظاهرة الاستلزام في توسيع المعنى من خلال التأويل الذي يرتبط بالدرجة الأولى بالمقام.

¹ - إسماعيل بن عمر (أبو الفداء بن كثير): تفسير القرآن العظيم، ص 1695.

المبحث الثالث: متضمنات القول وتأويل المعنى في الدرس التداولي:

يعتبر التّضمّن من بين العناصر المكونة لأغلب الجمل اللغوية، لكنه يبقى غائباً عن الملفوظ ولا يمكن اكتشافه والوصول إليه إلا عبر مجموعة من الاستدلالات المنطقية التي تنقل المخاطب من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني، وبذلك فالوصول إلى طبيعة متضمنات القول لن يتم إلا عن طريق معرفة قوانين الخطاب، أي بمعنى آخر لا يمكن فهم الجانب الضمني والخفي من الكلام إلا إذا كان على معرفة ضمنية بالقواعد التي من شأنها أن تنظم الكلام، فقد نجد في عملية كلامية ما: أنّ المخاطب في بعض الأحيان لا يريد أن يُصرح بمعنى الملفوظ لأسباب عديدة قد يكون مصدرها المجتمع بما يحمله من عادات وأخلاق ودين، أو قد يكون في موقف لا يستطيع فيه استعمال بعض الألفاظ التي يُمنع التصريح عنها...إلخ.

وتتلخص متضمنات القول في نمطين أساسيين هما: الافتراض المسبق، والأقوال المضمرة.

1- الافتراض المسبق (مفهومه، أنواعه):

1-1- مفهوم الافتراض المسبق:

لقد تطرق العديد من علماء اللسانيات التداولية الغربيون إلى إعطاء تعريف لظاهرة الافتراض المسبق في البحث التداولي حيث نجد:

- "جاك موشلر Jacques Moeschler" و "آن ريبول Anne Reboul" تحدثا عنه بقولهما:

"يستخدم منوال تأويل الأقوال، وهو قواعد استنباط منطقي ينطلق من مقدمات ليصل إلى نتائج، ونظرا إلى الطابع غير البرهاني للاستدلالات التي تتم فإن هذه الاستدلالات تكون قضايا افتراضية أكثر منها معارف يقينية"⁽¹⁾.

- ويعرفه "زيسيسلاف واورزنيك Zdzisław Wawrzyniak" وهو أحد أبرز علماء لسانيات

النص بقوله: "أما الفروض المسبقة للموقف الكلي البرجماتي التواصلية: فهي القيود التي

¹ - آن ريبول وجاك موشلر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، مراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 152.

يجب أن تُستوفي، فينجز بذلك فعل إنجازي مهين بنجاح من خلال منطوق جملة أو عدة جمل"(1).

ويتضح من خلال هذين المفهومين أن الافتراض المسبق آلية غير لغوية تعمل في الخفاء ويتم التوصل إليه عن طريق مجموعة من الاستدلالات والمعطيات التي تعين على ذلك.

- يعرفه "جان سيرفوني Jean Cervoni" بقوله: "هو إحدى الوسائل التي تقدمها اللغة من أجل الاستجابة للحاجة المنتشرة التي يشعر بها المحدثون في عدد كبير من المواقف وهو وسيلة القول وعدم القول"(2).

إن الافتراض المسبق هو أحد الآليات التي تعين على فهم ما تستره اللغة في العديد من المواقف الكلامية.

1-2- مفهوم وأنواع آلية الافتراض المسبق عند "أوريكيوني Catherine Kerbrat-Orecchioni":

تعرف "أوريكيوني" الافتراض المسبق بقولها: " تصنف في خانة الافتراضات كل المعلومات التي وإن لم تكن مقررّة جهرًا وعلمًا؛ أي تلك التي تشكل مبدئيًا موضوع الخطاب الكلامي الحقيقي الواجب نقله، إلا أنها تنتج تلقائيًا من صياغة القول الذي تكون مدونة فيه بشكل جوهري بغض النظر عن خصوصية النطق"(3).

يتضح لنا من خلال هذا القول إن الافتراض المسبق يشمل كل المعلومات المحيطة بالخطاب حتى وإن لم تكن معلنة فيه وتساعدنا على تأويل الأقوال الخطابية للحصول على المعنى المراد.

لقد ذكرت هذه الباحثة أن للافتراض المسبق نوعين هما:

-النوع الأول: افتراضات ذات طبيعة معجمية، تحتوي على نوع من الافتراضات موضحة

1 - زتسيسلاف واورزنيك: مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1424 هـ، 2003م، ص22.

2 - جان سيرفوني: الملفوظية، تر: قاسم مقدم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 1998م، ص 106.

3 - كاترين أوريكيوني: المضمّر، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 48.

في الآتي:

- الأفعال المظهرية أو التحويلية: مثل: (أُفْلِعَ عن، استمر في، انكب على) ومثال ذلك
 - قولنا: استيقظ خالد من النوم، ويعني أننا فترضنا هنا أن خالداً كان نائماً في السابق.
 - الأفعال الانتقالية: مثل: (علم، ندم) والانتقالية المضادة (ادّعى، خال) التي تفرض حقيقة أو زيف محتوى الجملة المتممة للفائدة التي تستهل بالأفعال المذكورة، وبشكل عام نحوي مجمل الأفعال الذاتية التي تحوي افتراضاً شخصياً أو قيمياً.
 - بعض المورفيمات مثل: (لكن، كذلك، حتى، ومجدداً، وأصلاً، وبعْدَ) ومثال على ذلك: هل يصدق أحد منكم بعد بوجود العفريت؟ ومثال آخر: قولك الجو غائم لكن المطر لم ينزل.
 - علاقات أخرى تضمنية: تقول أوريكيوني: " بشكل عام أكثر تضرب جذور عدد لا يستهان به من الافتراضات بنية المعجم، والمسألة التي نتحدث عنها هنا تتعلق على وجه الدقة بحالة العلاقات التضمنية... مثل قولك: هذا كرسي ونعني ضمناً بهذا مقعد (1).
- النوع الثاني: الافتراضات التداولية التواصلية:
- تقول "أوريكيوني": "يطلق على كل المعلومات التي ينقلها القول والتي تتعلق بـ: شروط النجاح وبنوع خاص بشروطه التمهيدية، والتي يجب استفاؤها بغية تمكين فعل الكلام الذي يدّعي القول إنجازاً من النجاح على صعيد تأثيره على المباشر" (2).
- نستنتج هنا أن الافتراضات المسبقة التداولية تتعلق خاصة بالقول والشروط التمهيدية التي يجب أن تتوفر من أجل نجاح فعل الكلام الذي يحتويه القول.
- وتقر الباحثة "أوريكيوني" بأن هذا النوع من الافتراضات يتحقق بمجموعة من الطبقات نذكر منها طبقتين فقط هما:

1 - كاترين أوريكيوني: المضمرة، ص 72.

2 - المرجع نفسه، ص 72.

-طبقة الافتراضات المستعملة للتسمية: بمعنى " أن استعمالنا لأي مصطلح كان يستلزم ملاءمته المرجعية، ومعنى هذا أن يتمتع العنصر بالخصائص التي تتناسب مع سماته في العبارة الذي هو محتوى فيها"⁽¹⁾، ومثال ذلك قولك: ألق عن التدخين.

ومن هنا نلاحظ أن الفعل: " ألق " يستلزم أنه قد كان مدخنا من قبل، إذن هناك افتراض مسبق يحتوي على عبارة: " أنه كان يدخل منذ القدم لكن الآن ألق عن التدخين".

-طبقة الافتراضات الوجودية الفرعية: وهكذا تفترض العبارات المعرفة وجود الغرض الذي تشير إليه سواء كان ذلك العالم الحقيقي أو الخيالي الذي يقدمه لنا الخطاب أو بينيه"⁽²⁾.

وقد أورد "محمود أحمد نحلة" مثالا عن هذه الطبقة وهو التالي: مثال قولك:

- أرجوك أن تتجاوز عن الخطأ الذي وقع مني.

وهو يرى هنا أن استعمال أداة التعريف (أل) في كلمة (الخطأ) تدل على أن هناك افتراضا مسبقا متعرف عليه، يفترض وجود خطأ قد يحدث فعلا، يعرفه ويدركه كل من المتكلم والمخاطب، فكلاهما على علم بنوع الخطأ الذي حدث⁽³⁾.

نستنتج من خلال هذا أن الافتراضات المسبقة الوجودية الفرعية تبين الغرض الذي توحيه العبارات المعروفة والدلالات التي توحىها داخل التركيب سواء في العالم الحقيقي أم الخيالي الذي يقوم الخطاب بتبيينه.

1-3- مفهوم الافتراض المسبق وأنواعه عند "جورج يول George Yule":

يرى "جورج يول" بأن الافتراض المسبق شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام، وهو يقصد بها أن الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين وليس في الجمل. ومن الأمثلة عنده في ذلك:

اشترى أخو ميرى ثلاثة جياذ.

1 - ينظر: كاترين أوريكيوني: المضمّر، ص 75

2 - المرجع نفسه، ص 85.

3 - ينظر: هشام عبد الله الخليفة: نظرية التلويح الحوارية بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، ص 36.

حيث نجد أن هذا المثال يحتوي على مجموعة من الافتراضات المسبقة وهي في الآتي:

- الافتراض الأول: توجد امرأة اسمها ميري.
 - الافتراض الثاني: لميري أخ واحد يملك المال.
 - الافتراض الثالث: امتلاك أخ ميري للمال أتاح له فرصة شراء الجياد (1).
- إذن ما يمكن قوله: هو أن الافتراض المسبق لا يظهر بشكل علني في التراكيب اللغوية للجمل بل يظهر عند المتكلمين أي معنى هذا أن الافتراض المسبق آلية خارج اللغة تتعدها إلى ذهن كل من المخاطب والمتكلم والمقام أو السياق.
- قسم جورج يول الافتراضات المسبقة إلى ما يلي:

- الافتراض المسبق الواقعي:

هو الافتراض الذي يعبر حقيقة عما في الواقع ويرى "جورج يول" أنه: "يمكن معاملة المعلومة الافتراضية المسبقة التي تلي الفعل "يعلم" وما في معناه، على أنها حقيقية وتسمى الافتراضات المسبقة الواقعية أي إنها تعبر عن واقعة حقيقية فعلا ومثال ذلك قولك: لم أدرك أنه كان مريضا" (2).

نلاحظ من خلال ما ذكره "جورج يول" أنه قد صنف كل الأفعال التي تكون بمعنى الفعل يعلم في التعبير اللغوي على أنها افتراضات واقعية والدليل على ذلك ما أورده في هذا المثال الذي سبق وذكرناه أي جملة "كان مريضا" فهي افتراض مسبق واقعي لأنها أتت بعد فعل القول "أدرك".

- الافتراض المسبق غير الواقعي:

يقول "جورج يول" عنه أنه "افتراض مسبق نفترض عدم صحته، أي إنه لا يكون حقيقيا، ويصاحب هذا النوع من الافتراضات المسبقة استعمال أفعال منها: (يطم، يتصور، يتظاهر) وهذا النوع من الأفعال مفادها أن القول الذي يتبعها لا يكون صحيحا

¹ - جورج يول: التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، الرباط، المغرب، ط1، 1431هـ-2010م، ص51.

² - المرجع نفسه، ص 54.

أي متخيل فقط ومن أمثلة ذلك قولك:

- حلمت أنني ثري = أنت لست ثريا في الواقع.
 - تصورنا أننا في هاواي = لم تكن في هاواي فعلا وكنت تتخيل فقط.
 - يتظاهر أنه مريض = لست مريضاً إطلاقاً (1).
- نلاحظ من خلال هذا القول "جورج يول" أنه قد ضم كل فعل من أفعال الأحلام أو الادعاء بالشئ إلى الافتراضات غير الواقعية لأنها تبقى غير حقيقية فعلا.

- الافتراض المسبق الوجودي:

يرى جورج يول أن التعبير كل ما كان دالا على امتلاك كان وجوديا ويظهر ذلك من خلال قوله: "... لا يفترض وجود الافتراض المسبق الوجودي إلا في تراكيب اسمية دالة على التملك أي على امتلاك الأشياء فعلا، ومن أمثلة الافتراض المسبق الوجودي قولك مثلا "سيارتك، أي لديك سيارة " لأنها موجودة فعلا" (2).

- الافتراض المسبق المعجمي:

يقول "جورج يول": "في كل الافتراضات المسبقة المعجمية، يتم تفسير استعمال صيغة لغوية بمعناها المؤكد عادة، بالافتراض المسبق المعجمي، لأنه قد يحدث فهم آخر للمعنى، فكلما ذكرت أن شخصا تمكن من إنجاز شيء ما، يصبح المعنى: أن ذلك الشخص نجح بطريقة ما... ومن أمثلة ذلك قولك "أنت متأخر مجدداً" = فالافتراض المسبق لهذه الجملة هو أنك قد تأخرت في مرات سبقت هذه المرة أي من قبل" (3).

إن ما نستنتجه من خلال حديثنا عن الافتراض المسبق المعجمي هو أن هناك بعض الجمل اللغوية والمعجمية التي يمكن أن تحمل نفس الافتراض المسبق مع جمل أخرى لأنها من نفس معناها.

1 - جورج يول: التداولية، ص 57.

2 - المرجع نفسه، ص 59.

3 - المرجع نفسه، ص 55.

- الافتراض المسبق النبوي:

لقد تكلم "جورج يول" عن الافتراضات المسبقة النبوية في التراكيب المشكلة لمختلف الجمل الغوية ورأى أنها: " تحلل بعض بُنى الجمل عرفياً، وبانتظام على أنها تفترض مسبقاً ذلك الجزء من البنية الذي افترض صحته، ويمكننا القول إن بإمكان المتكلمين استعمال تراكيب مثل هذه وذلك لمعاملة المعلومات على أنها مفترضة مسبقاً، أي مفترضة على أنها صحيحة"⁽¹⁾. ومثال على ذلك قولك: من أين اشتريت الدراجة؟ فالافتراض المسبق لهذا السؤال هو أنك قمت بشراء دراجة، ومنه لما كانت المعلومات التي تلي أدوات الاستفهام تعكس صدق المعلومة، استلزم أن الافتراض صحيح، وانطلاقاً من ذلك يقبلها المستمعون على أنها صحيحة.

- الافتراض المسبق المناقض للواقع:

ومعناه عند "جورج يول" هو أن " الذي يُفترض مسبقاً غير صحيح، ليس هذا وحسب وإنما هو على عكس ما هو صحيح، أي إنه مناقض لما هو حقيقي وموجود في الواقع، ومن أمثلة ذلك العبارات التي نوردتها في الجملة الشرطية؛ فهي في الواقع ليست صحيحة وقت الكلام"⁽²⁾. ومثال ذلك قولك: لو كنت صديقي لساعدتني = أي أنا قد افترضت أنك لست صديقي.

والجدول التالي يؤكد أكثر هذه الأنواع من الافتراضات المسبقة:

نوع الافتراض المسبق	المثال	ما يفترضه المتلقي
افتراض مسبق وجودي	السيارة الخاصة بك جميلة	الملكية موجودة فعلاً
افتراض مسبق واقعي	ندمت على مغادرتي	غادرت
افتراض مسبق غير واقعي.	تظاهرت بالسعادة	لم يكن سعيداً
افتراض مسبق معجمي	تمكن من الهروب	حاول الهروب

¹ - جورج يول: التداولية، ص 56.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 60.

افتراض مسبق بنيوي	حتى توفيت	توفيت
افتراض مسبق مناقض للواقع	لو لم أكن مريضا	أنا مريض

جدول يوضح أنواع الافتراض المسبق عند جورج يول (1).

1-4- دور الافتراض المسبق كآلية تداولية تعين على تأويل المعنى من خلال نماذج تطبيقية:

لقد تعددت ظاهرة الافتراض المسبق في العديد من المواضع في النص القرآني الذي كان يتضمن مختلف الأساليب اللغوية من أوامر أمر الله ﷻ بها عباده إلى النواهي التي نهاهم وكفهم عن إتيانها، وقد تعددت هذه الأساليب بين المخاطبة بلا أسلوب الصريح المباشر والأسلوب الضمني الذي لا يظهر في السياق اللغوي وذلك بهدف جعل القارئ للقرآن يتمعن ويتدبر في خلق الله ﷻ ومن بين الآليات التي وردت في القرآن الكريم: آلية الافتراض المسبق الذي يعد من بين الآليات التداولية التي تساعد في تأويل التعابير اللغوية للوصول إلى المعنى المراد ونذكر بعض المواضع التي حوت هذه الظاهرة، ما يلي:

- يقول الله ﷻ: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ لقمان - آية 11.

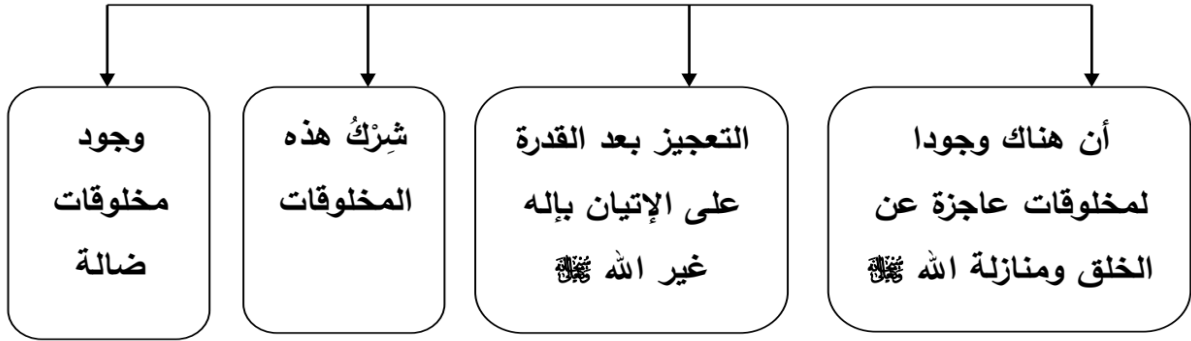
في هذه الآية المباركة افتراضات قولية متعددة ظهرت في تركيبها اللغوي، أهمها:

- وجود خلق الله تعالى، وجود خالق لهؤلاء الخلق، وجود مخلوقات ضالة؛ أي ظلت عن سبيل الله وهذه الافتراضات يعرفها الْمُخَاطَبُونَ لأنها تُسْتَنْبَطُ من الآية نفسها.

والمخطط التالي يوضح هذا القول:

¹ - ينظر: جورج يول: التداولية، ص 62.

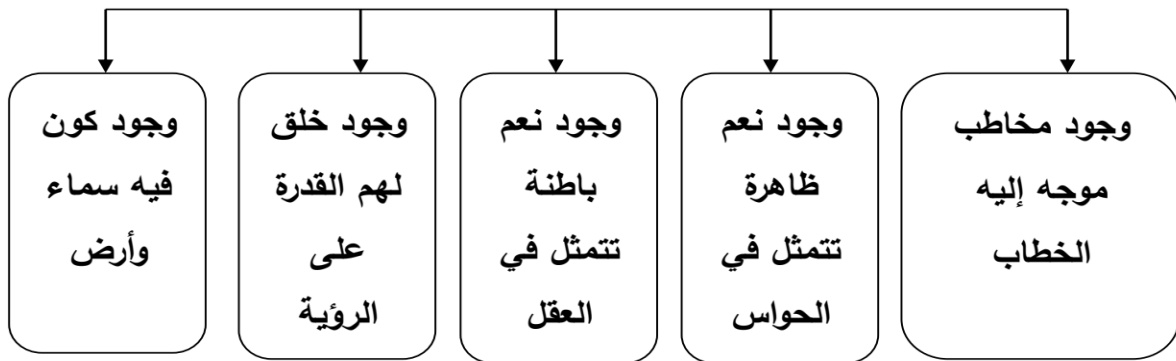
قوله ﷺ: (فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ)



ونجد كذلك من الأمثلة الدالة على الافتراض المسبق قوله ﷺ في نفس السورة: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۚ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۚ ﴾ لقمان: آية 20.

أستهل الله تعالى هذه الآية باستفهام إنكاري، يفترض وجود مخاطب يتوجه إليه الخطاب بقصد تغيير وضعه وتذكيره بنعم الله تعالى التي أنعمها عليه، وقد حَمَلَت لفظة (نِعْمِهِ) العديد من الافتراضات المسبقة، إذ يفترض المتلقي أو القارئ وجود نِعَم ظاهرة كالصحة والكمال والجمال ونِعَم باطنة كال معرفة والعقل، وقد يفترض قارئ آخر أن المراد بالنِعَم الظاهرة هي نِعَم البصر والسمع واللسان، والنِعَم تتمثل في: القلب والعقل والفهم⁽¹⁾. والمخطط التالي يوضح هذا الشرح أكثر.

الافتراضات المسبقة للآية



¹ - حسن بدوح: المحاور - مقارنة تداولية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2019م، ص41.

وأما من الشعر، فمن الأمثلة عن ظاهرة الافتراض المسبق ما قاله " تميم البرغوثي " في قصيدة " نفسي الفداء لكل منتصر حزين " والتي من أبياتها:

يا دهر فلتتذكر الموتى،
هنالك سبعة في الطابق الثاني
ثمانية بباب الدار،
أربعة من الأطفال ماتت أمهم وبقوا
لأيام بلا ماء ولا مأوى
ولا صوت، ولا جدوى
فقل للموت، يا هذا استعد فإنهم
والله لن يأتوك أطفالاً، ولكن
كالشيوخ تجارب ومرارة
حضر دفاعك فالقضاة
مضرجين بحكمهم
قدموا عليك مسائلين (1).

تحمل الأبيات السالفة الذكر في ثناياها الواقع الذي عاشه ويعيشه الشعب الفلسطيني جراء القهر والقتل والتشريد، فقد صور الشاعر خضوع أهالي الشعب الفلسطيني للاحتلال الإسرائيلي، وإن القارئ لهذه الأبيات ليجد أنها تحمل مجموعة من الافتراضات المسبقة التي نلخصها في الآتي:

- الافتراض الأول: توافد الأطفال نحو الموت بلا خوف
 - دعاء الأطفال لله من أجل الارتقاء بهم إلى مرتبة الشهداء
- نلاحظ أن للآلية الافتراض المسبق تواجد في الشعر، كونها ظاهرة تساهم في إيصال

¹ - ينظر: تميم البرغوثي، قصيدة " نفسي الفداء لكل منتصر حزين "، الموقع:

<https://poetsgate.com/poem.php?pm=180329>

المعنى للمتلقي على أكمل وجه.

بعد تناولنا لظاهرة الافتراض المسبق، والذي تبين لنا من خلال دراسته أنه وليد للسياق الكلامي بكل مجرياته، نأتي الآن على ذكر النمط الثاني المندرج تحت ما يسمى بمتضمنات القول ألا وهو:

2-القول المضمر:

2-1-المفهوم:

يتحدد القول المضمر انطلاقاً من ملابسات الخطاب أي الظروف التي تحيط بإنتاج العملية الخطابية، تقول "أوريكيوني": "المضمر هو كل المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث"⁽¹⁾.

ويلجأ استعمال المضمر من القول لأسباب كثيرة منها ما يتعلق بمعالجة بعض الأخطاء التي يقع فيها الناس في خطاباتهم فيفضلون التلميح دون التصريح بالقول، وتضيف إلى ذلك بعض المقامات التي يضطر فيها المتكلم إلى استعمال أقوال مضمرة خشية من خرق بعض العادات الكلامية الاجتماعية التي قد تجرح مشاعر المستمع له ونجد من بين الأمثلة التي تحتوي قول المضمر قول رسول الله ﷺ: (ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال: لينتهن عن ذلك أو لتخطف أبصارهم إلى السماء في صلاتهم)⁽²⁾.

نجد أن النبي ﷺ استعمل لفظ "ما بال أقوام" حين خاطب جماعة المسلمين فلم يوجه كلامه للمخطئين منهم مباشرة وإنما أضمر كلامه بالجمع تجنباً للإحراج.

2-2-استجلاء الغموض عن القول المضمر من خلال نماذج تطبيقية:

ومن أمثلة القول المضمر في القرآن الكريم نجد قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا تُلِّىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لقمان - آية 7.

¹ - حسن بدوح: المحاور -مقاربة تداولية، ص41.

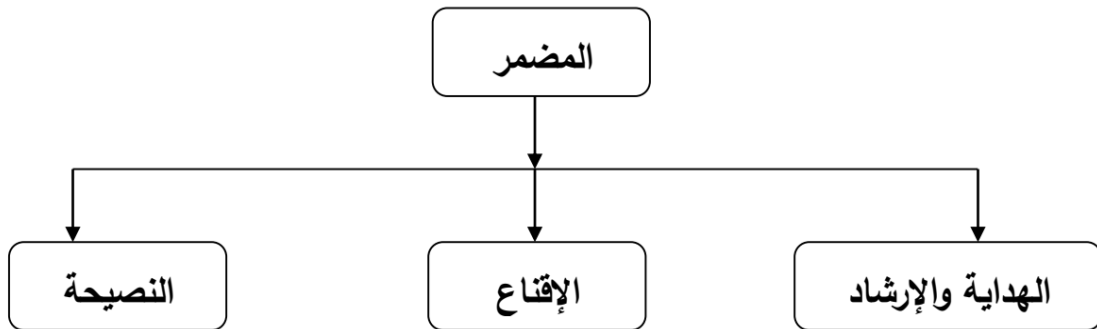
² - مالك بن أنس: الموطأ، كتاب آداب الصلاة، ص 1435.

الفصل الثاني.....تجليات المعنى في الفكر التداولي

حوت الآية الكريمة عددا من المضمرات القولية المتشابهة تتمثل في (تتلى، ولى، يسمع، بشر) حيث جاء الفعل الماضي المبني للمجهول (تتلى) ليمثل تركيبا تداوليا أضمر فيه الفاعل ويمكن استرجاعه اعتمادا على القرائن والتداول، ثم تلاه الفعل الماضي المشابه له في الزمن (ولى) وأضمر فيه الفاعل أيضا ثم جاء الفعل المضارع المختلف عنهما في الزمن والدلالة.

ومن أمثلة ذلك أيضا نجد قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان - آية 13

وهذه الآية توجيه رسمه لقمان بوعظه لابنه الذي يعتبر مخاطبا بألفاظ شكلت منظومة تسمى تشكيلات خطابية تمحورت في حقل خاص وهو حقل توحيد الله تعالى والمخطط التالي يشرح ذلك أكثر.



إن متضمنات القول سواء كانت افتراضات مسبقة أو أقوال مضمرة لها أثر كبير في تكثيف أسرار وخبايا المعنى القرآني خاصة واللغوي عامة، حيث ساعدت هذه الآليات على اكتشاف مكنونات المعنى وإن لم يكن ظاهرا.

ما نخلص إليه في نهاية هذا الفصل هو أن اللسانيات التداولية تقوم في دراستها لمعنى الأبنية اللغوية على ثلاث نظريات أساسية وهي:

-نظرية أفعال الكلام التي نستطيع من خلالها تحديد المقصد من الفعل الكلامي.

الفصل الثّانيتجليات المعنى في الفكر التّداولي

-نظرية الاستلزام الحواري التي تُكسب المعنى نوعا من التوسع وذلك من خلال إعطاء التركيب اللغوي معنيين: أحدهما يكون ظاهرا نفهمه من التركيب نفسه والآخر يكون مستلزما ويكون هذا في حالة خرق أحد المتخاطبين لقواعد الحوار التي ذكرناها سابقا والتي أتى بها بول غرايس لضمان نجاح العملية الحوارية، وبالتالي فالمعنى المستلزم يستوجب على المتلقي التوصل اليه.

- متضمنات القول: حيث يعتبر التّضمّن من أهم العناصر المكونة لأغلب الجمل اللغوية، والوصول إلى تحدي طبيعته لا يتم إلا عن طريق معرفة قوانين الخطاب. كما أن متضمنات القول تتلخص في نمطين أساسيين هما: الافتراض المسبق، والأقوال المضمرة.

الفصل الثالث:



المعنى من المنظور العرفاني

المبحث الأول: الاستعارة التصويرية وتمثل المعنى

1- مفهوم نظرية الاستعارة التصويرية:

نظرية الاستعارة التصويرية عبارة عن تسمية لجملة من الأفكار والمبادئ متعددة روافدها في غطاء اللسانيات العرفانية، ولهذه النظرية مبررات عامة تتصل بطبيعة الفكر عامة وبلاستعارة والمجاز خاصة... فهي ظاهرة مركزية غالبية في دلالة الكلام العادي اليومي، وهي جزء من النظام العرفني، ولذلك سُميت بالاستعارة المفهومية إذا كانت الاستعارة أداة تفهم وتمثل وتصور يعم كل مظاهر الفكر بما في ذلك المفاهيم المجردة والمتصلة بالمجالات الأساسية من قبيل الزمن، والأوضاع، والمكان والعلاقات والتغير وما إليها⁽¹⁾.

إذا، تعد نظرية الاستعارة التصويرية من أهم النظريات العرفانية التي تدرس الاستعارة وتصب مبادئ دراستها في إطار العلم العرفني لتساهم بذلك في دراسة العرفان البشري الذي يمكننا من تصور الأشياء وتمثل العالم، وتقوم هذه النظرية أساساً على مبدأ الإسقاط المفهومي في " جملة التناسبات التي تقوم بين المجالين عنصراً بعنصر أو مكوناً بمكون، يُجْمَلُ لا يَكُوفُ ذلك في ما يسميه إسقاط المعارف المتعلقة بالمجال المصدر على المعارف المتعلقة بالمجال الهدف...، وقد يكون المجالان متباعدين مختلفين لا رابط بينهما في التصور المطلق ويمثل المجال الأول مجالاً مصدراً والآخر مجالاً هدفاً"⁽²⁾.

ومنه فالمبدأ الذي تقوم عليه الاستعارة التصويرية متمثل في مجالين تصويريين أحدهما مجال مصدر والثاني مجال هدف وقد يكون هذان المجالان متباعدين مختلفين ومن هنا يمكننا القول: إن للاستعارة العرفانية دور أساسي في بناء الواقع الاجتماعي للإنسان من خلال الثقافة الذهنية بوصفها نظاماً من التوافقات التي تربط الإنسان بالواقع.

¹ - ينظر: عطية سليمان أحمد: الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، المكتبة الأكاديمية الحديثة، الكتاب الجامعي، مصر، 2013، ص 63.

² - الأزهري الزناد: نظريات لسانية عرفانية، ص 144.

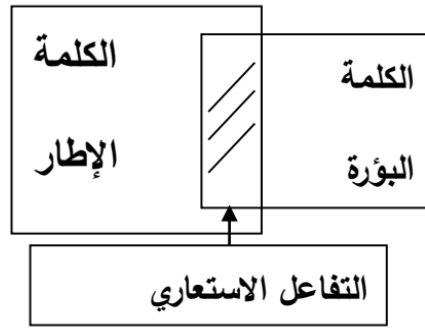
2-نشأة نظرية الاستعارة التصويرية:

من بين أهم النتائج التي انبثقت عن ميدان العلم المعرفي أو العرفي، حيث اهتمت هذه النظرية بالاستعارة من خلال تجاوزها للنظرة البلاغية التقليدية، لتبين تصورات مغايرة سواء كان ذلك من حيث المنطلقات أو الأهداف معتمدة أساسا على بلاغة التفاعل بين الإنسان والمحيط الخارجي الذي يعيش فيه، وقد تشكلت هذه النظرية التفاعلية من خلال جهود العديد من المفكرين الذين كان لهم الفضل في الأخير في التأسيس لنشأة نظرية الاستعارة التصويرية نذكر منهم:

2-1-تصور ماكس بلاك Max Black:

يعتبر المفكر "ماكس بلاك" من بين أهم المفكرين الذين كان لهم أثر بارز في الميدان العرفي انطلاقا من المجهودات التي قدمها في إطار ما يعرف بالنظرية التفاعلية للاستعارة، فقد ميز في دراسته للاستعارة بمنظورها الجديد بين مستويين: المستوى الأول أطلق عليه مصطلح "الكلمة البؤرة"، والمستوى الثاني سماه "الكلمة الإطار"، وقد أكد أن الكلمة البؤرة قد تتخلى عن بعض من خصائصها لتضاف إليها خصائص أخرى، كما أن الكلمة الإطار تخضع بدورها لفقدان واكتساب سمات مغايرة وهذا جراء التفاعل الذي يحصل بين الكلمة البؤرة والكلمة الإطار فمثلا حين يقول أحدهم: "خالد أسدٌ" فإن الكلمة أسد ستفقد بعض من خصائصها الحيوانية لتكتسب من جهة أخرى بعض السمات الإنسانية كما أن كلمة خالد ستفقد بدورها بعض سماتها الإنسانية لتكتسب سمات حيوانية، وهنا يحصل التفاعل بين الكلمة البؤرة والكلمة الإطار لينتج تعبير جديد ويحصل معنى استعاري جديد، وهذا المخطط يشرح ما سبق ذكره⁽¹⁾.

¹ - ينظر: عبد الإله سليم: بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقارنة معرفية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001، ص 63.



2-2- تصور " إيفور آرمسترونغ ريتشاردز Ivor Armstrong Richards :

لقد كان المفكر "ريتشاردز" بمثابة المنعرج الحاسم في تاريخ الفكر البلاغي عموما والاستعاري خصوصا وذلك من خلال كتابه "فلسفة البلاغة"، فقد أعلن من خلاله على قطع الجسور مع البلاغة التقليدية القديمة؛ فحسبه أن هذه النظرة التقليدية حالت دون تطور الاستعارة في مختلف الاتجاهات، لأنها قامت على مجموعة من الافتراضات يمكن أن نجملها في الآتي:

- الافتراض الأول: اقتصرت النزعة الأرسطية للاستعارة على فئة من البشر حين جعلتها موهبة يمتلكها البعض دون الآخر في حين أكد المفكر "ريتشاردز" أن البشر يعيشون ويتكلمون جراء رؤية التشابهات لأن التشابه هو من يضمن لنا البقاء والاختلاف يكمن في الدرجة لا غير.
- الافتراض الثاني: أقرت النزعة الأرسطية أن الموهبة في صياغة الاستعارة شأنها شأن بقية الأشياء التي يتم تعلمها واكتسابها لأن هذا النقل يكون عن طريق اللغة التي يتعلمها الفرد.
- الافتراض الثالث: جعلت النزعة الأرسطية الاستعارة شيئا خاصا واستثنائيا في الاستعمال اللغوي ومجرد انحراف عن الأنماط العادية للاستعمال في حين أكد "ريتشاردز" أن الاستعارة مبدأ حاضر في اللغة بشكل دائم (1).

¹ - ينظر: إيفور آرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، تر: سعيد الغانمي ناصر حلاوي، ط2، افريقيا الشرق، المغرب، 2002، ص 91-92.

نلاحظ من خلال الافتراضات التي دعى "رييتشاردز" إلى تجاوزها أنه قد أعلن القطيعة مع كل الأفكار التي تبنتها النزعة الأرسطية في دراستها للاستعارة، وقد ظهر هذا من خلال تبنيه لفكرة جديدة مفادها حضور الاستعارات الدائم في اللغة، ويقصد بهذا أن حديثنا اليومي والاعتيادي لا يمكنه أن يخلو من الاستعارة لأنها متجذرة في اللغة ويزداد استعمالها في مجال الفلسفة والعلوم التجريدية، فكلما ازددنا في التجريد يزداد استعمالنا للاستعارة.

وقد وضع "رييتشاردز" مصطلحين واضحين للتمييز بين أطراف الاستعارة، فسمى الطرف الأول **المحمول** وسمى الطرف الثاني **الحامل**، وقد أكد هذا من خلال أمرين أساسيين: الأول: المعنى هو حاصل تفاعل بين كل من المحمول والحامل، والثاني: هو أنه لا ينبغي اعتبار الطرف الحامل مجرد زخرف لفظي للمحمول، فتعاون واجتماع كل من المحمول والحامل يولد معنا ذا قوة متعددة، لا يمكن أن نحصل عليها من خلال انفصالهما (1).

وقد أكد أنه في مستوى الاستعارة يمكننا أن نتوصل إلى وجه الشبه إما بسهولة أو بصعوبة وعلى هذا الأساس قسم الاستعارات قسمين هما:

- نوع يقوم على علاقة شبه مباشرة بين الحامل والمحمول.
- ونوع يقوم على وجود موقف مشترك يتم اتخاذه بين الحامل والمحمول (2).

2-3- تصور بول ريكور "Paul Ricœur":

أكد "بول ريكور" بأن الاستعارة تهتم بعلم دلالة الجملة ولا تتعلق بعلم دلالة الكلمة المفردة، لأن الاستعارة لا تتبنى على المشابهة وإنما تتطوي أساساً على اختزال الصدمة المتولدة من جراء التقاء متناقضين، ومعنى هذا أننا عندما نكون حيال كلمتين تجمعهما علاقة توتر فالجمع بينهما هو الذي يشكل استعارة، وانطلاقاً من هذا غدت الاستعارة لديه حاصل توتر يجمع بين مفردتين في قول استعاري، وأن هذا التوتر الذي نعثر عليه في القول أو المنطوق الاستعاري لا يتوقف عند حدود المفردتين بل يتجاوز ذلك إلى الربط بين

¹ - ينظر: إيفور آرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ص 100.

² - المرجع نفسه، ص 113.

التأويلين المتعارضين للقول، وهذا التوتر هو الذي يغذي الاستعارة، وقد أقر "بول ريكور" أن انكشاف المفاجأة لا يكون إلا بعد تأويل القول حرفيا فالأحزان مثلا ليست غطاءً فعلا عندما نقول: "غطاء الأحزان" إذا اعتبرنا الغطاء كساء مصنوع من قماش، وكذلك لا يمكننا اعتبار الصلاة زرقاء عند قولنا: "صلاة زرقاء" لأنَّ الأزرق لونٌ والصلاة لا لون لها ويظهر من خلال هذين المثالين أن الاستعارة غير موجودة في ذاتها بل تتواجد في التأويل ومن خلاله. ويعد "بول ريكور" من أبرز من حاول تفسير نظرية الرموز استنادا الى نظرية الاستعارة حيث حاول فهم المعنى المزدوج استنادا إلى الاستعارات، وقد اقترح تفسير الرموز وفق نظرية الاستعارة عبر ثلاث خطوات تتمثل في:

1- تحديد نواة الرمز استنادا إلى بنية المعنى القائم في مستوى الأقوال الاستعارية.

2- عزل الطبقة اللغوية للرمز.

3- يشكل الفهم الجديد المتولد للرموز مبعث ومنطلق تصورات لاحقة في الاستعارة وهذا ما يجعل من نظرية الرموز تسمح لنا باتمام نظرية الاستعارة (1).

2-4- تصور جورج لاكوف ومارك جونسون:

يعد هذان العالمان أبرز من جسّد نظرية الدلالة العرفانية حيث تمكنا من كشف أبعاد الابستمولوجية الموضوعاتية الأرسطية تحديدا في مؤلفهما المشترك الموسوم: "الاستعارات التي نحيا بها"، والذي حقق قفزة نوعية على مستوى العلوم اللسانية والعرفانية وكانت هذه النقلة بمثابة الثورة التي أعلنّاها على النزعة الموضوعية التي تقوم على فكرة التطابق بين الرموز اللغوية وعناصرها في العالم الخارجي، وكذا انفصال الجسد عن المحيط.

وقد انطلق كل من "جورج لاكوف ومارك جونسون" في نزعتهم التجريبية التفاعلية

لدراسة الاستعارة من منطلقين أساسيين هما:

- تجمع الاستعارة بين الخيال والعقل، وأنه من بين متطلبات ومستلزمات العقل نجد

¹ - ينظر: بول ريكور، نظرية التأويل وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص90.

الصياغة المقولية، الاستدلال، الاستلزام، الاستنتاج، والخيال وهو ما يدعى بالفكر الاستعاري.

- أغلب مقولات فكرنا اليومي استعارية بطبعها، ومن مقتضيات تفكيرنا اليومي الاستنتاجات والاقتضاءات الاستعارية مما يجعل الاستعارة عقلية خيالية (1).

يُقر كل من "جورج لايكوف ومارك جونسون" بأن الاستعارات نوعان: استعارة نحيا بها واستعارة يمكن أن تقتلنا.

- الاستعارات التي نحيا بها:

بعدما أُقصِيَتْ وهُمِشَتْ الاستعارة كلياً من مجال دراسة الدلالة واعتبرت مجرد زخرف لفظي يمكن للغة الاستغناء عنه، ما جعلها موضع احتقار لدى العديد من المفكرين من بينهم "هوبز" حيث رأى أن الاستعارة مجرد زخرف يحمل شحنات انفعالية وعاطفية تؤدي إلى الوقوع في الخطأ والزلل، وبالتالي تبقى مجرد سراب لأنها منافية للعقل.

نجد كذلك "جون لوك John Locke" الذي يعتبر اللغة المجازية عامة والاستعارة خاصة وهي عدوة للصدق والحقيقة، وتبعه في هذا الرأي العديد من الفلاسفة من بينهم المفكر "صامويل باركر Parker, Samuel" الذي يقول: "كل هذه النظريات الفلسفية التي تعبر عن نفسها بواسطة مفاهيم استعارية فقط ليست صادقة حقيقةً، إنها ليست سوى نتائج خيال مكسوة مثل دمي الأطفال بالألفاظ فارغة براقية ... وبهذا فأهواؤها اللعوب والخصبة التي تتسلل إلى سرير العقل، لا تدنس العقل بعدم عفتها وعناقها غير الشرعي له فحسب بل عوض التصورات الحقيقية وتقرير الأشياء تُلغح الذهن بأوهام مائعة" (2).

لقد وقف كل من "جورج لايكوف ومارك جونسون" موقفاً معارضاً أمام هذه الإزديراء إذ يؤكدان بأننا نحيا بالاستعارة كون اللغة في جوهرها استعارية أي إنها تغير

¹ - ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص20.

² - جورج لايكوف ومارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996م، ص184.

العلاقات غير المدركة لقبول الأشياء وتعمل على إدامة هذا الإدراك أو الفهم، ومنه فالاستعارة جزء لا يتجزأ من نسقنا الفكري العادي، ويمكن اعتبارها مبدأ حاضرا في كل لغة.

- الاستعارات التي قد تقتل:

تعتبر الاستعارة ذات أهمية بالغة في اللغة كونها تقدم معنىً لتجارينا وتبين تصوراتنا وهذا ما يجعلها قادرة على قتلنا وقد جسد هذه الفكرة "جورج لايكوف" في كتابه "حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل"

حيث يقول: "الاستعارة قد تقتل عندما يلجأ إليها مستعملها ليستعمل بناءً استدلاليا يُبرِّرُ به الحرب... ويصوغ الهجوم على البشر، الاستعارة قد تقتل عندما تخفي وجه الحرب البشع عندما تعبت بمصائر الناس ولا تقيم معنى لآلامهم" (1).

إذا، لم تعد الاستعارة مجرد آلية يحيا بها الإنسان ويتفاعل معها بل صارت وسيلة من وسائل الحرب والقتل، يتمكن الإنسان من خلالها إحداث تغيير في العالم بواسطة اللغة فقط.

- الاستعارة التصويرية عند جورج لايكوف:

أسهم المفهوم الجديد للاستعارة في ظل العلوم العرفانية، في بناء مفاهيم وتصورات غيرت ما كان في المفهوم التقليدي، فالاستعارة بمفهومها الجديد هي آلية ذهنية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالذهن ومتمركزة فيه، وبما أنها مرتبطة بالذهن فهي تصويرية قبل أن تكون لغوية، وقد أدى اشتغال اللسانيين بمباحث المعنى المختلفة عامة إلى توجيه نظرهم لمبحث الاستعارة فحاولوا إنشاء مشروع جديد تكون فيه الاستعارة هي اللبنة الأساسية للدراسة وهذا ما دفع الباحثان "جورج لايكوف ومارك جونسون" للاهتمام بمبحث الاستعارة في كتابهما المشترك "الاستعارات التي نحيا بها" وقد ظهر هذا الاهتمام المشترك جليا من خلال قولهما أنما جمعهما هو الاهتمام المشترك بالاستعارة فقط، لاحظ "مارك جونسون" أن جُلَّ التصورات الفلسفية التقليدية لا تسندُ إلى الاستعارة سوى دور صغير، أو لا تسندُ إليها أي

¹ - جورج لايكوف: حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، تر: عبد المجيد جحفة، وعبد الإله سليم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص5.

دور في فهم أنفسنا، وقد كشف "جورج لايكوف" عن براهين لغوية تبين أن الاستعارة منتشرة في اللغة والفكر اليوميين وهي براهين لا توافق أي نظرية أنجلو الأمريكية حول المعنى، سواء في اللسانيات أو الفلسفة فقد اعتبرت الاستعارة في كلا الحقلين مسألة هامشية وقد كنا نحسد أن الأمر يرتبط بعكس ذلك بمسألة مركزية قد تكون مفتاحاً لتفسير كاف للفهم⁽¹⁾. يتضح لنا خلال هذا القول إن الباحثين "جورج لايكوف" و"مارك جونسون" قد أعادا الاعتبار للاستعارة بعد ما كانت أمراً هامشياً في الدراسات اللسانية، بل وجعلنا منها وسيلة لخلق وإبداع تصورات جديدة في مختلف الأنشطة اليومية التي يقوم بها الإنسان في حياته فقد حاولا من خلال هذا الكتاب البحث في الكيفية التي يفهم بها الإنسان لغته وتجربته والعلائق الرابطة بينهما؛ أي كيف تفعل التجربة في اللغة وكيف تفعل اللغة في التجربة؟⁽²⁾.

3-بنية نظرية الاستعارة التصويرية:

إن المقصود ببنية الاستعارة التصويرية هو الأساس الذي تقوم عليه، وهذا الأساس متمثل في: " إسقاط البنية الخطاطية في المجال المصدر على البنية الخطاطية في المجال الهدف بوجه يضمن التناسب بين مكونات الخطاطتين واحدا بواحد ويحافظ على التناسبات الثابتة بينهما وهذا الإسقاط موجه شرط الحفاظ على البنية الخطاطية في المجال الهدف من حيث عناصرها وعلاقاتها وذلك دون تغييرها أو تحويرها أو تبديلها، ويرى جورج لايكوف أن مبدأ الثبات بقيامه على شرط الحفاظ على خطاطة المجال الهدف، عبارة عن قيد يحكم عمليات الإسقاط فلا يكون الإسقاط آلية عشوائية⁽³⁾.

يتضح مما سبق أن نظرية الاستعارة التصويرية تقوم على مجموعة من الإسقاطات التصويرية بين المجالين المصدر والهدف، وهذه الإسقاطات محكومة بمبدأ تناسب بين البنية الخطاطية للمجالين، ويمثل "الأزهر الزناد" بهذا التناسب بمثال "الحياة رحلة " حيث يقول: "

¹ - ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص12.

² - المرجع نفسه، ص12.

³ - ينظر: الأزهر الزناد: النص والخطاب -مباحث لسانية عرفانية-، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، ط1،

2011، ص237.

يكون التناسب قائم ما بين بداية الحياة وانطلاق الرحلة وما بين نهاية الحياة "الموت" ونهاية الرحلة " الوصول" وما إلى ذلك... ولكن مجال الحياة يحافظ فيها من سعادة أو شقاء فلا يقوم التناسب ما بين الرحلة والحياة في السعادة مثلا فيمتنع قولنا رحلة سعيدة قياسا على حياة سعيدة، وما إلى ذلك (1).

ويتضح لنا هنا أن الغالبية في الإسقاط تكون دائما للبنية الخطاطية الهدف دون خرق لخصوصياتها أو تجاوز لمبادئها، ومعنى هذا أن مبدأ الثبات فيها يجب أن يقوم على التناسب، وفي المثال السابق خرق للتناسب، فعند قولنا: رحلة سعيدة قياسا على حياة سعيدة، لأننا قمنا بخرق خصوصيات خطاطة المجال الهدف "الذي يتمثل في الحياة".

4-أنواع الاستعارة التصويرية:

وسننظر في هذه الأنواع بحسب ما وضعه كل من "جورج لايكوف ومارك جونسون"، وذلك في الآتي:

4-1-الاستعارة الوضعية:

هي استعارات عادية تظهر في لغة الناس انطلاقا من كلامهم اليومي وهي تبعد كل البعد عن المقاصد الإبداعية، وهذا النمط من الاستعارات يتجسد في الطابع الاستعاري للغة، وكذلك في البنية التصويرية للإنسان، حيث إن هذه الأخيرة هي أساس كل عملية استعارية، لأنها تلازم الحياة اليومية للإنسان، على الرغم من أننا لا نستطيع إدراكها في كثير من الأحيان ونعتبرها مجرد وصف مباشر للظاهرة الذهنية، وهذا ما يجعلها تنتمي إلى نسق معرفي متعارف عليه ومتداول مما جعل جورج لايكوف ومارك جونسون يطلقان عليها اسم الاستعارات الوضعية أو المعرفية(2).

وتتضمن الاستعارات الوضعية ثلاثة أنواع من الاستعارات وهي: الاستعارات الاتجاهية، الاستعارات الانطولوجية، الاستعارات البنيوية، وهذه الأنواع من الاستعارات هي بمثابة

1 - الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفانية، ص144.

2 - ينظر: عبد الإله سليم: بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقارنة معرفية، ص110.

حقائق مثبتة في نسقنا التصوري وسنشرح هذه الأنواع من الاستعارة وفق ما يلي:

4-1-1- الاستعارات الاتجاهية:

يعيش الإنسان في عالم واقعي تحيط به الاتجاهات الفضائية الفيزيائية من كل الجهات كونها تشكل وبشكل مباشر محيطنا الخارجي وهذه الاتجاهات الفضائية هي: أمام / خلف، فوق/تحت، داخل/خارج، مركز/هامش، وغيرها من الاتجاهات الفيزيائية الأخرى، وبالتالي يخضع الإنسان يوميا لتجارب تصويرية بحسب وضعية وتموقع جسده في الفضاء وهذا التموقع الجسدي للإنسان ينتج عن تصورات كثيرة تعكس تفاعل الإنسان مع هذا المحيط الذي يعيش فيه (1).

ومن هنا فإن هذا النمط من الاستعارات ينظم نسقا كاملا من التصورات المتعاقبة ومن أمثلة هذا النوع من الاستعارات الذي يعطي توجهها فضائيا هذا النموذج من قصيدة "الانتفاضة" للشاعر "سميح القاسم"، حيث يقول:

تقدّموا... تقدّموا

كل سماء فوقكم جهنم

وكل أرض تحتكم جهنم

تقدّموا...

يلاحظ القارئ لهذه الأبيات أنها جسدت استعارة اتجاهية تمثلت في تموقع الجسد في الفضاء الفيزيائي من خلال استعمال الشاعر لـ(فوق/تحت) ونذكر مثالا آخر عن الاستعارات الاتجاهية متمثلا في قول الشاعر "عياش يحياوي" في قصيدته "انخطافات الليلة الثالثة":

ترقص الآن تحت النجوم لعشاقها في المقابر

إني أكاد أرى ما تخبئ أجنحة الطير

قبل الرحيل.

¹ - ينظر: صالح غيلوس: التلقي والإنتاج في ضوء العرفانية تنظيرا وإجراء، دار البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، سطيف، ط1، 2017، ص108.

وهنا نجد استعارة اتجاهية أسسها الشاعر انطلاقاً من التفاعل بين ما هو مادي
فيزيائي وبين ما هو ذهني، وذلك أن كلمة "تحت" دلت على اتجاه في قول الشاعر ترقص
الآن تحت النجوم (1).

ما نستنتجه هو أن المقولات اللغوية تنتج جراء التفاعل الذي يحصل بين الجسد
والمحيط وهي تمثل دوراً هاماً في تنظيم معتقداتنا، ووفق هذا الأساس يتم إنتاج بنيات لغوية
مثل: تعبيرنا عن السعادة بالفوقية كقولنا: "طرت فرحاً" وهذا يعكس أن اتجاه السعادة موجود
فوق؛ أي أن اتجاه السعادة اتجاه فضائي فيزيائي فوق، وهو عكس قولنا: "نزلت معنوياتي"
كون الشقاء موجود تحت، أي إنه يتخذ بعداً فضائياً فيزيائياً تحتياً.

إذا، ينتج هذا النوع من الاستعارات عن تجارب الإنسان الفيزيائية مع محيطه
الخارجي، وهذا يسهل عملية توصله للمعنى اللغوي ويعتبره وكأنه شيء مادي محسوس.

4-1-2- الاستعارة البنيوية:

وهي استعارات "يتم فيها بَنِيَّةٌ تصور ما، استعارياً عن طريق تصور آخر" (2).
أي إن الاستعارات البنيوية يتحد فيها مجالان تصوريان يتم من خلال الأول فهم
الثاني، يقول "جورج لايكوف" عن الاستعارات البنيوية: "هي استعارات تسمح لنا بأن نقوم
بأكثر من وضع تصوري اتجاهي، أو الإحالة عليه، أو تكميمه، ... إلخ، كما رأينا في
الاستعارات الاتجاهية البسيطة والاستعارات الانطولوجية كونها تسمح بالإضافة الى ذلك
باستعمال تصور جَدُّ مَئِينٌ وَجَدُّ واضح في بنيته تصور آخر (3).

يكون الإسقاط الاستعاري البنيوي داخل تجربة الفرد أي إنه ينشأ من ترابطات نسقية
تظهر من خلال تجربته في الواقع وتعمل هذه الأخيرة على بلورة وإظهار الصورة الفعلية عن
التصور الذهني، ومثال ذلك قول الشاعر "عمار بن لقرشي" في قصيدة "بداية":

1 - أسية مرهون، عز الدين عماري: ملامح الاستعارة الذهنية كبعد عرفني في شعر عباس يحيوي من خلال ديوانه "ما
يراه القلب الحافي في زمن الأحذية"، مجلة المقري الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، العدد 3، 2021، ص 08.
2 - محمد غاليم: التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1987، ص 96.
3 - جورج لايكوف ومارك جنسون: الاستعارات التي نحيا بها، ص 81

كثيرة هي المرافئ

وحين أسألك:

أين أرسوا؟

لا تجيبين...

أراك اليوم تُزهرين للآخر...

أتذكرين البداية؟

كنا نرقص على الماء...

ترسم بالبسمة بساتين الحلول...

أتذكرين البداية؟ (1).

تكمّن قيمة هذه الاستعارة البنيوية أو تتحدّد في المعايشة النسقية التصويرية: "حين نبني تصورنا عن مجال من خلال مجال آخر، ثم نعيش فيه باستدعاء المقابل له من أنساقنا التصويرية ونعني بحديثنا الأول، ونحيا في الثاني، وهذه المعايشة لها قيمتها في تفاعلنا مع الاستعارة التي تحولت إلى حقيقة... إن الاستعارة البنيوية استحضار لحدث سابق ومعايشته بكل حيثياته لفهم حدث آخر يشبهه في بعض جوانبه (2).

ومنه فقيمة الاستعارة البنيوية تكمن في بنية أنساق تصويرية تتسم بوضوح أقل استنادا إلى أنساق تصويرية تتسم بوضوح أكثر، وكمثال على هذا نجد أن نسق اللغة نسق يتسم بالوضوح إذا قارناه بنسق المعنى الذي يتسم بوضوح أقل.

4-1-3- الاستعارات الانطولوجية:

تكمّن الاستعارة الانطولوجية في كونها تقوم بتبيين أنساق وموضوعات مجردة استنادا إلى أنساق فيزيائية، أو موضوعات محسوسة، ويتم فيها النظر إلى الموضوعات المجردة كالفلسفة والحكمة مثلا أو المشاعر الانفعالية كالحب والغضب باعتبارها أشياء مادية

¹ - عمار بن لقريشي: ديوان مقام الاغتراب دار الروائع للنشر، سطيف، الجزائر، ط1، 2015م، ص43.

² - عطية سليمان أحمد: الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، ص42.

محسوسة.

وقد قسم الباحثان "جورج لايكوف ومارك جونسون" هذا النمط من الاستعارة إلى فروع عدة، نذكرها في الآتي:

-استعارات تشخيصية:

يقوم هذا النمط من الاستعارات بمنح معنى لظواهر العالم عن طريق ما هو بشري، أي تشخيصها ومعنى هذا أنها تعمل على تشخيص الأشياء الفيزيائية كما لو كانت أشخاصا وهي من أكثر أنواع الاستعارات الانطولوجية بداهة، ويجعلنا هذا النوع من الاستعارات نفهم العديد من التجارب التي تتعلق بكيانات غير بشرية من خلال أنشطة بشرية كقولنا: "لقد خدعتني الحياة" أو قولنا "الدهر عدو لنا " حيث نجد في هذين التعبيرين أننا قمنا بتشخيص الحياة والدهر كأنهما شخصين بشكل حقيقي، لكن في الحقيقة يختلف التشخيص من مظهر إلى آخر ويبقى الاختلاف مقترنا بالاستنادات التي تركز عليها⁽¹⁾.

-استعارات الكيان والمادة:

يسمح هذا النوع من الاستعارات الانطولوجية بتقديم فهم للفرد يمكنه من إعطاء تفسير لتجاربه مع الأشياء الفيزيائية باعتبارها كيانات من نوع واحد أو كيانات معزولة مما يسمح له بالإحالة عليها.

إن استعارة الكيان والمادة ناتجة عن تجاربنا مع الأشياء الفيزيائية خاصة أجسادنا كونها تقدم لنا طرق النظر إلى الأحداث والأنشطة والإحساسات والأفكار باعتبارها كيانات ومواد يستدل عليها الإنسان انطلاقا من تجربة الشيء استعاريا، وبهذا نحصل على طريقة للإحالة على الكيان في ظل التجربة⁽²⁾.

- استعارة الوعاء:

يَعُدُّ هذا النوع من الاستعارة الفرد وعاء يمتلك مساحة محدودة وواضحة، كما يتوفر على

¹ - ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 53

² - صالح غيلوس: مباحث لسانية عرفنية، ص99.

توجه (داخل/خارج)، المساحة التي تحده، كونه يقوم بإسقاط التوجهات الفضائية (داخل/خارج)، تلك التي ترتبط بالفرد وبالمحيط الفيزيائي المحدود والمعين حيث تعتبر تلك الأشياء مجرد أوعية يكون جسد الإنسان داخلها أو خارجها.

ينظر هذا النوع من الاستعارة إلى الأنشطة التي يقوم بها الإنسان على أنها مواد استعارية وأوعيته تحوي أعمالاً وأنشطة أخرى تدخل من خلالها.

ومن هنا فإن الاستعارة هيمنت على التفكير البشري وعلى النسق التصوري وجعلت كل أفكارنا وسلوكياتنا مآلها الاستعارة بالدرجة الأولى، ما جعلها تحتل مكاناً في المجال الذهني وتخرج عن موقعها الطبيعي المتمثل في اللغة⁽¹⁾.

4-2- الاستعارات غير الوضعية "الإبداعية":

يقصد بها الاستعارات التي تتواجد خارج النسق التصوري العادي، وهي التي تقوم أساساً على خلق علاقات جديدة بين موضوعات مختلفة، ويضم هذا النوع من الاستعارات كل تعبير يكتسب طابعاً جمالياً، فنياً، وإبداعياً سواءً كان هذا التعبير اللغوي في مستوى الخطاب بمختلف أجناسه، فلسفياً كان أو نثرياً أو سياسياً أو غيرها من أنواع الخطابات الأخرى، إذن تتبنى الاستعارات غير الوضعية على استثمار صفة الشبه بين الموضوعات وذلك من أجل جعلها تتجاوز الأنماط الاستعارية البلاغية التقليدية لتخلف بذلك ترابطات توليفات دلالية جديدة بشكل لا نهائي وهذا راجع إلى علاقة التفاعل بين المحيط البيئي الثقافي وبين تصور الكاتب الذي يقوم بإنتاج نص أو خطاب ما وهذا التوسع الاستعاري العرفاني هو الذي سمح بانبثاق فهم جديد للمعنى الدلالي سواءً كان في مجالي التعابير اللغوية العادية التي يتكلمها الإنسان بشكل يومي أو التعابير الإبداعية التي يوظفها الكاتب في خطاباتهم⁽²⁾.

5- قيمة الاستعارة التصويرية:

ينحصر البعد التصوري للاستعارة في ثلاثة عناصر تمكن الإنسان من فهمها وتمثّل

¹ - صالح غيلوس: مباحث لسانية عرفية، ص 100.

² - ينظر: جورج لاكوف ومارك جنسون: الاستعارات التي نحيا بها، ص 121.

معناها وهذه العناصر هي:

5-1- التجسيد:

وهو تجسيد الواقع غير المنظور من خلال خصائص واقع منظور آخر، والتفاعل والتعامل معه على أنه كيان موجود، يبدو متجسدا حتى يسهل التفاعل والتعامل معه، ونقصد بهذا التفاعل تفاعل الجسد باعتباره نظاما إدراكيا وجهازا حركيا مع عناصر الكون الخارجي، وينعكس هذا التفاعل خاصة في تصور الأشياء المحسوسة والأمور المجردة مثل القيم والإحساس والأفكار والمفاهيم⁽¹⁾. ومن بين أمثلة التي توضح دور التجسيد في فهم التصور الاستعاري نجد قول الشاعر "عياش يحيائي" في قصيدته "صلاة إلى سماء امرأة":

وهذا هو الشعر فانتنتي

ليس فيه التذاذ سوى حرقه العمر

يجثوا القصيد إلى قدميك

يضيء الشموع ويحرق بعض البخور

ويدخل صوفية العشق

ممتثلا للأوامر كِ الطيبات

ومن قامة الصمت فيك

نشيد فوضى الفرائض

يحفظها القلب من وجده

ويغيب هلال الكلام

سلاماً... سلام⁽²⁾.

يعد التجسيد مظهرا آخر في التعامل مع العالم الخارجي يستطيع من خلاله الإنسان فهم النسق التصوري الاستعاري.

1 - صالح غيلوس: مباحث لسانية عرفية، ص94.

2 - عياش يحيائي: ما يراه القلب الحافي في زمن الأحدثية، مطبعة دار الفجر، أبو ظبي، ط2، 2008، ص13.

5-2- الفهم:

يمارس الإنسان عملية التفكير في ظل وضعية تفكيرية متقابلة بين المفكر والمفكر فيه، وقد تكون هذه الممارسة بوعي أو بلا وعي، يستند فيها إلى مخزونه المعرفي، وينكب على قضية أو إشكالية أو فكرة، أو حدث، قاصدا فهمه وتفسيره بناءً على ما توافر لديه من آليات عرفانية، حيث تتولد عن الوضعية التفكيرية مجموعة من التقابلات التي يكون فهمها باستخدام الواقع الملموس، وذلك عن طريق توظيف ما حولنا من علامات موجودة في الواقع الخارجي⁽¹⁾.

5-3- الخيال:

هو القوة التي بواسطتها نستطيع فهم التصور الجديد الذي يرسخ في الذهن انطلاقاً من الواقع، وهذا هو ما قامت عليه الاستعارة العرفانية بمختلف أنواعها وأنماطها. ومن الأمثلة التي تبين قوة الخيال في التعبير قصيدة "حضور الغياب" للشاعر "صالح غيلوس" حيث يقول فيها:

تصوّرَ أني أحتويك

يوما ستكون أنت مثلي

جرحا كالوعاء يحتويني

أيتها الأوهام المدلّهمة

دعيني...أميطي اللثام

ودعيني أمضي في الخلوات

دعيني...فإننا الغريب على القارعات

أجالس نفسي أقرعها لتزدجر

وأزرع الزهر بملح السبخات

حين تمطر الشمس

¹ - صالح غيلوس: مباحث لسانية عرفنية، ص 96.

لِنُفْرِخَ الأرض فراشات باسمات

لن أَبُوحَ بسري مهما فعلتي (1).

6- القيود التي تضمن سلامة البنية التصورية الاستعارية:

- قيد التوليفية:

التوليف عبارة عن طاقة ذهنية تقوم أساسا على النحو، حيث يكون فيها توليدياً قادراً على إنتاج عدد لا نهائي من الأقوال وفهمها فهما مناسباً وذلك بناءً على عدد محدود جداً من العناصر التي يجري توليفها وفق مبادئ التوليف الإعرابية أي " النحوية"، وهذه الفكرة هي التي أقام عليها تشوميسكي نظريته التوليدية التحويلية، حيث انطلق من فكرة مفادها أن الطفل يفوق في طاقته النحوية جميع باحثي اللغة فهو قادر على إقامة نحو في ذهنه دون إعانة من أحد أو عناء في ذلك (2).

ويرى "راي جا كندوف" أنه من الخطأ البحث في طرق الاهتداء إلى تشخيص النحو الذهني، لأنه توليفي وهذه التوليفية ترتبط دلالياً بمدى معرفتنا للغموض المعجمي والتركيبى مما يكشف لنا أن معنى التعبير اللغوي ينبنى تأسيسياً على معاني الكلمات التي يحتويها وكذلك على تركيبه اللغوي النحوي، فكذاك ينبغي أن نحدد بنيتها النحوية وكيف تتناسب مع الهيكل الذي تم بناؤه، ويتم حل الغموض من خلال مراكز تختص بالتشفير المعجمي والصوتي، ثم التحليل المنطقي والتوافقي وفق مبدأ التوليف التركيبى وهذه الإبداعية تنشأ بسبب معرفتنا الدلالية (3).

- القيد المعرفي:

لقد افترض "غروير" العلاقات المحورية، لأن المحمولات حسب تصوره، قد تفيد الحركة أو الحلول أو الاستقرار، في الحركة لا بد من "مصدر" ومن "هدف" ومن "محور" ينتقل بين

1 - صالح غيلوس: ديوان عراجين الملح، مطبعة البدر، العلمة، الجزائر، 2018، ص 97.

2 - ينظر: victoria franklin, an introduction to language, america, print number 01, 2017, p 139.

3 - ينظر: محمد الصالح البوعمراني: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، دار نهى، صفاقس، تونس، ط1، ص124.

المصدر والهدف أما في الاستقرار والحلول فلا بد من كيان حال في المكان وهو محور الحلول، وهذا التقييم لا ينسحب على المحمولات الدالة على الفضاء فحسب، بل نجد أن العلاقات الفضائية تبين حقل الفضاء والحقول الأخرى غير الفضائية (1).

-قيد الكلية:

يُستعمل هذا القيد في إمكانية رصد الترجمة بين اللغات، إذ يجب التسليم بأن مجموع البنيات الدلالية المسموح استعمالها في اللغات هي بنيات كلية، وبمعنى آخر أنه بمقدور أي لغة أن تُعبّر عن المعنى الذي تريده، فعل لغة محصورة بمعجمها وبنياتها النحوية وقواعدها الإسقاطية أي التي تُسقط التركيب في الدلالة أو الشكل في المعنى (2).

-القيد العرفي:

إن نظرية البنية التصورية في اللغة الطبيعية هي في حدّ ذاتها نظرية لبنية الفكرة مما يفرض تلازم المعلومات التي تحملها اللغة مع المعلومات الصادرة من المحيط، وهذا يوفر التزاما بتوفير أو تخصيص للغة بالاتفاق مع ما عُرِفَ عن الذهن والدماغ ويتلخص هذا القيد في وجوب افتراض مستويات للتمثيل الذهني تتضافر فيها المعلومات القادمة من الأجهزة البشرية مثل: الجهاز البصري والجهاز الحركي والأداء غير اللغوي وجهاز الشم ودون افتراض المستويات التمثيلية فإنه يستحيل أن نستعمل اللغة في وصف إحساساتنا وإدراكاتنا وتجاربنا المختلفة (3).

-قيد التعبيرية:

يجب أن يتوفر في اللغة البشرية الكفاءة التعبيرية، أي الوصفية من أجل رصد الفروق الدلالية القائمة بين اللغات (4).

¹ - ينظر: زهرة الطاهري، مقارنة بعض النظريات الدلالية للمعنى: النظرية التصورية أنموذجا، ص 99، الموقع:

<https://www.academia.edu/47770340>

² - ينظر: عبد المجيد جحفة: مدخل إلى الدلالة الحديثة، سلسلة المعرفة اللسانية، المغرب، ط1، 2020، ص 99.

³ - ينظر: أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، ط1، 2010، ص107.

⁴ - ينظر: صالح غيلوس: دور التصور الذهني في تشكيل المعنى، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مج:

04، العدد 4، 2020، ص 99.

7-التجليات اللسانية للاستعارة التصويرية -نماذج تطبيقية-:

تحتل الاستعارات التصويرية مجالا واسعا في اللغة العادية وكذلك في المحادثات اليومية ليس هذا وحسب بل تحتل مكانة كبيرة في الجمل اللغوية والنصوص الأدبية باختلافها سواء كانت شعرية أو نثرية كما نجد لها مكانة أيضا في مختلف النصوص القرآنية وفيما يلي نورد بعض التجليات الاستعارية كالآتي:

7-1-تجليات الاستعارة التصويرية في الجمل:

من بين الامثلة التي تعبر عن وجود الاستعارة التصويرية في الجمل، قولنا:

-استعارة "الحب طعام"، فهي استعارة تصويرية، وإذا أتينا الى تحليلها فإننا نجد أن المجال المصدر هنا هو "الطعام" والمجال الهدف هو "الحب"، وكذلك قولنا في عبارة "أعطاه الحب قوة جديدة" تقدم لنا منظورا للحب باعتباره طعاما، وهناك العديد من العبارات التي تتدرج في نفس السياق كقولنا في العبارات التالية:

- هو جائع للحب
- إنه ينمو بالحب
- العلاقة يغذيها الحب
- الطفل يشتهي الحب...الخ

وبالتالي فالتصور الذي نريد فهمه هنا والمقصود به "الحب" يدعى المجال الهدف في الاستعارة التصويرية، والتصور المستعمل لهذا الأمر يدعى المجال المصدر، ويمثله في هذه الاستعارة الطعام، وحسب "لايكوف" فإن للاستعارة التصويرية وظيفة أولية تلعب دورا معرفيا لفهم تصور انطلاقا من الآخر، وهو ما قامت به هذه الاستعارة في قولنا "الحب طعام"⁽¹⁾.

-استعارة "الزمن مال"، فالمجال المصدر في هذه الاستعارة هو المال والمجال الهدف هو الزمن باعتباره قيمة في مجتمعاتنا وثقافتنا، فيه تحقق مآربنا ومصالحنا ونجد من التعابير الاستعارية المعبرة عن استعارة "الزمن مال".

¹ - سعيد الحنصالي: الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص 230.

- "إنك تجعلني أضيع وقتي.

- هذه العملية ستجعلك تريح ساعات وساعات

- ليس لدي وقت أمنحك إياه

- كيف تدير رصيدك الزمني؟"(1).

فهذه العبارات الاستعارية تحقق مفهوم "الزمن مال" وبالتالي شكلت تصوراً استعارياً ذهنياً، ويتضح ذلك من خلال العبارات (أُضِيعُ، تَزِيحُ، أَمْنَحُكَ، رَصِيدُكَ)، يقول الأزهري الزناد: " نجد في ثقافتنا أن التصور الاستعاري "الزمن مال" يتجلى بصورة مختلفة: في التسعيرات التليفونية وأجور السّاعات، وتسديد الدّين الذي ندين به لمؤسسة ما ... فلو كنا نتصرف كما لو كان الزمن شيئاً نفسياً ومورداً محدوداً وكما لو كان مالاً، فإننا نتصور الزمن بهذه الطريقة، وبهذا نفهم الزمن ونعيشه باعتباره شيئاً يُصْرَفُ وَيُسْتَهْلَكُ وَيُسْتَنْمَرُ بصورة جيدة أو سيئة ويتم توفيره أو تضييعه"(2).

7-2- تجليات الاستعارة التصويرية في النصوص:

- النصوص الشعرية:

تجلت صورة الاستعارة التصويرية في النصوص الشعرية وهذه النماذج التي سنوردها خير دليل على ذلك:

من بين الأمثلة الشعرية التي ظهرت فيها الاستعارة التصويرية نجد أعمال الشاعر المصري "أمل دنقل" الذي برع في تجسيد العديد من الصور الاستعارية في العديد من قصائده الشعرية منها قصيدة "كلمات سبارتكوس* الأخيرة" التي أخذنا جزءاً منها أين يقول "سبارتكوس" كلماته الأخيرة وهو مصلوب أو في حبل المشنقة فيذكر:

"معلق على مشانق الصباح

1 - جورج لاكوف ومارك جنسون: الاستعارات التي نحيا بها، ص 25.

2 - الأزهري الزناد: نظريات لسانية عرفانية، ص 147

* - سبارتكوس: هو أحد قادة ثورة العبيد في حرب القيق، وهي إحدى كبرى الانتفاضات التي قام بها رقيق الامبراطورية الرومانية.

وجبهتي بالموت منحنية

لأنني لم أحنها...حية "(1).

نجده في هذه العبارات يُقَرُّ بأنه لم يَحْنِ رُقْبَتَهُ ولا مرة في حياته، بل أحنها إلا للموت وهو دليل على تحديه للظلم وثورته على نظام الاستعباد، فكان بذلك قائدا قويا ورمزا من رموز الثورة.

ثم يواصل الشاعر "أمل دنقل" عباراته على لسان سبارتكوس في هذه القصيدة ليوجه إخوانه قائلا:

يا إخوتي الذين يعبرون في الميدان مُطْرِقِينَ

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكندر الأكبر:

لا تخلجوا...ولترفعوا عيونكم إليَّ

لربما... إذا التقت عيونكم بالموت في عيني:

يبتسم الفناء داخلي...لأنكم رفعتم رأسكم (...)

فخلف كل قيصر يموت: قيصر جديد (...)(2).

في هذه الأبيات يطالب سبارتكوس إخوانه برفع الرؤوس دون خجل أو إنحناء، فهو لا يريد أن يرى في أعينهم معنى للهزيمة والانكسار، وبالتالي فالاستعارة التصويرية التي تعبر عنها هذه الأبيات هي استعارة "الجدال حرب" وهي المتمثلة في استعارة "المناظر سبارتكوس" فنجد فيها أنَّ المجال المصدر هو "سبارتكوس" والمجال الهدف هو "المناظر" وإذا حاولنا القيام بالإسقاط التصوري للميدانين المصدر والهدف نتحصل على التقابل في الجدول التالي:

1 - أمل دنقل: الأعمال الشعرية الكاملة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1987، ص 110.

2 - المرجع نفسه، ص 110-111.

الميدان المصدر	الميدان الهدف
سبارتكوس لم يرض العبودية	المنازل لم يرض الرضوخ
سبارتكوس ثار على القيصر	المنازل ثار على الحكم الجائر
سبارتكوس ثار في سبيل الحرية	المنازل ثار في سبيل الحرية
سبارتكوس أراد تحرير رفاقه	المنازل أراد تحرير مجتمعه
سبارتكوس نال عقوبته شنقا	المنازل يقتله السلطان الجائر
سبارتكوس ظل رمزا حيا	المنازل يحي أبدأ رغم موته

-النصوص النثرية:

تجلت الاستعارة التصويرية بصورة متنوعة في الكثير من النصوص النثرية وقد اخترنا نصا بعنوان "فخ الاسرائيلي والعصفورة" والذي قمنا باقتطافه من كتاب " طرائف من التراث العربي " لعبد الأمير علي المهنا "حيث وجدنا في طياته أنه يحمل العديد من صور الاستعارة التصويرية وقد ورد في متن هذا النص ما يلي:

"قال يحي بن عبد العزيز بإسناده عن وهب بن منبه: "تصب رجل من بني إسرائيل فحاً فجاءت عصفورة فوقعت عليه فقالت:

مالي أراك منحنياً؟

قال: لكثرة صلاتي انحنيت

قالت: فما لي أراك بادية عظامك؟

قال: لكثرة صيامي بدت عظامي؟

قالت: فما لي أرى هذا الصوف عليك؟

قال: لزهد في الدنيا لبست الصوف

قالت: فما هذه العصا عندك؟

قال: أتوكأ عليها وأقضي بها حوائجي

قالت: فما هذه الحبة في يدك؟

قال: إنها قربان إن مرّ بي مسكين ناولته أياه

قالت: فإني مسكينة

قال: فخذوها

فقبضت العصفورة على الحبة فإذا الفخ في عنقها فجعلت تقول: قعي قعي! (1).

إن المطلع على هذا النص يلاحظ أنه قد تم خداع العصفورة من طرف الرجل الإسرائيلي الذي نصب لها فخا للإمساك بها فتظاهر بأنه ناسك زاهد واستعارة صفات الزهد وهي: "الانحناء لكثرة الصلاة، بداوة العظام لكثرة الصيام، لباس الزهد، التوكأ على العصا، القربان" حتى أوقع العصفورة في الفخ.

ومن هنا أن معالم الاستعارة التصويرية بادية في النص حيث نجد المجال المصدر والمتمثل في "الناسك الزاهد"، والمجال الهدف هو المتمثل في الفخ وشبكة الاسقاطات المفاهيمية متناسبة بين الفضائين حيث نجد ما يلي:

- انحناء الظهر في الصلاة ← يوافق فك الفخ

- والعظام البادية من كثرة الصيام ← توافق أسلاك الفخ المعدنية الرقيقة

- ولباس الصوف يوافق ← التخفي

- والعصا ← توافق إيزيم الفخ

- والقربان ← يوافق الحبة المعطاة للعصفورة

والمخطط التالي يشرح ما سبق ذكره:

1 - عبد الأمير علي المهنا: طرائق من التراث العربي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 1، 1990، ص 324.

الميدان المصدر	الميدان الهدف
- انحناء الظهر	- السلك المعدني المقوس
- نتوء العظام	- الأسلاك الدقيقة
- لباس الصوف	- التخفي (التمويه)
- العصا	- الإيزيم
- القربان	- الطعم (الإغراء)
- المسكين	- الحيوان (العصفور)

وانطلاقاً من هذا يمكننا أن نقول إن الاستعارة التصويرية هي شبكة من الاسقاطات المفهومية بين مجالين أساسيين: مجال المصدر، ومجال الهدف، وانطلاقاً من هذه التقابلات الاسقاطية يتم تبسيط التعابير اللغوية للوصول إلى المعنى.

المبحث الثاني: المعنى العرفاني وآلية بنائه في ضوء نظرية الأفضية الذهنية:

تعد نظرية الفضاء الذهني من بين النظريات في المجال العرفاني، حيث سلطت الضوء على دراسة المعنى وذلك من خلال استنادها إلى ما يعرف بمصطلح الفضاء، هذا الأخير الذي يُعدُّ من بين الأسس البانية للمعنى الذهني على حسب ما توجه إليه العالم "جِيل فوكونيي Gilles Fauconnier"، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المبحث من الدراسة.

1- مفهوم الفضاء الذهني:

الفضاء الذهني أو ما يعرف بنظرية الفضاءات الذهنية هي نظرية نفيسة عرفانية تنتمي إلى الأنساق اللسانية المفتوحة على المخاطب والمقام، ظهرت على يد اللساني الفرنسي "جِيل فوكونيي"، حيث اهتم بتفسير هذه النظرية انطلاقاً من البحث في العلاقة التي تربط بين الظواهر اللغوية بالعمليات الذهنية التي تنتج وتبين كيفية اشتغال هذه الظواهر اللغوية داخل الأبنية اللغوية المختلفة ونقصد بالظواهر اللغوية: الإحالة، الدلالة والمطابقة النحوية، بعض حالات الإضمار التي لا تظهر في التركيب اللغوي (1).

2- الأسس النظرية التي أسهمت في ظهور مفهوم الفضاء الذهني:

1-2- الذهن وبناء المعنى:

من بين الدوافع والأسباب التي أدت بالعلم العرفاني إلى إعادة الاعتبار لدراسة المعنى، عزوف وحذر بعض النظريات اللسانية وإعراضها عن دراسته، كون المعنى من المعطيات التي تمتاز بالمرونة والحركة، ومعنى هذا أنه غير قابل لشكْلَتته، ومن أسباب مرونة المعنى أن الألفاظ المعبرة عن المعاني قد تُحمَل على غير الأصل الذي وضعت له ففي كثير من الحالات، ما يتخذ المتكلم طريقة الخروج على قواعد النظم والإعراب الأصلية بسبب اتخاذه من الألفاظ " لعبة" حسب تعبير العالم "فيتغنشتاين Wittgenstein"، وهو ما يفضي إلى كثرة المعاني وبالتالي ضياع المعنى المقصود، لأن الألفاظ عند المتكلم مجرد كساء للمعنى،

¹ - لطفي الذويبي: قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية، مجلة العلامة، العدد 3، ديسمبر 2016، ص14.

ومهما كان الكساء متقن الصنع فإنه لا يقدر أن يعبر عن كل المعاني، لأن المعاني بطبعها عرضة للتبديل والتحويل، فمن خصائص اللغة أنه إذا حولنا مواضع الكلم أو بدلنا علامة إعرابية تغيرت دلالة البنية اللغوية، وتغير المعنى النحوي وانتقلنا من وظيفة إلى أخرى⁽¹⁾.

إذن نستنتج من خلال هذا القول: إن عملية الكلام خاضعة لتصميم المتكلم وهندسته لأن كل تصرف أو تحويل في مواضع الكلم راجع إليه، ومن هنا فكل بنية لغوية يوجهها المتكلم إلى سامع ما فبالضرورة أنها توجد في ذهن المتكلم منتج تلك البنية اللغوية، وقد تحمل هذه البنية المنجزة معنى واحداً، وقد تتفتح على أكثر من معنى يقصده المتكلم ويفهمه المخاطب في وقت واحد ويكون هذا الفهم مرتبطاً بالمعرفة المشتركة بينهما الشاملة لقواعد الإعراب وبناء المعنى، فقولنا مثلاً: "فلان دخل في دوامة"؛ فإننا نستفيد منه معنى أولاً حاصلًا من مظاهر اللفظ ينطق به المتكلم، كما أننا نفهم معنى ثانياً يفكر فيه المتكلم ويقصد إبلاغه مخاطبه، ومفادُ هذا المعنى الثاني أن هذا الشخص صار يعيش أزمات متنوعة عجز عن تجاوزها، والرسم التالي يوضح ذلك:

بنية لغوية منجزة ← معنى أول ← معنى ثان أو ثالث

يُفْهَمُ على وجه الحقيقة يفكر فيه المتكلم ويقصده

ومن هنا فقد أعيد الاعتبار لدراسة المعنى حيث انصب اهتمام بعض اللسانيين في الآونة الأخيرة إلى دراسة كيفية تشكل المعنى وبنائه في الأذهان قبل خروجه إلى التحقق الفعلي في الأبنية اللغوية، وبعد العالم "فيستاف قيوم" صاحب المدرسة النظامية الذهنية تصورا كاملاً للعمليات الذهنية التي تتحكم في إنتاج الظواهر اللغوية كما درس المعاني في سياق الحركة الذهنية التي قد تسبق حدث التلفظ ووجد أن المتكلم يقوم ببناء عالم الاعتقاد في فكره وهذا الأخير هو الذي يوجه عملية فهم البنية اللغوية وتأويلها عند المخاطب.

وقد توصل هذا التوجه نحو دراسة العمليات الذهنية التي تسبق حدث التلفظ وتوجّهه مع اللسانيين العرفانيين من أمثال جورج لاكوف وجيل فوكوني وغيرهم، فتصورهم للمعاني قائم

¹ - ينظر: لطفي الذويبي: قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية، ص 12.

على فكرة أن بناءها ذاتي، لأنها من إنشاء المتكلم، وبالتالي فهي تكوينية قبل أن تكون تأويلية لأنها تتكون في الأذهان ثم تخرج إلى التحقق اللساني في صورة بنية لغوية منجزة تكون قابلة للفهم والتأويل (1).

2-2-المجاز وتأويل اللفظ:

تعد الأبنية المجازية من بين الأبنية التي تطرح إشكالات كثيرة لفهمها وتأويلها دلاليا ومن بين هذه الأبنية المجازية الأبنية الاستعارية، التي هي دائمة التواتر والحضور في كلامنا اليومي كما يقول "جورج لايكوف": "الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية لأنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا، لأن النسق التصوري العادي الذي يُسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس" (2).

إضافة إلى ذلك فصعوبة التحليل تكمن في هذه الأبنية الاستعارية نظرا لاتساع المعنى فيها وبالتالي تتعذر محاصرته، وهذا نظرا إلى أن هذا الكلام عبارة عن حدث محكوم بعمليات عقلية ذهنية تُسير بناء المعاني، فالتكلم عندما ينتج البنية اللغوية، فهو يتحكم في المعاني ويجعل المُخاطب ينتقل من معنى إلى معنى وذلك بناءً على ما استقر في ذهنه وفي عالم اعتقاده من معاني ومقاصد، كما يحمله على الانتقال من عالم إلى آخر؛ أي من عالم الواقع إلى عالم جديد مُتخيل بناه في ذهنه، وقد كان المخاطب على علم به وبعناصره ومقتضياته.

وقد سمى "رونالد لانغاكور Ronald Langacker" "العالم المتخيل" بفضاء الخطاب الراهن وهذا الأخير هو فضاء ذهني شامل للعناصر والعلاقات التي يتقاسمها المتكلم والمخاطب في لحظة معينة أثناء جريان الخطاب، وقد عبر "جيل فوكيني" عن هذا العالم المبني في الأذهان بمفهوم "الفضاء الذهني" حيث رأى أن المتكلم وهو ينتج بنية لغوية ما سواء كانت جملة أو نصا فإنه ينتقل مخاطبه بين فضاءات ذهنية مترابطة نحويا ومنطقيا

¹ - ينظر: لطفي الذويبي: قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية، ص 13.

² - جورج لايكوف: الاستعارات التي نحيا بها، ص 21.

تساعد ذلك المخاطب على فهم تلك البنية والاهتداء إلى الدلالة المقصودة.

3-أنواع الفضاء الذهني:

لأفضية الذهنية التي تتشكل في الدماغ أنواع بحيث: " يبدو أن لكل بنية مجازية أو بنية تعبر عن موقف أو انفعال، تفترض توفر فضائين على الأقل: الأول هو الفضاء الأصل وعادة ما يكون واقعا يمثل منطقة الحركة الذهنية، والفضاء الثاني هو فرع متولد عن الأول وهو إما يكون واقعا أو معتقدا أو متخيلا أو مفترضا متقللا إليه ذهنيا"⁽¹⁾.

يتضح لنا من خلال هذا القول أن الأبنية اللغوية تحوي جانبين، جانب حقيقي متمثل في الفضاء الرئيسي وجانب مستحدث قد يكون واقعا، كما قد يكون ذهنيا افتراضيا ويرى العالم "فوكنيي" أننا حين نستعمل اللغة للحديث عن أمر معين، فنحن نتحدث عما هو موجود في الكون، أو عما هو مخزن لدينا في الذاكرة، فنحن قد نستعمل اللغة للتعبير عن أحلامنا وطموحاتنا وعن المستقبل، وعما نرجوه وما نتمناه ... وغير ذلك من التعبيرات، وهذه الأبنية اللغوية التي سنأتي على ذكرها تبين بعض أصناف الفضاءات الذهنية بحسب طبيعتها الدلالية وعلاقتها بالواقع:

- ليت الشباب يعود يوما ← (فضاء ذهني مُتمنى)
- كنت أتمتع بصحة جيدة ← (فضاء ذهني واقعي مفقود)
- أريد أن أصبح دكتورا ← (فضاء ذهني منشود)
- لو كنت قاضيا لحكمت بين الناس بالعدل ← (فضاء ذهني افتراضي)
- إن زرتني زرتك ← (فضاء ذهني مشروط)⁽²⁾.

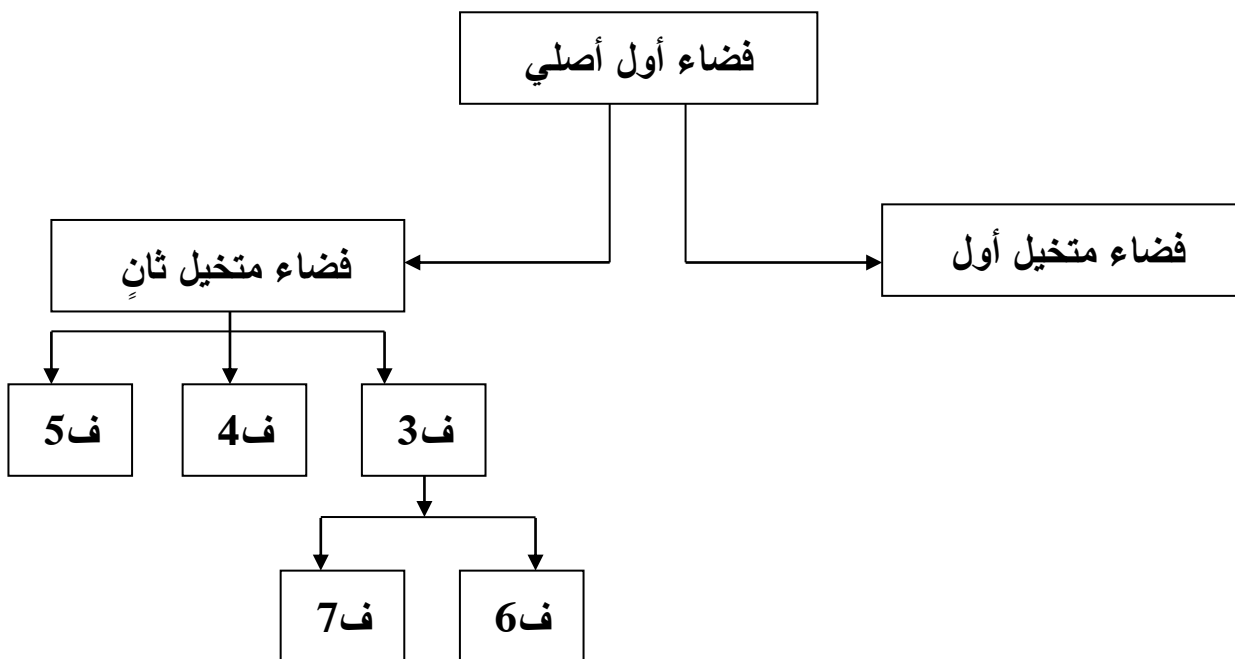
نلاحظ من خلال هذه الأنواع أن أصناف الفضاء الذهني كثيرة تختلف بحسب طبيعتها الدلالية وبحسب علاقتها بالواقع، وهذه الفضاءات الذهنية قد تتكاثر في الجملة الواحدة أو في النص الواحد فحسب "فوكنيي" قد يكون لدينا فضاء أول ذهني يتولد عنه فضاء ثانٍ، ثم

¹ - محمد الصالح البوعمراني: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص 81.

² - عبد الكريم الحسني: الدلالة المعرفية ومشروع بناء هندسة المعنى، دار كنوز للمعرفة للنشر، عمان الأردن، ط1،

يتولد عن الفضاء الثاني فضاء ثالث ... الخ

وهكذا تتوالد عنه الفضاءات الذهنية وتتربط فيما بينها بدءاً بالمستوى الأعلى الذي يضم الفضاء الأول الأصلي والذي غالباً ما يكون واقعياً، إلى المستويات أو الفضاءات الفرعية، فنتحصل على شجرة من الفضاءات، وهذا التوالد الذهني للفضاء يسميه عملية التناسل الطبيعي لذلك أطلق "فوكونيي" على الفضاء الأول اسم "الفضاء الأب" والفضاء الثاني اسم "الفضاء الابن" أو الفضاء البنت"، وقد مثل توالد الفضاء الذهني بالتشجير التالي:



ويفترض "فوكونيي" وجود فضاء أساس يمكن أن يمثل منطلقاً داخل الخطاب ننقل بواسطته إلى مختلف الفضاءات التي تتربط معه ويسميه "الفضاء المنظور"، كما يفترض وجود فضاء آخر يمثل مركز الفضاءات ويكون محل اهتمام المتكلم وانطلاقاً من هذا الفضاء تتوالد سائر تلك الأفضية الذهنية الفرعية، ويسمى "فوكونيي" هذا الفضاء باسم "الفضاء البؤرة" (1).

ومن خلال هذا الطرح فإننا نستنتج أن تعدد الفضاءات الذهنية يعكس مرونة المعنى واتساعه وانفتاحه على تأويلات عديدة، كما يؤكد هذا التصور علاقة المعنى بما استقر عند

¹ - ينظر: لطفي الذويبي: قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية، ص 16

المتكلم من عمليات ذهنية كثيفة ومعقدة، لتخرج في الأخير على شكل أبنية لغوية نحوية منطقية ومنظمة تحقق للمتكلم التواصل مع المخاطب.

4-العناصر المسهمة في بناء الفضاء:

إن الأفضية الذهنية عبارة عن مجموعة من العناصر والعلاقات تُبنى فيها المجالات وتنظم وتتربط بأنواع من الترابطات، ونتيجة لذلك تصدر معاني جديدة يدركها المتلقي عن طريق العقل والتواصل الذهني، وتقوم نظرية الفضاء الذهني على فكرة مفادها أننا حين نفكر أو نتحدث نبني فضاءً ذهنياً وذلك عن طريق وحدات بانية للفضاء وهذه الأخيرة عبارة عن آليات يستعملها المتكلم ليجر سامعه إلى بناء فضاء ذهني جديد، وهذه العناصر البانية للفضاء قد تكون مركبات أو وحدات نحوية تؤسس لبناء فضاء ثان يرتبط بوجه من الوجوه مع الفضاء الأب أو الفضاء الأساس، كما يمكن أن تكون هذه الوحدات البنائية للفضاء مركبات حرفية أو ظرفية أو روابط مثل (في، إذا، إذن، إما، أو ...)

ويذكر **فوكنيي** أن بناء الأفضية عن طريق التعبيرات النحوية إما أن يفتح أفضية جديدة أو يعود إلى أفضية موجودة في الخطاب، وأن عملية ضبط الفضاءات في الأبنية اللغوية يُسيرها مفهوم الوظيفة التداولية وتتحدد هذه الوظيفة بواسطة عمليات ذهنية تعين في عملية البناء الذهني للفضاء، من أجل بناء دلالة ومعنى الأبنية اللغوية التي تتطوي على إشكالات في فهم مقصد المتكلم منها، ويرى **"فوكنيي"** أن العنصر الأول هو "قادح الإحالة" والعنصر الثاني هو هدف الإحالة ويكون هناك رابط يعبر عن العلاقة بين الفضاء الأول والفضاء الثاني، أي بين قادح الإحالة وهدف الإحالة والرسم التالي يشرح ذلك:



إن العناصر البانية للفضاء الجديد هي قرائن تركيبية تربط أساساً قادح الإحالة والهدف من الإحالة وتنقلنا إلى فضاء جديد أو توجهنا إلى فضاء آخر بعينه حيث نجد فوكنيي يقول:

" إن العنصر الباني للفضاء هو وحدة نحوية إما أن تفتح فضاءً جديداً أو أن تحول وجهة البؤرة الى فضاء موجود سلفاً"(1).

وقد تكون هذه العناصر وحدات صرفية أو وحدات معجمية وقد تعبر العناصر البانية للفضاء على فضاءات جديدة مثل:

- التوهم: (كأن، يبدو، ظن، حين ...)
- الافتراض: (أعتقد أن، في تصوري، وفقاً لـ...)
- التمني: (ليت، أتمنى أن ...)
- الرجاء: (عسى، أرجو، لعل...)

إن الأبنية اللغوية التي ينتجها المتكلم تكون بناءً على مقصد يوجد في نيته، ويتكون في ذهنه وبالتالي فإن استعمال العناصر البانية للفضاء يُفترض أن يكون مسبقاً بخطة يأخذ فيها المتكلم بعين الاعتبار شيئين أساسيين، الأول أن تكون الفضاءات بعضها ملائماً لبعض والثاني أن يكون واعياً بالمسار التأويلي الذي ستسير عليه عملية الاهتداء إلى تأويل البنية عند المُخاطَب حتى يتمكن من بناء فضاءات يستطيع من خلالها الوصول إلى المعنى الضمني (2).

ما يمكننا قوله كخلاصة لما سبق ذكره حول العناصر التي تسهم في بناء الفضاء هو أن العالم فوكيني استند إلى مبادئ بنى وفقها نظرية الفضاء الذهني يمكن أن نجعلها في الآتي:

- اعتبار النشاط اللغوي عملية ذهنية تفاعلية مفتوحة، يشارك فيها المتكلم والمخاطب انطلاقاً من وجود فضاء ذهني خطابي تأويلي سماه "الفضاء الذهني".
- ربطه بين عالم الأذهان وعالم اللسان من أجل الحصول على الآليات العرفانية والأدوات التي تفسر تحقيق الوصول إلى المعنى انطلاقاً من البناء اللغوي.

1 - عبد الكريم الحسني: الدلالة المعرفية ومشروع بناء هندسة المعنى، ص 95.

2 - ينظر: لطفي الذويبي: قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية، ص 16

- اعتبار الأبنية اللغوية أبنية ذات معنى مرنة تتميز دلالتها بالحركة × أي أنها غير معطاة للفهم المباشر، ولا يمكن الاهتداء إليها إلا عن طريق مجموعة من القرائن الذهنية والعرفانية والتركيبية.

إذن تتربط الفضاءات الذهنية وتتكاثر وتتنظم في سلك الخطاب عن طريق الإحالة الذهنية أي الإدراكية ويحدث هذا نتيجة قدرة المتكلم على تسمية الأشياء باعتماد ترابطات إدراكية متصلة بالتجربة البشرية، عوض تسمية الأشياء في ذاتها إذ يمكن استخدام أسماء أو وصف عنصر في مساحة ذهنية واحدة للوصول إلى نظيره في مساحة ذهنية أخرى (1).

5- آليات الفضاء الذهني في تفسير البناء اللغوي وتحصيل المعنى الضمني العرفي:

إن بناء المعنى الفضائي في اللغة يتوقف على مسألة طبيعية وهي التمثيل الذهني للتصورات وانطلاقاً من هذا ينبغي علينا النظر إلى هذه التصورات على أنها اعتبارات وآليات وإدراك المعنى، ففي الواقع تقوم عملية التصور الذهني على بناء معانٍ فضائية يكون فيها الانطلاق من التمثيل التصوري الذي يمتلكه الإنسان عن الأشياء في العالم الفيزيائي، فالإنسان يحمل في ذهنه مجموعة من الصور الذهنية عن الأشياء ذات الطابع الفضائي مثل: المساحات الشاسعة، الأشكال الهندسية، الفضاءات المفتوحة، الفضاءات المغلقة... الخ ومن هنا يتضح أن المستوى الذهني للإنسان يعمل على تخزين المعارف والمعلومات والأشياء ليتم التعبير عنها أثناء الوضعيات التواصلية المناسبة، إذن لا يستطيع الإنسان التعبير عن الأشياء في العالم الفيزيائي وهو لا يملك تمثلاتها في ذهنه، ومن هنا فالتمثيل الذهني للأشياء هو العنصر الوحيد الذي يجعل الإنسان قادراً على تمييز الفضاءات المختلفة والمتنوعة ومن هنا فاشتغال الداخلي لذهن البشري مرهون ومقترن بآليات المحيط الفيزيائي الذي يتواجد فيه جسم الإنسان (2).

1 - ينظر: شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية، دار أبحاث الترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص51.

2 - عبد العالي العامري: الفضاء اللغوي وآليات بناء المعنى، كلية العلوم الانسانية، جامعة المغرب، العدد 09، 2019، ص231.

ومنه، فبناء المعنى يقوم على آليتين أساسيتين هما:

5-1-آلية الإدراك:

يحتل الإدراك دوراً مركزياً في بناء الفضاءات اللغوية الذهنية، وبالتالي لا يمكن فصل المعنى عن الإدراك، حيث يمتلك الإنسان مجموعة من الملكات الإدراكية التي تجعله قادراً على إدراك العناصر المتوقعة في الفضاء، ومن بين هذه الملكات ملكة البصر التي هي في الحقيقة مجموعة من القوالب المستقلة عن بعضها البعض فهناك قالب إدراكي يدرك الشكل والمحتوى، وقالب إدراكي يدرك الطول والقامة، وقالب يدرك الحركة، وفي الأخير تتفاعل هذه فيما بينها لتكون لنا صوراً عن الأشياء في العالم الخارجي الفيزيائي⁽¹⁾.

5-2-آلية التفكير:

يعد التفكير مفهوماً معرفياً يقوم على أساس إدراكي، لكونه مستوى من مستويات المعرفة الذهنية لدى الكائن البشري، حيث أصبح عنصراً أساسياً من عناصر المعرفة الإنسانية الممثلة للأشياء الموجودة في المحيط الفضائي، حيث تعد المعارف الإنسانية تصورات ناتجة عن التفكير الإنساني المنظم تنظيماً ذهنياً وعادة ما تستعمل الأفكار لبناء التصورات عن الأشياء المحيطة بنا والتي لها أثر أو وجود في عالمنا الفيزيائي، كما يحتل التفكير موقعا مميزا في المستوى الذهني لدى الإنسان، ويعمل على تكييف التصورات ويساهم في إعطاء صورة عامة عن الهندسة الفضائية للأشياء والعناصر المتوقعة في الفضاء⁽²⁾.

6- تمثيلات المعنى العرفاني في ضوء نظرية الفضاء الذهني " النص القرآني نموذجاً":

إن الغاية الأساسية التي أدت إلى ظهور نظرية الفضاء الذهني هي البحث في كيفية بناء المعنى وطرق تفسيره وتأويله وتختلف الفضاءات الذهنية باختلاف الأبنية اللغوية المنجزة، ويعد النص القرآني بتعاريفه المتعددة بحاجة إلى العديد من الوسائل والنظريات التي

¹ - عبد العالي العامري: الفضاء اللغوي وآليات بناء المعنى، ص231.

² - المرجع نفسه، ص231.

من شأنها توضيح مضامينه وتحقيق أبعاده الدلالية المختلفة، وإن المطلع على النص القرآني سيجد تنوعاً في معانيه ولربم هو بحاجة إلى بعض النظريات التي تعينه على كشف إعجازه، وسنحاول فيما يأتي إثبات كيف يُسهّم مفهوم الفضاء الذهني في تفسير الخطاب القرآني إنطلاقاً من الأمثلة التالية:

- قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنْهَا الْحِجَارَةَ لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، البقرة الآية 74.

إذا قرأنا هذه الآية الكريمة قراءة إدراكية، وحين ننظر في الفضاءات الذهنية المنبثقة منها فسنجد فضاءً ذهنياً واقعياً مفقوداً يسمى (الفضاء الأب أو الفضاء الرئيس) ويتمثل في هذه الآية أساساً في (عدم قسوتهم)، وهذا الفضاء بحسب فوكنيي يسمى "فضاء البؤرة" ثم نجد حرف العطف "ثم" الذي يفيد الترتيب والتراخي، والذي يسهم في تصوير محاور القصة، فكأن الله ﷻ -بعد أن أظهر لهم قصة البقرة ولم تلتن قلوبهم- يخاطبهم: لم تلتن قلوبكم وقست وكان من المستبعد أن تقسوا⁽¹⁾.

ونجد أن الفضاء الرئيس في هذه القصة من الآية يعود إلى الأصل وهو قتل النفس وإظهار ما كانوا يضمرون، وقد ارتبط هذا الفضاء الرئيس بفضاء نشأ عنه وهو فضاء واقعي عبرت عنه أداة العطف "ثم" وقد عبر عنها فوكنيي "بالربط الحيوي".

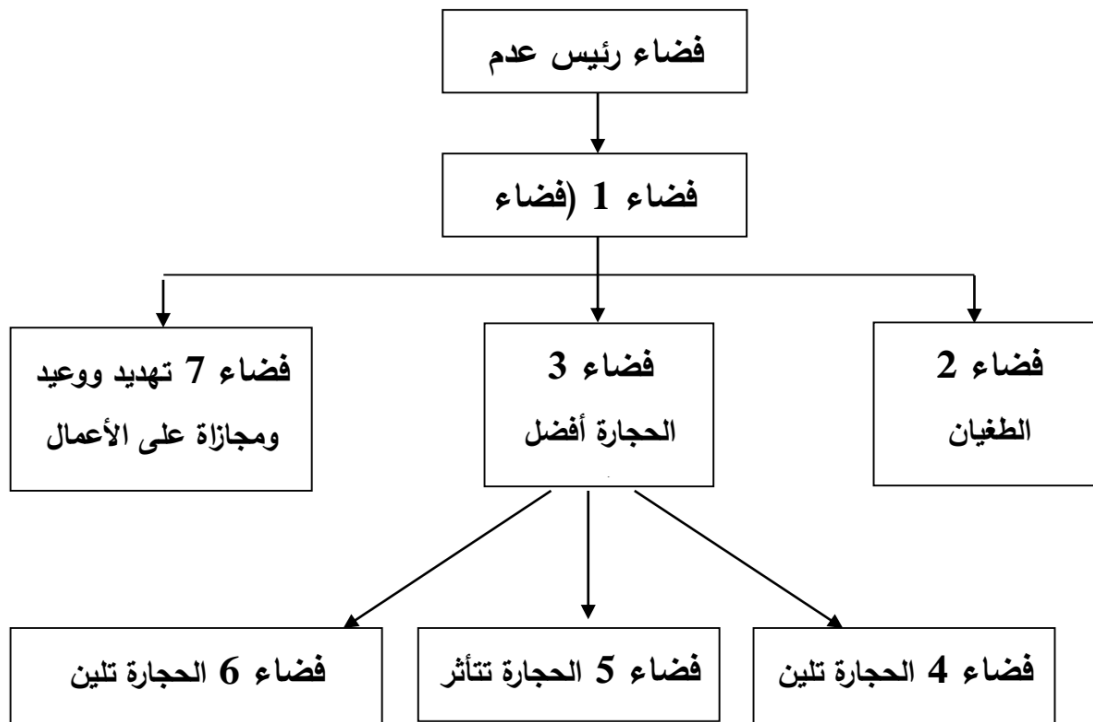
وعبرت عنه كذلك عبارة "من بعد ذلك" و"ذلك" تفيد الإشارة إلى أحداث مضمرة وهي السبب في القساوة لأن أسماء الإشارة هي إحدى الروابط النحوية والإدراكية التي تسهل عملية التنقل بين الأفضية الذهنية⁽²⁾.

والباني الذي بُنيت عليه هذه الأفضية عبارة (قست قلوبكم) وما تضمنته من تشكيل للإطار العام الذي تحتوي عليه القصة وهو "التبؤس" والتعنّت على المعصية، وبناءً على

1 - السيد محمد الحيني الشيرازي: تبين القرآن آية الله العظمى، دار العلوم، بيروت، ط3، 1423هـ / 2003م، ص 90.

2 - ينظر: الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفانية، ص: 210.

هذا نعرف إحالة الوحدات على معانيها ما دام الإطار الذي تدخل في تكوينه متمثل في الذهن، حيث نجد أن "لفظ القلوب" مثل قاذح الإحالة ولفظ "اليهود الطاعة" مثل الهدف من الإحالة، والرابط هو المشاعر، لأن الذهنية الإنسانية تربط الرحمة والمشاعر الأخرى التي تتعلق بالنفس إلى القلب¹، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في صورة فنية رسمها ليُحَقِّق مبدأ الاهتداء لدى المتلقي، حيث نجد هذا التشبيه المذكور الذي عبر عن مدى قساوة قلب اليهودي الذي لا يمكن أن تدرك حدوده إلا عن طريق التشبيه بالحجارة، ويمكن تمثيل ما تقدم من شرح بالمخطط الآتي:



ومن الأمثلة الأخرى، قول الله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۖ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ البقرة الآية 175.

والقارئ لهذه الآية يلاحظ أنها تقدم لنا مشهداً من مشاهد تصرفات اليهود، وهو مشهد يصور الأخذ بالضلالة، ودفع الهدى، فهم يكتمون ما أنزل الله إليهم من البينات مقابل ثمن

1 - ينظر: هاشم جعفر حسين الموسوي، علي محمد نور مجيد، الخطاب القرآني - دراسة في ضوء نظرية الفضاء الذهني، مجلة مداد، مج:09، العدد 34، العراق، تشرين الثاني 2022. ص: 485.

زهيد ويؤثرون حياة الكذب.

ومن أجل التوصل إلى المعنى ننظر في أبنية هذه الاخيرة والتي بواسطتها يمكن أن نستحضر الفضاء الرئيس وهو فضاء واقعي مفقود يمثله فضاء السوق الواقعي بأطرافه المعلومة من بائع وسلع ومشتري وعملات وهذا الفضاء على حد تعبير فوكنيي هو "فضاء البؤرة" وقد دل عليه الشراء، ننطلق من هذا الفضاء إلى فضاء ذهني آخر ينشأ ويستند عليه وهو فضاء ذهني ثان، أو كما يسميه فوكنيي "الفضاء الابن" حيث يرتبط الفضاء الرئيس بالفضاء الابن بسبب ارتباط نظائر عناصر الفضائين، فتتطوي عناصر الفضاء الابن تحت ما يسمى "الإطار الرئيس" (السوق الموجود في الفضاء الذهني لليهود) وهو السوق الذي تباع فيه (الهداية، الضلالة، العذاب، المغفرة) (1).

إذن فإطار الفضاء الابن منقذ من إطار الفضاء الرئيس، لأن المجال المفاهيمي الذي نستمد منه التعبيرات المجازية والتي تساعدنا في فهم مجال مفاهيمي آخر يُسمى مجال المَصَدَّر في حين أن المجال المفاهيمي الذي يفهم بهذه الطريقة هو المجال الهدف. وانطلاقاً من هذا يُعَدُّ الفعل (اشترؤا) هو باني الفضاء والقادح هو سوق السلع المعروف والهدف هو السوق الجديد في تصور اليهودي هذا الأخير الذي يضم (الضلالة، الهدى، العذاب، المغفرة) (2).

وهذا توظيف في غاية الإبداع جسد من خلاله الله عز وجل الصورة الذهنية الموجودة في عقول اليهود والمحبة إلى قلوبهم وقد أدركنا هذا الإبداع في التعبير إنطلاقاً من العمليات العقلية التي قامت على ضم مجموعة من الأشياء المختلفة في صنف يجمعها، فالله ﷻ استخدم مفهوم السوق ليقدم به هذه المفاهيم فلو تمعنا في حياتنا اليومية وكيف أننا نتعامل معها لوجدنا أن هذا النوع من الاستعارة قد شاع فيها ونحن نتعامل به باستمرار ونذكره

¹ - ينظر: ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1434هـ/2013، ص194.

² - ينظر: عطية سليمان أحمد: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (النموذج الشبكي، البنية التصورية، النظرية العرفانية) الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2014، ص 121.

الفصل الثالث.....المعنى من المنظور العرفاني

ونستفيد منه ويمكن توضيح ما سبق بالمخطط التالي الذي يمثل الترابطات التصورية المفهومية بين الفضائين - فضاء البؤرة وفضاء الابن -.

فضاء رئيس وبؤرة	فضاء الابن / ف1
السوق المادي المعروف	الفضاء الذهني
- بيع	- ضلالة
- شراء	- هدى
- بضائع	- عذاب
- سلع	- مغفرة

ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ يوسف الآية 82

يستقبل ذهن القارئ لهذه الآية البنية اللغوية عبر نواقل عصبية تتمركز هذه الاخيرة في عرفانه ثم تنتقل إلى عملية معالجتها، وذلك من خلال تقديم التأويل اللساني الكامل، حيث إن الدلالة العقلية الواردة في الآية تمنع إيراد المعنى الحقيقي إلا من خلال تقديرنا لما حذف والمحذوف هنا هو "أهل " لأنه يستحيل تكلم تلك الأمكنة إلا بمعجزة (1).

وعليه فإن هناك رابطا ذهنيا عرفانيا يجعل المُخَاطَب يهتدي إلى الدلالة المقصودة والموضوعة المحال عليها داخل تلك البنية اللغوية المنجزة، ويكون هذا الاهتداء عن طريق الاستدلال العقلي والتداولي بواسطة الروابط الذهنية، فالمنطقي أن السؤال لا يكون للقرية بل يكون لأهل القرية، وبالتالي يجب على المُخَاطَب اللجوء إلى التأويل التداولي عن طريق الاستدلال التداولي اعتمادا على وظيفة الإحالة حتى يفك اللبس، حيث تجد أن عبارة "واسأل القرية" عبارة مجازية تدل على سؤال أهلها إذا فعبارة " واسأل القرية " هي القادح و"أهل القرية هم الهدف " وانطلاقا من هذا؛ فالفضاء الأول هو فضاء الواقع الذي يسأل فيه القرية،

¹ - بدر الدين محمد (أبو عبد الله الزركشي): البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، د ط، 2006، ص 689.

أما الفضاء الثاني فهو فضاء ذهني واقعي بناه المتلقي في خياله ليصحّ المعنى في ذهنه بواسطة اعتماده على القرينة الذهنية، هذه الأخيرة مثّلت رابطا نقلنا من فضاء أول واقعي إلى فضاء ثان ذهني، والمخطط التالي يشرح ذلك بنوع من التفصيل:

رابط ذهني مقامي



(واسأل أهل القرية)

(واسأل القرية)

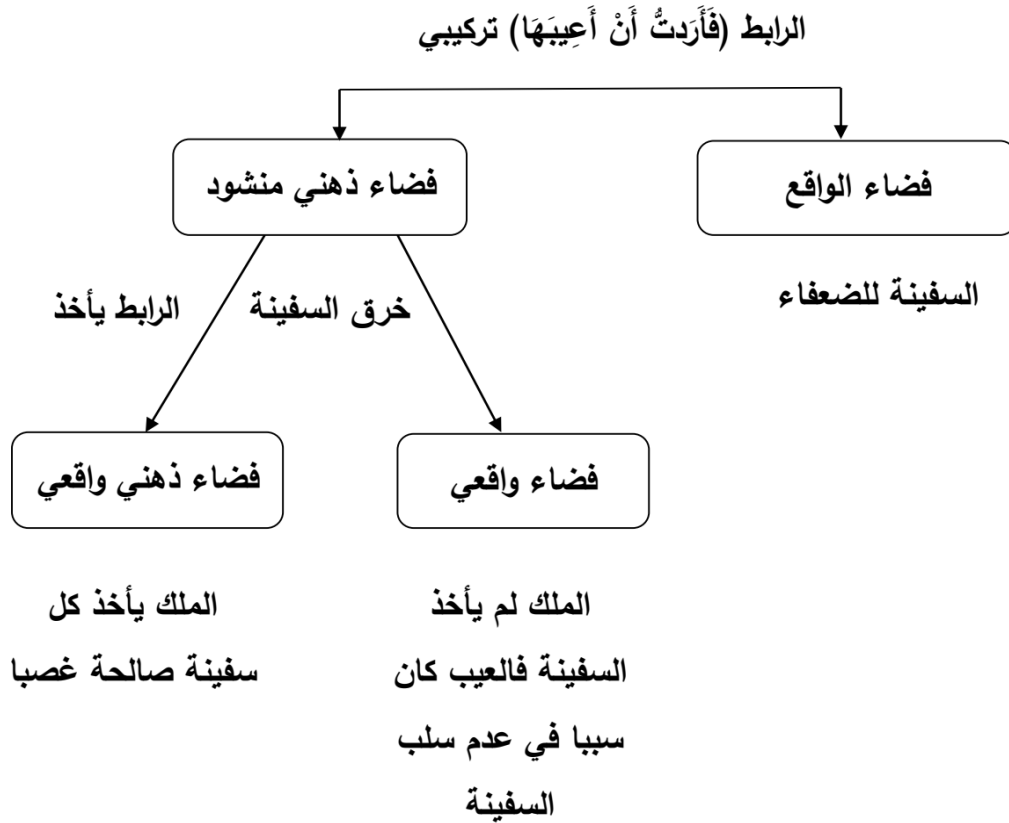
ومن بين الأمثلة التي ترد كذلك في القرآن الكريم والتي نعتد فيها على التاويل الذهني للوصول إلى المعنى الحقيقي قول الله ﷻ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ الكهف الآية 79.

يبني الملفوظ في الآية فضاء الواقع الذي فيه تفصيل وبيان للأحداث العجيبة التي رآها سيدنا موسى عليه السلام والتي لم يطق لها صبرا ومنها قصة السفينة التي كانت لضعفاء يعملون عليها قصد التكسب ولا يقدرّون على دفع الظلم، تبين هذه الآية فضاء الواقع والمكان من خلال العبارة (في البحر) التي تبني فضاء المكان الذي وقعت فيه القصة أما الفضاء الثاني فهو فضاء ذهني منشود أراد أن يحدث خرقا في السفينة حتى لا يأخذها الملك الظالم، وقد أفادت القرينة التركيبية في قوله ﷻ: (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) نقلنا أيضا من فضاء أول واقعي إلى فضاء ثان منشود وتولد عن الفضاء الثاني الذي تم فيه خرق السفينة وإحداث عيب فيها فضاء ذهني واقعي جديد تمثّل في عدم أخذ الظالم للسفينة بسبب وجود عيب فيها (1).

وعليه فقد دلت القرينة (أعيبها) على كلام محذوف في قوله ﷻ: (يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) لأن تقدير الكلام هنا يأخذ كل سفينة صالحة غصبا، وانطلاقا من هذا: فعبارة (أردت أن أعيبها) تمثّل قادح الإحالة وعبارة (يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) تمثّل هدف الإحالة، والعنصر

¹ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص 296.

الباني أو الرابط بين الأفضية أي بين القادح والهدف يتمثل في عنصرين اثنين هما الرابط الأول هو التواصل الذهني بين المتكلم والمخاطب أي بين العبد وربّه، والرابط الثاني رابط تركيبّي، وعليه تم إدراك ذهن المخاطب للمحذوف من خلال الصيغة التركيبية في قوله ﷺ: (أَعْيَبَهَا)، والمخطط التالي يمثل شبكة الفضاءات المُنبَئِيّة في هذه الآية:



ومن بين الأمثلة كذلك قوله ﷺ: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْرَعُونَ الْبَابَ تَدْوِيرًا أَغْنِيَهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۚ﴾ الأحزاب الآية 19.

ويظهر جليا من خلال هذه الآية أن الفضاء الأساس هو عالم الواقع الافتراضي الذي بناه الرابط (إذا) في قوله ﷺ: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ﴾ والمجيء في هذه العبارة هو مجيء على سبيل المجاز يدرك في الذهن افتراضيا فقط في هذا السياق، إذا في هذه الآية لا يوجد تحقق لفعل المجيء على وجه الحقيقة بل "المجيء" مجازي مشهور من حدوث الشيء وحصوله" (1).

¹ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص 296.

ثم تأتي صورة الفعل الماضي (رَأَيْتَهُمْ) لتبني لنا فضاء للزمن الماضي وهذا الأخير يبني لنا الفضاء الأساس وهو عالم الواقع لا واقعا افتراضيا كما تبين من بداية الآية، حيث صورت حال أولئك المنافقين في ساحة القتال في شدة ورعب لا مثيل لها، فالرابط -حرف "الكاف"- ينقلنا في قوله ﷺ: (كَأَلَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ) إلى فضاء ذهني واقعي جديد يقوم على التشبيه، أي وجود تشبيه بين الفضائين الواقعيين فنلاحظ أن الله ﷻ استعار صفة الرعب التي يكون عليها الإنسان في سكرات الموت ليصور بها جبن وخوف هؤلاء المنافقين في ساحة القتال، وانطلاقا من هذا فإن صورة المغشي عليه هي القادح وصورة هؤلاء المنافقين هي الهدف، ويتربط الفضاءان تداوليا من خلال وجه الشبه بينهما بواسطة أداة التشبيه الكاف، حيث شُبّه نظر المنافقين في ساحة القتال بنظر الذي يغشى عليه في ساحة الموت لأن عينيه تضطربان، فتقدير الكلام المحذوف " تدور أعينهم كدوران الذي يغشى عليه من الموت" (1).

ومن هنا خلق هذا التشبيه فضاءً ذهنيا واقعا يربط بين الفضاء الأساس الواقع والفضاء الثاني أي الفضاء الذهني لوجود شبه بينهما، هذا الشبه جسده الرابط الذي هو حرف "الكاف" ويمكن التمثيل لهذه البنية اللغوية المنجزة في الخطاب القرآني بالمخطط التالي:



¹ - بدر الدين محمد (أبو عبد الله الزركشي): البرهان في علوم القرآن، ص717.

ومن الأمثلة كذلك قوله ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الأعراف الآية 189

تتبنى هذه الآية القرآنية على فضاء أول أساس واقعي هو قادح الإحالة يظهر في قوله ﷺ: (نفس واحدة) ليحيل على فضاء ثان ذهني واقعي وهو هدف الإحالة الذي يمثله سيدنا آدم، ونلاحظ هنا أنه لا يمكننا الاعتماد على التحليل اللساني وحده لأنه غير كاف، لذا وجب علينا اللجوء إلى التحليل التداولي المتمثل في الإحالة وهذا يعد تأويلاً تداولياً ذهنياً، فمن غير الممكن أن نتوقف في تحديدنا للمعنى على المستوى السطحي لهذه البنية اللغوية المنجزة بل وجب علينا تحليل معناها استناداً إلى الموقف الخطابي الحي والذي يمثله المقام لمختلف العناصر، ونضيف إلى ذلك أن هناك رابطاً ذهنياً عرفانياً يُمكن المُخاطب من الاهتداء للدلالة المقصودة عن طريق نقله من فضاء أول يمثل الواقع وهو خلق الله تعالى للنساء والرجال في كافة أنحاء الأرض من نفس واحدة إلى فضاء ثانٍ ذهني واقعي يمثل خلق كل البشر من نفس واحدة والمقصود بها سيدنا آدم، والمخطط التالي فيه شرح مفصل:

الرابط: ذهني مقامي

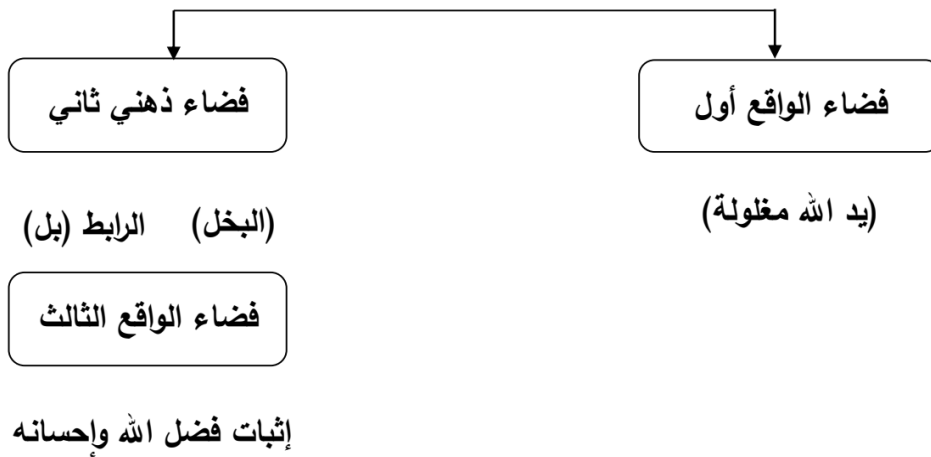


- مثال آخر قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۖ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المائدة الآية 64.

إن المطلع على هذه الآية القرآنية يجد أنها تنقلت من فضاء أصلي إلى فضاء ثانٍ مُتَصَوِّر ذهنيًا عن طريق الاستعارة التصويرية بواسطة عبارة (يد الله مغلولة) حيث أُسْتُعِيرَت لفظة الغلول وهي صفة تستعمل للدلالة على البخل والشح في العطاء (1).

إذن نجد أن التعبير المجازي يسهم في بناء الأفضية ويتم تعيين الفضاء الذهني عن طريق الاستعانة بالمقام ليتشكل تأويل متضمن لمعنى وصف الله بالبخل وعدم الإحسان ومنه جاءت العبارة في قوله تعالى: (بل يده ميسورتان) من أجل الرد على اليهود فأنشأت هذه العبارة فضاءً ذهنيًا جديدًا من خلال الرابط (بل) فقد أفادت إبطال المعنى الذي قبلها، وقد ذكر اليد هنا بصيغة المثني للزيادة في العطاء والجود وهذا التعبير أعادنا إلى الانتقال لفضاء الواقع عن طريق القرينة (بل) التي أفادت الاضراب عمّا قبلها، وأثبتت ما بعدها لتُبين أن الله بسط فضله وإحسانه على جميع خلقه وأن رحمته وسعت كل شيء، والمخطط التالي يبين لنا كيفية الانتقال عن طريق التصور الذهني من فضاء الواقع إلى فضاء الذهن.

الرابط الذهني



¹ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحليل والتأويل، ج23، ص 296.

المبحث الثالث: ترابطات المزج التصوري وتمثل المعنى الضمني (العرفاني)

1-نشأة نظرية المزج التصوري:

يرجع أصل نظرية المزج التصوري الى برنامج البحث التي بدأها الباحثان "جيل فوكيني" و"مارك تورنر Mark Turner" في سنوات التسعينات من القرن الماضي، ففي الوقت الذي اشتغل فيه فوكيني على نظرية الفضاءات الذهنية محاولا بذلك إعادة النظر في عدد من المسائل التقليدية حول بناء المعنى، كان ترونر في هذا الوقت يقارب دراسة بناء المعنى انطلاقا من منظور دراسته المتعلقة بالاستعارة في اللغة الأدبية، وانطلاقا من هذا لاحظ كل من فوكيني وترونر أن هناك العديد من حالات بناء المعنى، من هنا انبثقت نظرية المزج التصوري لتحاول تمثل دور البنية التصورية في بناء المعنى (1).

اقترح فوكيني وترونر تسمية نموذجها بتسمية "شبكات الدمج التصوري"، أو "المزج التصوري" وقد قاما بتحديدده في بداية عملهما الذي أطلقا عليه العنوان نفسه والمنشور بمجلة العلم المعرفي سنة 1998.

2-آلية اشتغال المزج التصوري:

تتم عملية اشتغال المزج التصوري بإسقاط بنية لغوية ما انطلاقا من فضاءات إدخال ذهنية إلى فضاء ذهني ممزوج مستقل عنها ويتم هذا الإسقاط بصفة انتقائية من خلال عمليتي "التكملة" و "التفصيل".

ويرى صاحبا هذا النموذج أن دراستهما تستند إلى أفكار أساسية وإلى أدوات تحليل تنتج عن عمل متكرر ومتواصل، وهذه الأفكار والأدوات العامة المطورة في المزيج يمكنها أن تؤثر على معرفتنا وتوجيهنا عن طريق قيامنا بتعديل على الإدخالات وتغيير رؤيتنا للحالات الموافقة لها.

ومع بدأ نشر أعمالهما، أشار فوكيني وترونر سنة 1994 إلى أن مسألة الاستعارة التصورية ما هي إلا حالة خاصة من حالات أوسع بكثير، فالأمر هنا لا يتعلق بتساؤل عن

¹ - cf.vyvyvan evans and melamie green : cognitive linguistic , anintroduction ,p401.

حالة واحدة من حالات بناء المعنى، بل تساؤل شامل يتعلق بكيفية اشتغال النسق التصوري ككل مع المجالات المختلفة ومن بين الأسئلة التي نحاول الإجابة عنها هي: كيف نسقط العناصر من أحدها إلى الآخر؟ كيف يمزج مجالين في مجال واحد؟ كيف نبني مجالات جديدة انطلاقاً من تلك الموجودة من قبل؟

ومن أجل معالجة هذه الإشكالات استعان **فوكنيي وتورنر** بفكرة "الفضاء الذهني" أو الفضاء التصوري الذي يعد الوحدة الأساسية للتنظيم المعرفي في نظرية المزج التصوري (1). وقد حدد **فوكنيي وتورنر** الفضاءات الذهنية بكونها رمزا أو تجمعات تصورية صغيرة تُبنى عندما تفكر وتتكلم بغرض الفهم والإدراك وهذه الزمر هي تجمعات جزئية صغيرة جداً تُبين بواسطة أطرٍ ونماذج مهیئة تتربط فيما بينها، مع قابلية إدخال تعديلات عليها أثناء نمو التفكير واسترسال الخطاب.

اقترح **فوكنيي وتورنر** أنه من أجل تمثيلنا للكثير من المعتقدات في الفكر البشري لا نحتاج إلى نموذج المجال الواحد أو المجالين فقط ولكننا نحتاج إلى نموذج شبكي "العديد من المجالات" وهذا ما يناسب الفكر البشري. ويحددان نموذجا شبكيا يهتم بالعمل المعرفي المباشر والدينامي الذي يقوم به الناس لبناء معنى أغراضهم الفكرية وسلوكاتهم الموضوعية.

3- مظاهر المزج التصوري:

3-1- الفضاء الممزوج:

يتشكل الفضاء الممزوج بحسب **فوكنيي وتورنر** (2)، من أربعة فضاءات ذهنية: فضاء إدخال، فضاء شامل، وفضاء المزج، وهناك أيضا أطر خلفية تُوظف لبناء هذه الفضاءات الذهنية، وهذه الشبكة هي النموذج الأدنى من نماذج المزج التصوري، ففي حالات أخرى يمكن لشبكة المزج التصوري أن يكون لها أكثر من فضاءي إدخال وحتى فضاءات ممزوجة متعددة.

¹ - cf.cilles fauconnier and mark turner : comeeptual integrotrion networks,p137.

² - المرجع نفسه، ص 143.

ولتوضيح هذا أكثر نستشهد بالمثال التالي: "يتلفظ رجل لامرأة بجملة قائلا: (علما أن هذه المرأة انحرفت سابقا فحبلت)، " لو كُنت، لفعلت ما فعلت".

فلو أتينا إلى تمثيل معنى هذه الجملة فإننا نحتاج إلى مجالات متعددة، منها "مجال الرجل" و"مجال المرأة"، ففي "المجال الرجل" يستحيل على الرجل أن يصبح حاملا، بينما في "المجال المرأة" ذلك ممكن.

وما نلاحظه في هذه الجملة هو أنها مزجت بين مجالين لتشكل مجالا ثالثا، وهو الفضاء الذي يضم الرجل مع إمكانية أن يصبح حاملا، أو بعبارة أخرى حصلنا على فضاء ذهني مستقل: أي أننا مزجنا مجالي الرجل والمرأة في مجال واحد نسميه مجال "الرجل-المرأة" وهو فضاء ممزوج مستحيل تحققه في الواقع، يرتبط بناء الفضاء الممزوج بثلاث عمليات⁽¹⁾، وهي: التركيب، التكملة، والتفصيل.

- التركيب:

أو التأليف وهو عملية الأبسط، أين تُركب عملية المزج بين عناصر تأتي من فضاءات الإدخال، مُوفِرةً علاقات بينها لا توجد في الإدخالات بمفردها، لهذا يعد المزج نوعا من أنواع التركيب، إذ يمكن للمتناظرات بوصفها عناصر منفصلة عن بعضها أن تظهر ممزوجة في المزيج.

- التكملة:

يشكل الفضاء المزيج طبقة واسعة من البنية التصورية والمعارف الخلفية دون إدراك واع بهذه الطريقة، تُستكملُ البنية المركبة ببنية أخرى، ويأتي النمط الفرعي الرئيسي ليكون المعارف الأخرى من أجل تكملة القالب.

- التفصيل:

تُطوّر عملية التفصيل أو التدقيق المزيج من خلال محاكاة ذهنية تخيلية وفقا لمبادئ ومنطق موجودين في الفضاء الممزوج، وبعض هذه المبادئ يكون لها ظهور في الفضاء

¹ - cf.zoltan koveces : metaphor, apractical introduction , p 268.

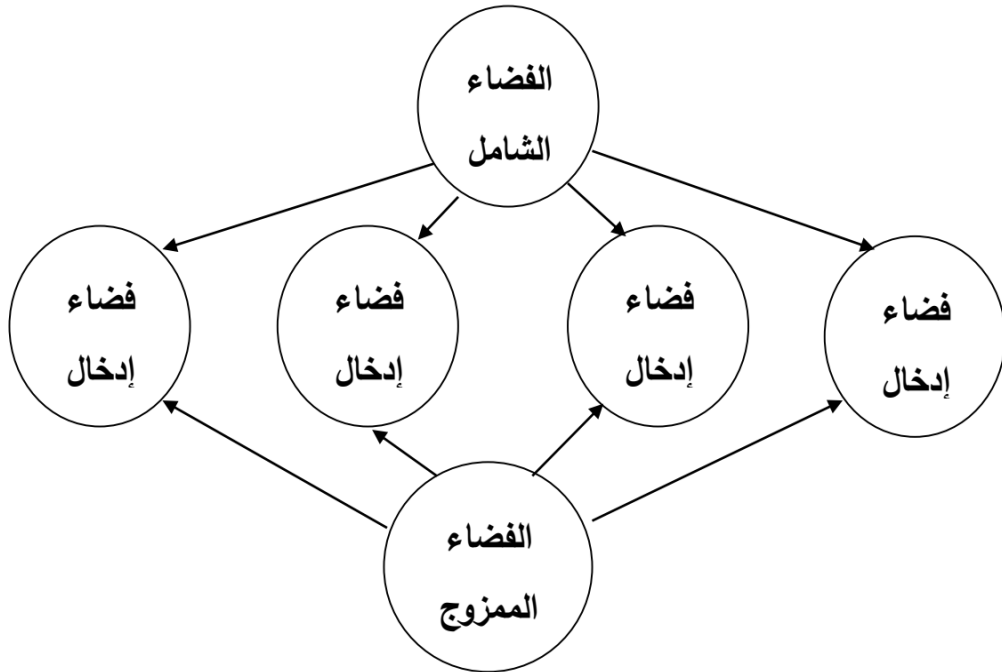
بواسطة عملية التكملة كما يمكن للتكملة الدينامية المتواصلة أن توظف منطق ومبادئ جديدة أثناء عملية التفصيل.

يقود كل من التركيب، والتكملة والتفصيل إلى انبثاق في الفضاء الممزوج لا تكون نسخة طبق الأصل للإدخالات.

3-2- الفضاء الشامل:

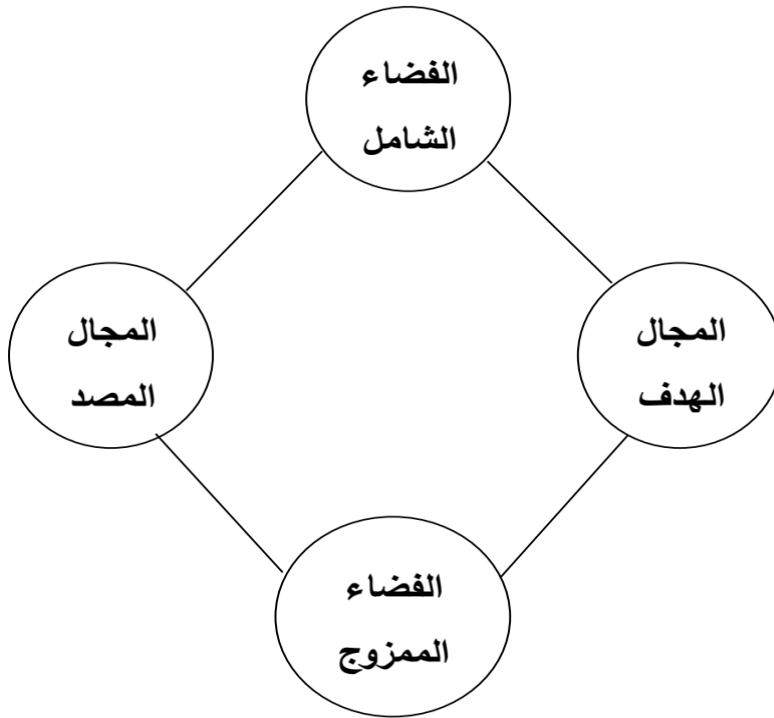
يتضمن النموذج الشبكي لفوكيني وتورنر فضاءي إدخال أو أكثر والفضاء الممزوج يمثل الجزء الإضافي الحيوي لنموذجهما في ما أسماه "بالفضاء الشامل" ويرتبط هذا الأخير حسب كوفيتش بالاستعارة التصويرية بطريقتين: أحدهما أن يكون للفضاءات العامة إمكانية جعل ترابطات استعارية بين المجالين المصدر والهدف ممكنة، والأخرى أن يتقاسما الإدخالات بنية مجردة في حالة ما إذا كانت الاستعارة الوضعية قد أسست هذه البنية (1).

والصورة العامة التي يمثلها الشكل الموالي فيها نوع من التفصيل والشرح لتشكل شبكة المزج التصوري في الأبنية اللغوية غير الاستعارية.



¹ - ينظر: نزيهة زكور، صالح غيلوس: الأفضية الذهنية والسيمبوزيس أو التأويل اللامتناهي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مج: 3، عدد خاص، 2015.

والمخطط التالي يمثل المزج التصوري الاستعاري:



4-أمثلة تطبيقية عن المزج التصوري من خلال نماذج تطبيقية:

4-1-من خلال القرآن الكريم:

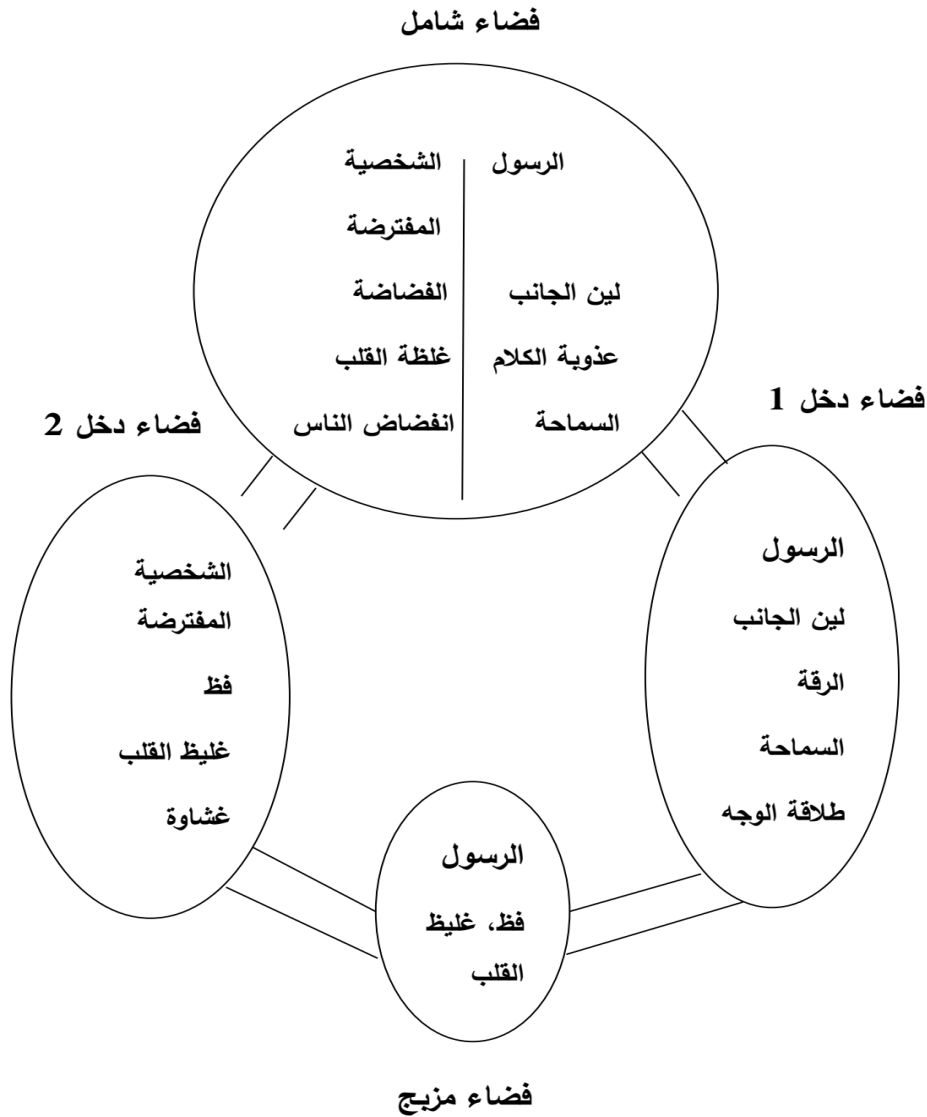
قول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران الآية 159

نجد أن هذه الآية القرآنية المباركة تتناول الحديث عن خلق الرسول ﷺ، وإذا أتينا إلى تفصيلها من الناحية التصويرية الذهنية فإننا نلاحظ أنها احتوت مزجا تصويريا نشأ انطلاقا من فضاءين ذهنيين إدخالين تشكلا عن طريق أداة الشرط " لو " التي أتبعنا بالناسخ الفعلي " كان " الذي جسده عبارة "كنت" ثم اسمه وخبره، فنلاحظ أن أحد هذين الفضاءين المتشككين قد حمل صفات الشخصية المفترضة التي ذكرت عن الرسول ﷺ والمتمثلة في الفضاضة وغلظة القلب، "والفضاضة" تكون في خشونة الكلام وبذاءة اللسان، أما الغلظة فهي القسوة

المتناهية وتكون في القلب"(1). فينشأ في ذهن المتلقي ما يتبع ذلك، في حين ضم الفضاء الآخر الشخصية المستدل عليها بالضمير المتصل "التاء" في لفظة "كنت"، ومن سمات هذا الفضاء أنها صورت شخصية النبي ﷺ في أحسن صورة تمثلت في الخلق الرفيع والرفق واللين، وقد ساعد هذا على إنشاء شبكة تصويرية يكون فيها المخاطب الرسول ﷺ في فضاء دخل، والشخصية المفترضة عنه في فضاء دخل آخر مربوطين بعلاقة التقابل والتباين، ثم ينشأ الفضاء المزيج المخالف للواقع انطلاقاً من:

- إسقاط المخاطب بمميزاته السلوكية والذهنية المخصصة له في الدخل الذي هو فيه، ومعنى هذا أن يكون الفضاء موافق لما هو موجود في الحقيقة.
- تأطير الفضاء المزيج بالإطار السلوكي لشخصية المفترضة.
والمخطط التالي يمثل ذلك:

¹ - محمد حسن علي الصغير: التفسير المنهجي للقرآن، دار الكفيل لطباعة والنشر، ط1، 1439هـ، 2018، ص 95.



4-2- من خلال نصوص شعرية:

تقول الخنساء في وصف أخيها صخر

طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد إذا ما شتا.

من الواضح أن هذه البنية اللغوية المنجزة هي بنية تصويرية تقوم على شبكة مجردة من علاقات المزج تلعب فيها مكونات فضاء الدخل دوراً أساسياً في بنيتها، إذ تقوم الكناية في هذا المثال على جملة من المعارف اللفظية المشتركة التي تُسهّم في توسيع المسافة بين المعنى الأول والمعنى الثاني المقصود، مما يدفع المتلقي إلى البحث عن المعنى المقصود الذي يتم عبر آليات استدلالية تتمثل أساساً في عملية الاسقاطات الانتقائية التي يقوم بها في ذهنه والتي تعمل على ربط المعنى الأول الموجود في الفضاء الأصلي بما يستلزمه من

معنى ثانٍ موجود في الفضاء المزيج ويتوافق مع سياق الاستعمال.

إنّ للمتلقى دور فاعل في إنتاج الدلالة الجديدة بصورة مباشرة وذلك عن طريق

الإسقاطات الذهنية التي يقوم بها والمتمثلة في الآتي:

- كثرة الرماد ← يستلزم كثرة الجمر.
- كثرة الجمر ← تستلزم كثرة إحراق الحطب.
- كثرة إحراق الحطب ← تستلزم كثرة الطعام.
- كثرة الطعام ← تستلزم كثرة الأكل.
- كثرة الأكل ← تستلزم كثرة الضيوف.
- كثرة الضيوف ← تستلزم أن الرجل مضياف وكريم.

وانطلاقاً من هذا فإن الآلية الاستدلالية القائمة على عملية الإسقاط الانتقائي عبر

الفضاءات هي التي مكنتنا من الوصول إلى هذا المعنى وأدت إلى انبثاق فضاء جديد هو

الموجود في الفضاء الممزوج الذي يشترك في بنيته كل من المتلفظ والسامع.

وعليه فإن الفضاء المزيج هو حصيلة التركيب الذي يجري بين عناصر فضاءات

الدخل والتوليف بينهما.

يمكن في الأخير أن نعتبر أن المزج التصوري عملية ذهنية أساسية تشتغل على

فضاءات تصويرية لإنتاج شبكات امتزاج تصويرية عن طريق إدخال إلى الشبكة الذهنية

المفهومية وبتوجيه من الإسقاط الانتقائي، فينتقل هذا الأخير من فضاءات إدخال تصويرية

ومن العلاقات التي تربط بينها وبين عناصرها نحو فضاء تصويري ممزوج غالباً ما يكون له

بنية منبثقة خاصة به.

أخيراً وفي نهاية هذا الفصل الذي تطرقنا فيه إلى قضية المعنى في رحاب العلم العرفاني

وبيّنا من خلال أمثلة تطبيقية كيف يُفسر المعنى عرفانياً فإننا نسجل ما يلي:

- إن الاستعارة التصويرية تُعد من أهم مباحث العلم العرفاني التي ركزت عليها اللسانيات

العرفانية، حيث أعطتها بعداً جديداً خالفت من خلاله النظرة القديمة للاستعارة، وذلك من

خلال ما أقره كلٌّ من جورج لايكوف ومارك جونسون من أن الاستعارة نعيش بها وكامنة في

كل خطاباتنا اليومية، ومن خلال هذا تمكنا من تجاوز فكرة ربط الاستعارة بالتعابير المجازية فقط كما كان شائعا.

-اكتشفنا كيف يُسهّم الفضاء الذهني في بناء المعنى على مستوى الذهن، وكيف ينتقل كل من المتكلم والسامع من الأفضية الأساسية إلى الأفضية الثانوية عن طريق الترابطات المزجية التي تتم بصورة دقيقة جدا على مستوى الأعصاب ليتمكن كل منهما من ترجمة هذه الترابطات وصولا إلى المعنى المراد.

-إن نظرية المزج التصوري هي نظرية مكملّة لنظرية الفضاء الذهني، كونها تهتم بشرح كيفية ترابط الفضاءات الذهنية بعضها ببعض وكيف يتم امتزاجها للتوصل للمعنى.

الفصل الرابع:



دراسة مقارنة للمعنى بين
الطرحين التداولي والعرفاني

المبحث الأول: أوجه الاختلاف:

لقد تمثل الاهتمام الأول لدى علماء اللغة في قضية البحث عن المعنى، محاولين إيجاده في أصغر وحدة لغوية والتي يمثلها "الصوت"، إلى الوحدات اللغوية الأكبر منها والتي تمثلها كل من "الجملة" و"النص"، وصولاً إلى "الخطاب"، وقد عدت النظريتين التداولية والعرفانية من أهم النظريات اللسانية التي أعادت الاعتبار لدراسة "المعنى" اللغوي بعدما هُمش في الدراسات البنيوية، ومن هنا أعادت هذين النظريتين التوجه نحو دراسة المعنى من خلال بحثه في مستويين مختلفين هما: "مستوى ذهني" و"مستوى تداولي سياقي"، وسنحاول في هذا الفصل من العمل عقد مقارنة بين المنظورين في دراسة المعنى:

1- بناء المعنى التداولي عن طريق التأويل الخاضع لعنصر السياق:

سننتقل أولاً إلى إعطاء مفهوم للتأويل عند الغربيين ثم نبين كيف يُسهم في استجلاء المعنى التداولي:

1-1- مفهوم التأويل:

- لغة:

يأتي التأويل "interpretation" في قاموس "أكسفورد" بمعنى التفسير والشرح⁽¹⁾.

ويضاف إلى هذين المعنيين في قاموس "روبار" وفي مادة "interpretation" أيضاً معنيي "القراءة والترجمة"⁽²⁾.

وانطلاقاً من هذين المفهومين اللغويين للتأويل يمكننا القول بأن التأويل: هو تفسير شيء ما للوصول إلى معناه وفهمه.

- اصطلاحاً:

يعد التأويل من أكثر المفاهيم انتشاراً وتداولاً بين الناس في حقول معرفية مختلفة، وهذا معناه أنه لا يختص بعلم بعينه ولا يقتصر على نمط محدد من أنماط المعرفة بل يختلف

¹ - ينظر: قاموس أكسفورد الحديث: (إنجليزي-عربي)، ص 612.

² - ينظر: Dictionnaire Robert; article interpretation, p1199.

باختلافها.

-يعرفه " جورج غادامير Georg Gadamer " بقوله: "إن فهم النص هو دوما ممارسة التأويل"⁽¹⁾، ثم يقول: " وأن تفهم يعني أن يُطبق"⁽²⁾، يقول "سيدي عمر عبود" في مقال له تناول فيه مفهوم التأويل عند غادامير أن الفهم هو ممارسة التأويل والفهم يعني أن تطبق، وبالتالي فمعنى الفهم عند غادامير " هو التطبيق، والتطبيق في نظره هو استيعاب الشيء من أجل تَمْلُكِهِ"⁽³⁾.

-ويعرف التأويل في الفلسفة الهيرمونيطيقة بأنه: "فهم يحدث من خلال امتلاك المعنى المضمّر في النص من جهة علاقاته الداخلية، وأيضا علاقاته بالعالم والذات..."⁽⁴⁾.

-وعلم التأويل أو كما يُصطلحُ عليه "بالهيرمونيطيقا"، هو علم يهتم بثلاثة أشياء أساسية وهي: "الفهم والتفسير والتطبيق" وما يتصل بها من بحوث حول الدلالة والمعنى.

-وبعد علم التأويل أول المناهج الفلسفية التي اهتمت بالقارئ ودوره في تحقيق النص.

-يعتبر "غادامير" أن اللغة هي الوسط الكلي الذي تجري فيه عملية الفهم ومشعل تلك العملية هو التأويل فيقول: "فاللغة تُعْتَبَرُ حقا ذلك الوسط الكلي الذي تجري فيه عملية الفهم بذاتها والتأويل هو نمط اشتغال تلك العملية"⁽⁵⁾.

إذن فمهمة التأويل عند غادامير هي كشف وإظهار شيء النص الملتبس والغامض والمغترب وجعله مألوفا لدينا، ولا يكون التأويل إلا حينما يتعذر فهم دلالة النص فهما مباشرا"⁽⁶⁾.

1 - سيدي عمر عبود: مفهوم التأويل لدى كادامير، مجلة علامات، المغرب، العدد 14، 2000م، ص51.

2 - المرجع نفسه، ص52.

3 - المرجع نفسه، ص51.

4 - محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2008م، ص61.

5 - سيدي عمر عبود: مفهوم التأويل لدى كادامير، ص 52.

6 - المرجع نفسه، ص 53.

وقد انطلق انفتاح غادامير من فهم النص إلى فهم الظاهرة التواصلية والمتمثلة في اللغة وقد كان هذا من بين أهم المساهمات التي أعطت للتأويل إمكانية قراءة وفهم كل أشكال التعبير اللغوي وغير اللغوي فيما يراه سيدي عمر عبود من خلال دراسته للتأويل عند غادامير.

- في حين يرى "بول ريكور" أن التأويل يقوم على جدلية بين فعل التفسير وفعل الفهم ضمن تجربة تأويلية فيقول: "والتأويل بصفته جدل التفسير والفهم والاستيعاب، يمكن إرجاعه إلى المراحل الابتدائية من السلوك التأويلي الذي يعمل في المناقشة أصلاً، في حين أن الكتابة والتأليف الأدبي وحدهما يقدمان تطويراً كاملاً لهذا الجدل"⁽¹⁾.

وهذا يعني أن التأويل عند "بول ريكور" قائم على جدلية التفسير والفهم ثم يطور هذا الأخير بفعل الكتابة والتأليف الأدبي.

1-2-أنواع التأويل:

هناك نوعان أساسيان للتأويل وهما: التأويل النحوي والتأويل التداولي.

- التأويل النحوي:

التأويل النحوي هو عملية البحث عن المعنى الأولي وينطلق من الأبنية اللغوية المنجزة. ويُعرّفه "محمد عياد" بقوله: "التأويل النحوي يستقصي فيه القارئ ملامح المعنى من جانب اللغة، ضف إلى ذلك أن أهم شروط التواصل بين الباث والمتلقي في التأويل النحوي هو الكفاية النحوية"⁽²⁾.

- التأويل التداولي:

تُعرّفه "كاترين أوريكوني Catherine Orecchioni" بقولها: "تأويل ملفوظ ما هو بكل بساطة إلا تطبيق لمختلف كفاءات المؤول على ما تحويه المتواليات اللغوية من دوال قصد استنباط مدلولاتها المقصودة"⁽¹⁾.

¹ - بول ريكور: النص والتأويل، تر: منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 3، 1998م، ص 50.

² - محمد بن عباد: التلقي والتأويل، مجلة علامات، المغرب، العدد 10، 1998م، ص 15.

1-3-دواعي التأويل:

إنَّ الأصل في الحاجة إلى التأويل هو نفسه مبرر إجراء التأويل، وقد أرجع "محمد مفتاح" أصل التأويل وسيرورته إلى مقولتين هما:

- غرابة المعنى عن القيم السائدة المختلفة كالفكرية والثقافية ...الخ
- بث قيم جديدة بتأويل جديد، أي محاولة إرجاع الغرابة الى الملاءمة في المعنى.
- ومن هنا عُدَّ التأويل آلية من الآليات التداولية التي تحقق الوصول إلى المعنى.

1-4-موضوع التأويل التداولي:

إن موضوع التأويل التداولي هو المعنى له ثلاث مستويات تمثله، وهي: معنى الجملة ومعنى الملفوظ ومعنى التلفظ.

- **معنى الجملة:** لا علاقة له بأي استعمال فلا يشكل دخلا للتأويل.
- **معنى الملفوظ:** يتعلق به المعنى المباشر؛ أي الاستعمال المباشر وبشكل دخلا للتأويل إن كان فيه عدم مطابقة القصد بمقتضى الحال أي السياق.
- ومن أمثلة التأويل في الملفوظ قولك لشخص مثلا: "مرحبا يزيد"، فإذا فُهِمَت عند المتلقي مباشرة من المعنى الحرفي وكان هو المقصود فهي تعني: الترحيب والتودد ومحبة لقاء لهذا الشخص الذي هو زيد، وإذا كان في هذا المعنى المباشر نوع من العبث هنا نأتي أي التأويل بمعنى "لا مرحبا به".

- **معنى التلفظ:** يتعلق به المعنى غير المباشر؛ أي الاستعمال غير المباشر، وهذا الأخير هو ميدان التأويل.

1-5-عتبات التأويل التداولي التي تُحَقِّق الوصول الى المعنى الضمني:

هي عتبات تعمل على إيقاف التأويل عند الفهم بعينه أي عند التوصل إلى المعنى المراد، وتحول دول امتداده إلى ما يحمل.

¹ - كاترين أوريكيوني: في التداولية المعاصرة والتواصل، تر: محمد نطيق، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2014م، ص83.

-**عتبة السياق:** أي الالتزام في التأويل بعنصر السياق ولا يكون التأويل أقل مما يقتضيه هذا السياق ولن يمتد الى أكثر من ذلك.

-**عتبة التعاقد:**

تقوم على اتفاق ضمني بين المرسل والمرسل إليه؛ أي بين المتكلم والمتلقي، ويتم هذا الاتفاق بمجرد الشروع في التواصل، والمؤول ملزم بالتقيد بسيرورة التأويل فلا يوقفها عند أقل مما ينبغي، ولا يسمح له بتمديدها إلى أكثر مما ينبغي.

-**عتبة القصد:**

إن فهم الملفوظ يقوم على إدراك القصد، كما يقوم على الارتباط بالسياق، وأي تجاوز لقصد المرسل أو الوقوف دونه يُضَيِّع فرصة الوصول إلى القصد ونجاح عملية التأويل⁽¹⁾.

1-6- كفاءات تأويل المعنى التداولي:

إن الفعل اللساني التداولي فعل تأويلي استدلالي يقوم من أجل الوصول إلى معناه بتوظيف عناصر وآليات لغوية وعناصر وآليات غير لغوية، ويشير "جون غمبرز John Gumperz" في هذا السياق إلى أن: "التأويل في وضعية كل ملفوظ يتعلق دائما بالاستدلال، ويقوم على مقتضيات وبالتالي هو تخميني وليس إخباري، أي إنه يقتضي محاولات تقويم، كما يقتضي قصد التواصل، وقصد لا يصدق إلا بالعلاقة مع افتراضات أساسية أخرى، لا بقيمة الحقيقة المطلقة"⁽²⁾.

نستنتج من خلال هذا القول: أن المنجز اللغوي في الطرح التداولي يقوم على التأويل الخاضع للسياق أثناء تحليله وهذا يقتضي منا الكشف عن:

- الطريقة التي استعمل بها المتكلم قوله.
- النمط القولي المستعمل والاختيارات التي وظفها المتكلم.

¹ - عبد السلام إسماعيل علوي: في تداوليات التأويل، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، العدد 148-149، 2009، ص109.

² - philip blanchate, lapramatique d'unstim a'goffman,p 61.

- استراتيجيات التفاعل مع المتلقي، ومبادئ التخاطب معه.
 - المؤشرات اللغوية وغير اللغوية التي تُسهم في تأويل الفعل اللغوي.
- ومن هنا اتّضح لرواد النظرية التداولية أن قضية تأويل المنجز اللغوي من أجل الحصول على المعنى المقصود، تستدعي من المؤول كفاءة تأويلية تمكنه من ذلك، وتعد الكفاءة التواصلية أساس الفعل الكلامي، وتكوينها وتوسيعها في حياة الإنسان يقدم الوسائل الكبرى للتفاعل بين بني البشر، وبالتالي فهي تلعب دورا أساسيا في تأمين مختلف أشكال التواصل، وأول من تحدث عنها هو "هايمس Hymes"، إذ رأى "أن الكفاءة التواصلية هي المعرفة بالقواعد النفسية والثقافية والاجتماعية التي تتحكم في استعمال الكلام في إطار مجتمع معين"⁽¹⁾.

إن يُعدّ الطرح التداولي: أن فكرة التمكن من معرفة اللغة ليس كافيا لامتلاك هذه الكفاءة، بل هو مرهون أيضا: بالمعرفة الشاملة بالمقام الذي تجري فيه اللغة لكي يتمكن المتكلم من تنويع أساليب كلامه وفق ما تقتضيه المواقف والوضعيات التواصلية والمجتمعية"⁽²⁾.

إن فالمعرفة بتأويل المنجز الكلامي التداولي تقتضي معرفة تداعيات تداول الكلام في البيئة اللغوية المعنية والتي تنطلق من المعرفة اللغوية البحتة، وتتسع من خلال معطيات أخرى تملئها خصوصيات المجتمع الاجتماعية والنفسية والثقافية.

1-6-1- الكفاءة اللسانية:

تعتبر هذه الكفاءة من منظورها العام: "القدرة الظاهرة على استعمال اللغة للتعبير عن فكرة أو موقف أو شعور بأحسن صورة وأجود عبارة، وذلك عن طريق توظيف كل ما يحمل على الإمتاع والإقناع، أي حُسْن استعمال الأدوات والكلمات والتراكيب والأساليب

¹ - عبد الهادي ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية لغوية، ص57.

² - ينظر: ذهبية حمو الحاج: قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، العدد 2، ماي 2007، ص222.

والتحويلات وفقا لما يتطلبه الموقف الكلامي، على خلفيات تداولية (نفسية، اجتماعية، سياسية) وغيرها (1).

تمنح هذه الكفاءة مستعمل اللغة القدرة على إنتاج القول بما يؤدي المقاصد المطلوبة انطلاقا من موقف معين.

ومنه فهذه الكفاءة اللسانية تستدعي أن يكون للمتكلم القدرة على اختيار الصيغ اللغوية وتوظيف المؤشرات التي تمكنه من تحقيق القوة الإنجازية الكلامية المقصودة، ومن أمثلة ذلك أن استعمالنا للمصدر في الأمر يختلف عن استعمال الفعل كقوله ﷺ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ سورة البقرة الآية 83.

والدليل هو أن الفعل الانجازي "بالمصدر" أقوى دلالة ومعنى على المقصود منه "بالفعل".

أما من المنظور التداولي والعلاقة بالعملية التأويلية الخاصة بالمؤول فهي الكفاءة التي تحوّل للمؤول تأويل ما يستقبله من المرسل، ويتحقق هذا بشرطين أساسيين هما:

- على المؤول أن يكون عالما باللغة المستعملة: (الجانب الصوتي، الصرفي، والتركيبى والمعجمي) مما يسمح له باكتشاف التأويل اللساني، وهذا قد أكده أبو هلال العسكري من خلال قوله: "من تمام آلات البلاغة التوسع في معرفة العربية، ووجوه الاستعمال لها... ومعرفة المقامات وما يصلح في كل واحد منها من الكلام" (2).

- يجب أن يعلم المؤول أن لكل خاصية تطريزية معنى خاصا، وأن لكل صيغة صرفية معينة دلالة معينة، وأن تركيب هذه الوحدات إنما يكون بحسب الأساليب ولكل أسلوب خصائصه.

1-6-2- الكفاءة السياقية:

تعتبر هذه الكفاءة الدعامية الأساسية لإقامة أي تأويل للمنجز الكلامي، فبمعرفة

1 - عبد السلام عنتر: الكفايات التواصلية اللغة وتقنيات التعبير والتواصل، منشورات إيديسون، ط1، 2007، ص78.

2 - الحسن بن عبد الله (أبو هلال العسكري): الصناعتين الكتابة والشعر، ص 27.

ملاسات الفعل القولى تتم عملية الفهم والتأويل، وتمثلها معارفنا الموازية المكتسبة من محيطنا التخاطبى، وتأثيره بنا بأشياءه ومواقعها، وبشخصه وسلوكاتها، وبأزمته وقائعه وأمكنتها.

إذن فالقول فى التأويل التداولى ليس مجرد جمل معزولة عن سياقها بل لا يكاد ينفصل عنه (1).

ومن هنا فهذه الكفاءة هى امتداد للكفاءة اللسانية، إذ لا يمكن تأويل المنجز الكلامى بمعزل عن سياقه الذى يختص به، ومنه فالوصول إلى المعنى لا يتحقق إلا إذا انطلقنا من المسرح التخاطبى الذى ينشأ فيه المنجز القولى للمتكلم. يتضح لنا من خلال هذا أن المنجز الكلامى لا يحقق المقصود ومعناه إلا إذا كانت هناك ملاءمة بين المنجز الكلامى والسياق الذى ورد فيه، حتى ينتج تأويل ناجح وتحقق للمعنى المراد.

ومن أجل نجاح التأويل فى المنجز القولى والوصول إلى المعنى الصحيح الضمنى يجب توفر العناصر التالية:

-مراعاة المتلقى:

يستطيع المتكلم أن ينوع فى طبيعة المنجز اللغوى، فقد يصرح به كما قد يكون مجرد تلميح أو قد يكون أكثر تأدياً، كما يختلف أسلوب أدائه فقد يكون عنفياً أو جدياً أو مستهزياً أو غير ذلك، وهذا كله راجع إلى أن المتكلم يأخذ بعين الاعتبار بالدرجة الأولى المتلقى الذى يوجه له الخطاب أو المنجز اللغوى على اختلافه (2).

-النية أو القصد:

يمثل هذا العنصر أساس المنجز اللغوى الذى ينتظم بسببه الفعل القولى، وتقوم قصدية المتكلم على الاعتقاد المعين الذى تنتظم من خلاله الإجراءات التخمينية، التى قد تتحول إلى

1 - ينظر: عبد السلام اسماعيل علوي: فى تداوليات التأويل، ص 110.

2 - عبد السلام عنتر: عندما نتواصل بغير، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، د ط، 2006 م، ص 36.

كلمات وجمل وعلامات ورموز إذا ما أحسن النطق بها، ولا تتطوي على مجرد معنى لغوي تقليدي فحسب بل نحوي معنى يقصده المتكلم أيضا، ومن هنا نجد أن المتكلم حين يقول شيئا ويعني آخر فإنه يؤدي بذلك فعلا قصديا، ويكون إنتاجه للأصوات المشكلة للمنجز اللغوي الذي يؤديه جزءا من شروط تحقق القصد الذي يرمي إليه.

-الموضوع:

يتعلق الموضوع بمضمون التواصل، وقد يكون وعدا أو التماسا أو وعيدا أو عقدا أو إنكارا، وهذا راجع إلى ما تمليه طبيعة الموضوع، فقد يقال الموضوع كليا وتتمثل في منجز لغوي حرفي صريح وقد يُحَقَّقُ بالتلميح أي في شكل منجز لغوي يحمل معنيين معنى حرفي ومعنى ضمني مضمّر، مما يدعو المتكلم إلى اكتساب آليات التصريح إن كان في الموقف الكلامي الذي يستدعي ذلك، أو الإضمار بحسب الأغراض المقصودة، وهذا بالضرورة يدفع المتلقي إلى التمكن من آليات حل الترميز اللساني اللغوي للمنجزات المضمرة أو المرتبطة بالجانب السياقي كذلك، وهذا ما يتلاءم مع هذين الصنفين (1).

-الزمان والمكان:

لهذين العنصرين صلة وثيقة بالموقف التواصلية الذي يجري وينجز فيه المنجز اللغوي أو القول، وبالتالي فهما يعكسان الأحداث والمشهد الحي الذي يجري فيه الكلام، ومعطياتهما تُسهم في تكوين المحيط المعرفي الذي يتشكل من خلاله الفعل الكلامي من جهة وتحقيق القوة الإنجازية المقصودة من جهة أخرى (2).

1-6-3-الكفاءة الموسوعية:

تمثلها المعرفة العامة التي يمتلكها المتكلم، وتسمى أيضا "بالكفاءة الثقافية"، وهذه الأخيرة تمكن المتكلم من إنتاج الفعل القولية بما يحمله من مقاصد من جهة، والمتلقي الذي تساعد في إيجاد تأويل مناسب للقول من أجل الوصول إلى المعنى من جهة ثانية، وبالتالي

1 - عبد السلام عنتر: عندما نتواصل نغير، ص 37.

2 - ينظر: عبد السلام اسماعيل علوي: في تداوليات التأويل، ص 111.

هذه الكفاءة تعكس مدى ثقافة الفرد ونضجه ودقة تفكيره وخبرته التي تغذيها البيئة التي ينشأ فيها الفرد، وتملك قيمتها في ذلك، فعندما لا يشترك الناس الذين يتحاورون نفس الثقافة، ونفس المعرفة ونفس القيم ونفس المسلمات فإن الفهم المتبادل يكون صعبا.

ترى أوريكيوني "أن الكفاءة الموسوعية ترتبط بمجموعة المعارف الضمنية التي يمتلكها المتكلم والمستمع عن العالم والإيديولوجيا، ليس هذا وحسب إنها مجموعة أنظمة التأويل والتقييم حول العالم المرجعي الذي يتداخل مع الكفاءة اللسانية للعلاقات التي هي محدودة أكثر منها غامضة (1).

وتذكر "أوريكيوني" في السياق نفسه أنه إذا كانت الكفاءة اللسانية تسمح باستخراج المعلومات التعبيرية الضمنية، فإن الكفاءة الموسوعية تمثل خزاناً رجا يمثل معلومات خارجية تعبيرية أدائية تتناول السياق، أو مجموعة معارف ومعتقدات ونظام تمثيلات العالم المرجعي وتأويلاته وتقويماته، ويطلق عليها تبعا للظروف بديهيات الاعتقاد والمعارف الإدراكية، أو اسم المعلومات المسبقة (2).

وهذه المعلومات تشكل خلفية يركز عليها المتلقي في تأويل القول المعين انطلاقاً من سياق معين، كما تختلف هذه المعلومات من شخص إلى آخر، وكذلك عملية تفعيلها تختلف من موقف تواصل إلى آخر.

وأهم ما يميز هذه الكفاءة ما يلي:

-الكفاءة الموسوعية متغيرة بتنوع الواقع "لأنه بتغير الواقع تتغير الثقافات والعلوم والايديولوجيات، وكل هذه الاختلافات تؤثر على الفهم... فنجد أن الكثير من المفاهيم التي كان يفهمها الناس بصورة معينة قد تغير فهمها اليوم، ومن أمثلة ذلك ما قد يتعلق بالألفاظ القديمة التي كانت تحمل دلالة غيرها" (3).

1 - ينظر: كاترين أوريكيوني: المضمرة، ص 284.

2 - المرجع نفسه، ص 285.

3 - ينظر: يحي محمد: منطق فهم النص، دراسة منطقية تعنى ببحث آليات فهم النص الديني وقبلياته، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط، 2010م، ص140.

إذن إنَّ الفهم ليس واحدا بالخصوص في المنجز اللغوي غير المباشر بل قد يختلف من شخص إلى آخر باختلاف ثقافتهم وكذلك باختلاف الزمان والمكان. واختلافها من شخص إلى آخر يكون بحيث يستحيل سردها بكاملها دفعة واحدة نظرا لتفاوت درجاتها ومكوناتها من فرد إلى آخر حسب عمر الفرد وثقافته وجنسه.

ومن هذا المنطلق، ما يمكننا قوله حول هذه الكفاءة هو أنها لا تكون من تلقاء نفسها بل تتم انطلاقا من تعاملات الفرد مع المحيط الذي ينتمي إليه.

1-6-4-الكفاءة الاستدلالية:

لا يبقى عمل المؤول في حدود القول اللغوي المنجز فحسب بل يتعداه، وهذا راجع إلى أنه اللغات الطبيعية لا تستطيع ترميز جميع الأفكار التي تدور في ذهن الإنسان لذلك " يلجأ "المؤول" إلى الاستدلال والاستنتاج واستحضار السياق، فهناك أقوال في أغلبها خطاطات تتطلب في الآن نفسه حل العقد مع الاستدلال لضمان فهمها على الوجه المطلوب، فالذهن البشري يشتغل في الواقع باليتين الواحدة منهما تكمل الأخرى، فالأولى تعتمد على حل الترميز والثانية تقوم على الاستدلال"⁽¹⁾.

ولا تقوم آليات الاستدلال على المعطيات اللغوية فحسب بل تنتعش أكثر مع بقية المعطيات التي يقوم عليها سياق الحال ككل.

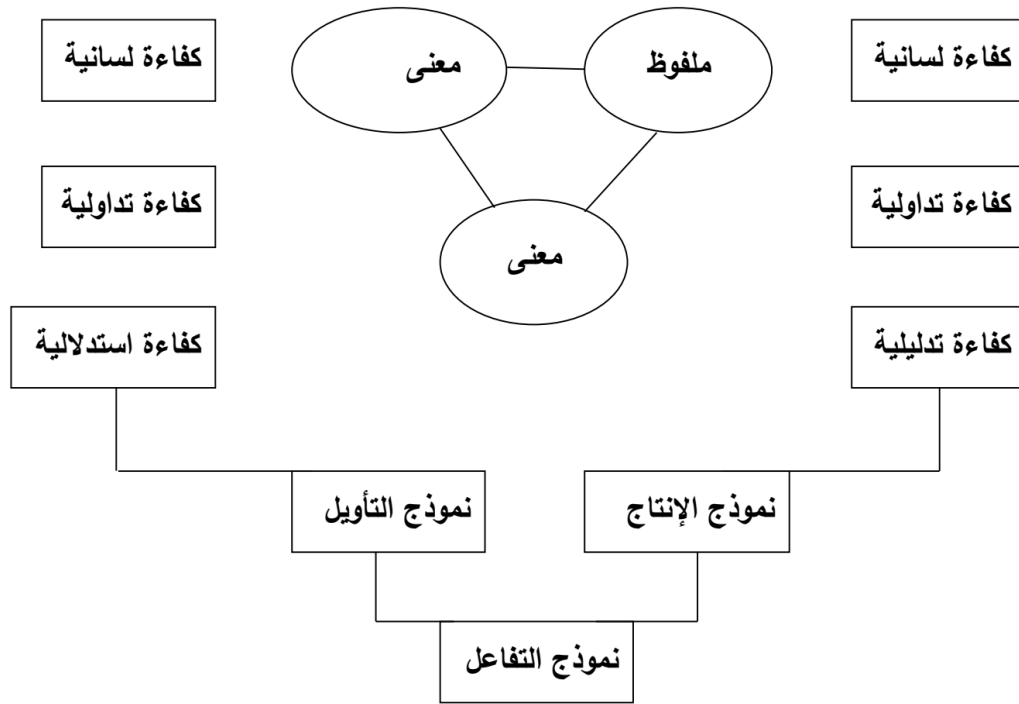
وانطلاقا من هذا فإن المعنى في التداولية لا ينجز في القول بطريقة مصرح بها، بل يكون ضمنيا مضمرا لا نستطيع التوصل إليه إلا من خلال حل عُقْدِهِ ترميزيا ولسانيا واستدلاليا.

وذلك انطلاقا من مؤشرات لغوية يطرحها القائل المؤدي للمنجز اللغوي، وتجعل هذه الأخيرة بدورها فعل التأويل يتسع ليشمل كل الإمكانيات التي يوفرها القول اللغوي والسياق الذي أنجز فيه وذلك انطلاقا من دلالات الكلمات وطريقة إيحائها، وما يُثيره من تطلعات وتوقعات.

¹ - عبد السلام عنتر: عندما نتواصل نغير، ص 34.

إن فالكفاءة اللسانية والتداولية تحتاجان إلى كفاءة استدلالية تُمكن المؤول من الانتقال من عدم الملاءمة إلى الملاءمة بموجب الاستدلال، وبالتالي يظهر دور الكفاءة الاستدلالية انطلاقاً من الربط بين ما يعرضه المرسل وبين ما توفر بموجب الكفاءتين اللسانية والتداولية من أجل تحقيق هدف الوصول إلى المعنى المقصود.

ويشرح "عبد السلام اسماعيل علوي" هذه الكفاءات التداولية بالمخطط التالي: (1).



2- بناء المعنى ودراسته من المنظور العرفاني عن طريق الذهن:

تعتبر الدلالة أو دراسة المعنى من بين المجالات الأكثر تداولاً ونقاشاً في الدرس اللغوي المعاصر، حيث نجدها في مباحث متنوعة، وهذا ما أدى إلى ظهور العديد من النظريات التي حاولت إعطاء تفسير لكيفية ظهور المعاني والطريقة التي تتداولها بها، وكيفية دراستها.

وتعد من بين هذه النظريات التي اهتمت بدراسة المعنى مؤخرًا النظرية العرفانية أو كما تُسمى اللسانيات العرفانية، هذه الأخيرة التي انبثقت مؤخرًا ضمن ما يعرف بالإطار العام

¹ - عبد السلام اسماعيل علوي: في تداوليات التأويل، ص 111.

للعلوم المعرفية، وقامت بدراسة "المعنى" وفق منظورها "باعتباره تمثيلات ذهنية مبنية في صورة تنظيم معرفي هو "البنية التصورية"، وهذه الأخيرة ليست جزءاً من اللغة في حد ذاتها وإنما هي جزء من الفكر، وإنها المحل الذي يتم فيه فهم الأقوال اللغوية في سياقاتها الإنجازية، بما في ذلك الاعتبارات الذريعية والمعرفة الموسوعية، إنها البنية المعرفية التي يبنّي عليها التفكير والتخطيط، فيُعتبر هذا المستوى المفترض "للبنية التصورية" المقابل النظري لما يسميه الحس "معنى" (1).

يُعد "رونالد لانفكار" أهم رواد الدلالة العرفانية، حيث طرح في كتابه الذي يحمل عنوان "النحو المعرفي" العديد من التساؤلات أبرزها: "هل محل المعاني الرأس؟" ويجيب على هذا التساؤل من منظور معرفي فيقول: "إن معاني التعبيرات اللغوية من منظور لساني معرفي محلها رؤوس المتكلمين الذين ينتجون ويفهمون التعبيرات، أي إن المعاني تتعين مع التصورات" (2).

وبالتالي فهذه النظرة خالفت وجهات النظر التقليدية التي درست الدلالة.

ويرى كذلك لانفكار في جانب آخر أن الرؤية الدلالية المعرفية أو العرفانية للمعنى تعتبر أنه مشتق من التجربة البشرية المتجسدة، وبالتالي فهو ينبثق بصفة دينامية في الخطاب والتفاعل الاجتماعي، بدلا من كونه شيئا ثابتا ومفروضا سلفا، والمتخاطبون يتفاوضون حول المعنى بفاعلية استنادا إلى سياق فيزيائي، لغوي واجتماعي وثقافي.

ومنه فالمعنى لا يُعدُّ مظهرا مكتفيا بذاته بل هو ملازم للخطاب الجماعي ومقترن بظروف حدث تداولي في العالم المحيط، وبالأخص كونه ليس داخل ذهن متكلم واحد فقط، بل في أذهان متعددة.

إذن فالدلالة العرفانية أو المعنى العرفاني باختصار هو مقارنة جمعت في اهتمامها البنية التصورية والمعنى اللغوي معا.

¹ - محمد غاليم: بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي، الموقع: <http://www.aljabriabed.med>

² - pomald w.langacker,cognitive grammar, a basic I introduction oxford university press 2008,p27.

2-1-المبادئ التي تقوم عليها النظرية الدلالية العرفانية لمقاربة المعنى:

تقوم دراسة المعنى في المنظور الدلالي العرفاني انطلاقاً من أربعة مبادئ وهي مبينة كالآتي:

2-1-1-البنية التصورية بنية متجسدة:

يتجلى الاشتغال الجوهري لأصحاب الدلالة المعرفية في بحثهم طبيعة العلاقة بين البنية التصورية والعالم الخارجي للتجربة الحسية، أو بتعبير آخر يسعى أصحاب الدلالة المعرفية إلى اكتشاف طبيعة التفاعل البشري مع العالم الخارجي والوعي به، وبالتالي بناء نظرية للبنية التصورية تحقق انسجاماً مع الطرق التي نجرب ونختبر بها العالم الواقعي، وانطلاقاً من الطرق العديدة التي حاول بها أصحاب الاتجاه الدلالي العرفاني معرفة وشرح طبيعة التنظيم التصوري الذي يملكه الإنسان على أساس تفاعله مع المحيط الفيزيائي الذي يعيش فيه، ظهرت أطروحة جديدة سُميت بأطروحة "المعرفة المتجسدة" هذه الأخيرة التي تُقَرُّ بأن طبيعة التنظيم التصوري تنشأ من تجربة الإنسان الجسدية⁽¹⁾.

وبالتالي رأى أصحاب هذا الاتجاه أن من بين الأجزاء التي تجعل للبنية التصورية مدلولاً هي التجربة الجسدية وما ترتبط به من الواقع.

وقد اقترح الباحثان "ميلاني غرين Melanie Green" و"فيفيان إيفانز Vivienne Evans" في حديثهما عن كيف تكون البنية التصورية بنية متجسدة مثلاً وهو: " تخيل رجل في غرفة مغلقة"، وأن هذه الغرفة تملك خصائص بنيوية مقترنة بمعالم محددة ولها جهات تحصرها، كما أن لها داخل ولها حدود، وخارج، ونتيجة لهذه الخصائص، يكون للمعلم المحدود خاصية وظيفية إضافية للاحتواء، تتمثل في أن الرجل عاجز عن مغادرة الغرفة ما دامت مغلقة، وهذا واضح نوعاً ما، إلا أن ملاحظتنا لهذا المثال المعبر عن الاحتواء يكون بسبب خصائص المعلم المحدود، وينتج بسبب خصائص الجسد البشري، فالبشر لا يمكنهم اختراق شق الحائط مثل الغاز أو أن يزحفوا من خلال الفرجة أسفل الأبواب كالنمل مثلاً، أو بعبارة

¹ - vayvayan e vans and Melanie green: cognitive linguistics, an introduction, pp 157,162

أخرى: إن "الاحتواء" هو نتيجة ذات دلالة لنمط خاص من علاقة فيزيائية قمنا بتجربتها مع العالم الخارجي (1).

وهذا التصور الذي أورده الباحثان هو مثال وشاهد عما يسميه اللسانيون العرفانيون بمصطلح "خطاطة الصورة" في النموذج العرفاني.

إذن يمثل التصور الخطاطي إحدى الطرق التي تعطي التجربة الجسدية تصورا ذهنيا يحمل معنى دالا، وانطلاقا من هذا فيمكن القول: بما أن "تصور الاحتواء" يتأسس انطلاقا من التجربة المتجسدة المتفاعلة مع المَعْلَم المحدود، فإنه بإمكان البنية التصويرية الخطاطية أيضا أن تعطينا نهوضا لأنواع من المعاني أكثر تجريدا (2).

إذن ما يمكن قوله هو أن من بين المرتكزات التي تحاول اللسانيات العرفانية الاتكاء عليها في دراسة المعنى، هو بحثها في طبيعة العلاقة بين البنية التصويرية وعالم التجربة الحسية، أو بعبارة أخرى هو أن الدلاليتين العرفانيتين يهتمون باستكشاف طبيعة التفاعل البشري مع العالم وطبيعة الوعي به.

2-1-2- البنية الدلالية هي البنية التصويرية:

يعني هذا المبدأ أن اللغة تحيل إلى تصورات في ذهن المتكلم عوض أن تحيل على العالم الخارجي، وهذا معناه أن البنية الدلالية تعادل التصورات أو هي تصورات لغوية أو معجمية تشكل الصورة الوضعية التي تتطلبها البنية التصويرية حتى تكون مرمزة في اللغة. (3).

وإذا كان العالمان "إيفانز" و"غرين" يرون بأن البنية الدلالية يمكنها أن تتساوى مع البنية التصويرية وهذا لا يعني أنهما متطابقتان، فإن اللسانيين العرفانيين يرون أن المعاني المقترنة بالكلمات تُشكّل فقط مجموعة فرعية من التصورات الممكنة، وهذا معناه أن الكثير من الأفكار والتصورات والأحاسيس التي نملكها هي أكثر مما يمكننا تشفيره أو ترميزه وضعيا في

1 - ينظر: عمر بن دحمان: الاستعارات والخطاب الأدبي، مقارنة معرفية معاصرة، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، تيزي وزو، تاريخ المناقشة: 2012/07/03، ص 164.

2 - المرجع نفسه، ص 224.

3 - جورج لاكوف ومارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، ص 137.

اللغة وكمثال على ذلك: التصور الذي نملكه لوجوهنا تحت أنوفنا وأعلى فمنا، أين تتما الشوارب، إذ يجب أن يكون لدينا تصور لهذا الجزء من الوجه حتى نفهم أن الشعر النامي هناك يقال عنه شارب ومع ذلك ليس هناك كلمة في اللغة تُشَفِّرُ وضعيا لهذا التصور (1). ومعنى هذا أن هناك مجموعة من التصورات المعجمية، ليست إلا مجموعة فرعية من مجموعة كاملة من التصورات الموجودة في ذهن المتكلم.

ويرى هذان الباحثان أن هذا المبدأ ذو أهمية كبيرة حتى نتمكن من التفكير بنوع من اليسر ونتوصل إلى المعنى السليم، واقترحا مثالا لغويا لتبيان الارتباط بين البنية الدلالية والبنية التصورية، يتمثل في بنية الجملة اللغوية المبنية للمعلوم، والجملة المبنية للمجهول اللتين تعكسان الطريقة التي نتعامل بها مع الأشياء في التقديم والتأخير في تجاربنا: ومن ذلك المثال الآتي:

- كتب "شكسبير" مسرحية "روميو وجوليت" ← جملة مبنية للمعلوم
- كتبت مسرحية "روميو وجوليت" من قبل شكسبير ← جملة مبنية للمجهول

يرى اللسانيون العرفانيون الذين درسوا المعنى العرفاني: أنه بسبب اقتران التركيب المبني للمعلوم والمبني للمجهول وضعيا واختلافهما وظيفيا، أي وجهة النظر التي نتبناها ارتباطا بالفاعل والمفعول في الجملة، أي إن بنيتي كل من المبني للمعلوم والمبني للمجهول ذاتا دلالة بحد ذاتها، فنحن نركز في الجملة المبنية للمعلوم على المشارك المعلوم وهو "شكسبير" بموضعه هذه الوحدة في مقدمة التركيب، بينما نركز في الجملة الثانية المبنية للمجهول على المشارك الخاضع للفعل وهو لفظة "مسرحية" (2).

إذن فالمعاني الوضعية المقترنة بهذه البناءات النحوية هي خطاطية باعتراف الجميع ولكنها ذات دلالة بالرغم من ذلك.

¹ - vayvayan e vans and Melanie green: cognitive linguistics, an introduction, pp 167.

² - المرجع نفسه، ص: 170

2-1-3- موسوعية تمثيل المعنى.

يرتكز هذا المبدأ على أن البنية الدلالية ذات طبيعة موسوعية، وهذا يعني أن الكلمات لا تمثل مجموعات واضحة من السمات كما في التصور المعجمي والقاموسي، بل تعتبر بمثابة جسر العبور إلى خزان واسع من المعارف المرتبطة بتصوير أو مجال تصوري معين. ومن هنا انطلق علماء الدلالة المعرفية من نظرة تثبت أن المعنى الموضوعي المقترن بالكلمة المفردة لا يُعدّ سوى حامل فقط لعملية بناء المعنى، أي إنه ليس هو المعنى في حد ذاته بل المعنى هو الترجمة الفعلية للكلمة في سياق الملفوظ التابعة له، فكلمة "آمن" مثلاً لها طبقة من المعاني والمعنى الذي نختاره ينبثق نتجه من السياق الذي تبرز فيه الكلمة، والأمثلة التالية توضح ذلك أكثر: كقولك:

- الولد آمن.
- الشاطئ آمن.
- المجرفة آمنة.

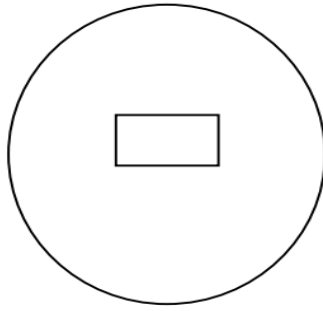
نجد في هذا السياق أن تأويل الجملة الأولى هو "أن الولد لن يصيبه أذى"، ومع ذلك فالجملة الثانية لا تعني أن الشاطئ لن يكون مؤذياً، بل تعني أن الشاطئ المحيط بالولد يكون خطره الذي يلحق بالولد في حده الأدنى، والجملة الثالثة لا تعني أن المجرفة لن تكون مؤذية، ولكن المعنى هو أنها لن تسبب أذى لهذا الولد، وبالتالي قد تكون هذه المجرفة مؤذية، إذا وضعناها في سياق آخر¹.

فهذه الأمثلة تُوضّح أنه ليس هناك خاصية ثابتة واحدة بأن الأمان متحدد في الكلمات التالية "الولد، الشاطئ، المجرفة"، ومن أجل فهم ما يعنيه المتكلم نحبس من معارفنا الموسوعية المرتبطة بالأطفال والشواطئ، والمجرفات ومعارفنا المرتبطة مع ما تعنيه كلمة "آمن" من معنى.

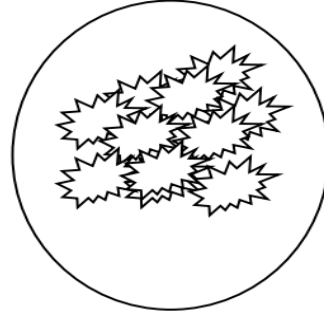
¹ - ينظر: عمر بن دحمان: الاستعارات والخطاب الأدبي، 226.

فنحن إذن نترجم المعنى باختيار المعنى الذي يناسب سياق التلفظ. (1).

أورد "رونالد لنقكار" خطاطة تمثيلية للتمييز بين الدالتين القاموسية والموسوعية كما يلي (2):



الدلالة القاموسية



الدلالة الموسوعية

وما يدل عليه هذا المخطط التوضيحي هو أن الدلالة القاموسية محدودة ومحصورة في كلمة واحدة لا علاقة لها بسياق التلفظ وبالتالي فهي في معزل عنه، أما الدلالة الموسوعية فهي أكثر تعقيدا ويخضع تفسيرها بالدرجة الأولى لعنصر السياق.

2-1-4- بناء المعنى هو بناء التصور:

يتعلق هذا المبدأ الرابع من مبادئ الدلالة العرفانية بكيفية ترميز اللغة للمعنى في الذهن، وينطلق أصحاب الدلالة العرفانية في هذا من فكرة مفادها: أن اللغة في حد ذاتها لا ترمز لمعنى بل الكلمات كما رأينا هي مجرد منطلق مباشر لتشكل المعنى.

وانطلاقاً من هذه الرؤية نجد أن المعنى في المستوى التصوري ينبني على تلك العملية الدينامية التي تشتغل فيها الوحدات اللغوية كحاثات لمجموعة من العمليات التصورية، وتجنيذ المعارف الخلفية، وبالتالي فالمعنى هو عبارة عن سيرورة بدلا من كونه شيئا منغصلا تُحدِّده المنجزات اللغوية (3).

إذن إن المعنى في اللسانيات العرفانية هو عبارة عن تصور ذهني لما هو في الواقع على حد تعبير "لنقكار"، ولا يمكن مقارنته والتوصل إليه إلا من خلال أربعة مداخل أساسية

¹ - ينظر: ronald,w langacker,cognitive, grammar, p39. - ينظر:

² - ينظر: عمر بن دحمان: الاستعارات والخطاب الأدبي، 226.

³ - ينظر: المرجع نفسه، 227.

تمثل الركائز التي يقوم عليها المعنى في علم الدلالة العرفاني الذي هدفه البحث عن المعنى انطلاقاً من تمثيل المعارف والتجارب فيما يسمى "بالبنية التصورية"، وهذا شرح مختصر لهذه الدّعاء:

2-2- مداخل دراسة المعنى العرفاني:

- المقولة:

تؤسس المقولة لكل ممارساتنا الإدراكية وتحكم نشاطنا الذهني واللغوي، وهذه العملية العقلية تقوم على ضم مجموعة من الأشياء المختلفة في صنف يجمعها، لذلك فإن كل شيء متعلق بعالم الإنسان محكوم بالمقولة، فأفكارنا وإدراكنا الحسي، وحركتنا وكلامنا وجميع نشاطاتنا تقوم عليها، فلا يمكننا عمل أي شيء في حياتنا اليومية دونها لأنها أمر أساسي تسمح لنا بفهم عالمنا والتعامل معه وتتم بصورة آلية لا واعية، فنحن نمول حياتنا اليومية بصورة آلية، لا واعية (1).

- الفهم:

انطلق اللسانيون العرفانيون في بحثهم عن المعنى من رؤية إنسانية نسبية للفهم تجاوزوا من خلالها الرؤية الإلهية المطلقة، التي تقوم على حقائق إلهية نهائية، ترى أن المعنى موجود سلفاً قبل وعينا به، وبالتالي ترفض إدخال الذاتية الإنسانية في الحصول عليه (2). وهذا راجع إلى فكرة أن العقل البشري لا يقيم تفاعلاً مع المحيط الخارجي دون أن يدرك معطياته ويفهمها اعتماداً على خبراته وتجاربه، وتقوم عملية الفهم بربط محتوى المعلومة التي يستقبلها الفرد بالخبرات المكتسبة أو ما يملكه هذا الأخير في دماغه من معارف ومعلومات سابقة وهو ما يقوم عليه المعنى في الدلالة العرفانية، أي ربط الألفاظ بالخلفية المعرفية التي يملك لها الفرد تصوراً في الذهن، لتساعده على فهم الأشياء ومعالجتها

1 - محمد الصالح البوعمراني: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص 07.

2 - ينظر: صليحة شنيح، ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، مجلة فصول النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، مج: 25، العدد 100، 2017، ص 389.

عرفانيا، إذن للفهم دور بالغ الأهمية يكمن في أنه يحيل إلى قدرة المتلقي على حُسن تصور المعنى الذهني وجودة استنتاجه (1).

- الخيال:

يعتبر الباحثون في علم الدلالة العرفاني أن "الخيال" هو جوهر المعنى والتفكير الإنساني، وهو الذي يقوم ببنية جزء كبير من نظامنا التصوري، والبنى التخيلية هي المشترك الذي نحاول من خلاله فهم العالم من حولنا وإدراكه بطريقة تسمح لنا بالتواصل والتخاطب فيما بيننا، إذن لا يمكننا فهم بعضنا البعض والتواصل معا إلا إذا كان هناك جزء مشترك من الخيال بيننا يسمح لنا بالتفاهم والتوصل للمعنى.

ويرتبط مفهوم الخيال عند علماء الدلالة العرفانية بمفهومين هما البنية التصويرية والخطاطة.

- البنية التصويرية:

تعد البنية التصويرية من أهم المباحث التي تميز بها البحث اللساني العرفاني، حيث يرى الداليون العرفانيون أن كل العمليات الذهنية تتم على مستوى "البنية التصويرية"، ويضيفون إلى ذلك أن هناك مستوى واحدا للتمثيل الذهني وهذا المستوى هو البنية التصويرية، حيث تتسجم فيه المعلومات اللغوية والحسية والحركية (2).

يقرر "راي جاكندروف Ray Jackendoff" بأن البنية التصويرية "عبارة عن نظام من التمثيلات الذهنية الذي بواسطته يوجد التفكير والتخطيط وتكون النوايا، وهذا النظام الذهني هو المسؤول عن فهم الجمل في السياق وعن إدماج العناصر البراغماتية والموسوعية أو عناصر المعرفة بالعالم" (3)، وبالتالي "البنية التصويرية" عند الباحثين العرفانيين هي كل المعارف التي تتم صناعتها في الذهن ويكون لها علاقة بتجارب الإنسان في حياته اليومية.

1 - ينظر: صليحة شنيح، ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، ص 299

2 - محمد غالي: النظرية اللسانية والدلالية العربية المقارنة، ص 33.

3 - راي جاكندوف: علم الدلالة والعرفانية: تر: عبد الرزاق المنور، المركز الوطني للترجمة، تونس، د ط، 2001، ص

ومنه فالبنية التصويرية ترتكز على معرفتنا بكل أنواع الدلائل واستعمالها متعلقة بتجارينا الفكرية والجمالية والحسية مع مختلف ما يوجد في الواقع كالحجم والصوت...الخ، ومن هنا فهي تهتم بمختلف أنساقنا الإدراكية.

والبنية التصويرية هي البنية الدلالية عند "جاكاندروف"، لأنه ينطلق من فكرة مفادها أن المعنى بنية ذهنية في الدماغ أي إنه تمثيل ذهني يُشَفِّرُ المعلومة المُدْخَلَة إلى الدماغ⁽¹⁾.
- الخطاطة:

الخطاطات عبارة عن أبنية معرفية مجردة تساعد الفرد على بناء الاستدلال المناسب وتوفر له ما هو مسلم به من المعلومات، لتيسر بذلك الاهتداء إلى المعاني. وتقوم الخطاطة على الصورة الذهنية، وتمثل قالباً عاماً مجرداً وثابتاً ذهنياً، فالصورة تمثيل للموضوع، والخطاطة هي القالب الثابت، وقد اجتمع هذان الاثنان تحت مصطلح واحد وهو "خطاطة الصورة"⁽²⁾.

إذن فالخطاطة هي قالب ذهني يعمل على تنظيم معارفنا وتجارينا بواسطة التصوير أو التمثيل للمفاهيم والأشكال وذلك عن طريق خطاطات. ويمكننا أن نستشهد بالمثل التالي: فلو أن شخصاً قال: "ذهب زيد إلى عرس البارحة، وقام صباحاً على ألم في رأسه، يذهب بنا الظن تلقائياً إلى أن نربط ألم الرأس بسببه وهو السهر بما يصاحبه من غناء ورقص، (...) فقد يكون لسبب آخر ليس له علاقة بالرقص والغناء، كأن يُصاب بتخمة أو بوعكة صحية نتيجة تناول طعام فاسد مثلاً، أو بنزلة برد، وإنما يكون ذلك بحكم أننا نملك معارف سابقة تربط ما بين العرس والحال التي نصبح عليها، ونجد أن هذا النوع من الربط غير متوفر على مستوى الجملة السابقة، وإنما يقوم على أساس خطاطة تنتظم وفقها المعلومات في أذهاننا توجه استدلالنا"⁽³⁾.

¹ - ينظر: راي جاكاندروف: علم الدلالة والعرفانية، ص 15.

² - ينظر: وهيبه بوشليق، نظرية الأفضية الذهنية المفهوم والإجراءات، مجلة العمدة، العدد الرابع، 2019، ص 37.

³ - الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفانية، ص 164.

- التجسيد:

يقوم الفكر الدلالي عند العرفانيين على فكرة مفادها أن المعنى لا وجود له بعيدا عن عالمنا المتجسد، وذلك مرده إلى أننا نفهم الأشياء من حولنا انطلاقا من حضورنا الجسدي في الزمان والمكان ومسافة وطريقة وزاوية الإدراك هي التي تحدد طبيعة فهمنا للشيء المدرك، وكل متكلم يبحث عن المعنى يُعَدُّ نفسه محور العالم، لأن ذاته المتجسدة في العالم حضوريا وزمانه ومكانه هي كلها مرجعيات عرفانية تحدد وجود الأشياء، وطريقة كلامه عليها (1).

ومن هنا نجد أن الإنسان تعودّ أد يدرك الأشياء من خلال نظرتة لها، فالأشياء التي يراها يستطيع إدراكها وتحديد معانيها، والأشياء التي لا يراها يحاول أن يجسدها في شكل أشياء مادية، محسوسة يتعامل معها، إذن يُعَدُّ التجسيد ضرورة للفهم وهو صورة من صور الخيال كذلك التي تعين الإنسان في إدراك ما يحيط به (2).

ما يمكننا قوله كخلاصة هو أنّ المعنى في علم الدلالة العرفاني لا يمكن إدراكه أو الوصول إليه إلا عن طريق هذه المداخل الأربعة، والتي تعد في الحقيقة بمثابة المفاتيح التي تحرك العقل من أجل الإدراك والتواصل بين الإنسان وعالمه، فنحن لا نستطيع إدراك من حولنا إلا من خلال موقفتنا له ومن ثم محاولة فهمنا وتخيلنا له ثم يمكننا رسم صورة تجسيدية واقعية من خلالها نصل إلى المعنى وندركه.

¹ - محمد الصالح البوعمراني: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص 13.

² - المرجع نفسه، ص 14.

المبحث الثاني: نقطة التقاء التداولية مع العلوم العرفانية في دراسة المعنى:

تلتقي التداولية مع العلوم العرفانية عند نقطة واحدة وهي كيفية اشتغال الدماغ عن طريق آلية التأويل محاولا التوصل إلى المعنى، وبالتالي فكل منهما يقوم عمله على كيفية اشتغال الدماغ.

فالعلوم العرفانية حقل واسع يشمل كل العلوم التي تهتم بالبحث في كيفية اشتغال الدماغ البشري، حيث يقول "جاك موشلار" **Gak Moshlr** "في هذا الصدد: " تهدف العلوم العرفانية إلى تبيان كيفية اشتغال ذهن البشري"(1).

وكذلك التداولية فهي تبحث في كيفية اشتغال الدماغ، لأنها تستعين بهذا الأخير من أجل تحقيق غرضها الأساسي، وهو التواصل والتفاهم بين الناس، وهو أمر لا يتم إلا عن طريق الحوار والتفكير والتواصل.

إضافة إلى ذلك فقد واكب ظهور التداولية ظهور العلوم المعرفية في فترة زمنية واحدة مما يُفهم منه أنهما يمثلان توجهاً بحثياً ومنهجاً علمياً كان سائداً في تلك الحقبة، وكان هذا التوجه يُعنى بدراسة عمل الدماغ البشري وكيف أنه يحقق عملية التواصل، وقد أضاف **جاك موشلار** إشارة إلى أن النظريتين التداولية والعرفانية نشأتا في وقت واحد حيث يقول: "يكاد تاريخ ميلاد العلوم العرفانية يتطابق مع تاريخ ميلاد التداولية، فلقد ألقى **أوستين** محاضرات **وليام جيمس** سنة 1955م وفي عام 1956م، صدر بعض المقالات التي شكلت انطلاقة العلوم العرفانية"(2).

إن ما يمكن قوله في هذا الصدد هو أن هناك توافقاً فكرياً وتاريخياً بين هذين النظريتين، وهذا يدل على أن هناك نقاط التقاء بينهما تكمن خاصة في كيفية دراستهما للمعنى انطلاقاً من تشكله في ذهن وصولاً إلى تحقيقه في المنجز اللغوي أثناء التواصل.

1 - آن روبول و **جاك موشلار**: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 28.

2 - المرجع نفسه، ص 57.

1-ملامح العرفانية في مشروع مبدأ التعاون لدى "بول غرايس":

يُعدُّ مبدأ التعاون عند "بول غرايس" من الركائز الأساسية التي تقوم عليها التداولية، ويُقر غرايس أن هذا المبدأ التداولي هو المنطلق الأول في عملية الحوار، ويُؤسِّس هذا المبدأ داخل التبادل التعاوني حول مقاصد المتكلمين المشاركين في عملية الحوار، وكما هو معلوم أن هذه المقاصد ليست صريحة بين أطراف العملية التواصلية، وإنما هي عبارة عن عناصر خفية تُعتمدُ في شكل اتفاق ضمني من طرف المتحاورين الذين يحاولون إنجاح عملية الحوار بشكل يُسهِّل الوصول إلى المقاصد والمعاني التي يرمي إليها كل طرف في العملية (1).

وقد وضح "غرايس" أن هذا المبدأ يُوجب أن يتعاون كل من المتكلم والمخاطب من أجل تحقيق الهدف المرجو من الحوار، وهذا معناه أن مبدأ الحوار هدفه من البداية تحقيق القصد منه، وهذا يشترط فيه كل من المتكلم والمخاطب على حد سواء.

يرى غرايس أن العملية التواصلية تقوم على مبدأ التعاون بين المتحاورين، وترتبط بقواعد حوارية تضبط عملية الحوار، إذن فالعملية الحوارية هي ممارسة لغوية وهذه الأخيرة نشاط عقلائي يهدف إلى التعاون بين المتحاورين، لذلك كان لنا من الضروري افتراض قواعد صارمة وصادرة عن اعتبارات عقلية، تنظم السلوك الحوارية وتجعله سلوكاً ناجحاً (2).

وهذه القواعد أو الحِكم كما يُسميها غرايس التي يقوم عليها مبدأ التعاون هي كالاتي:

-قاعدة الكم:

تعتبر مفهوما دلاليا القصد منه هو تخصيص كمية الأخبار الذي يجب أن تلتزم به العملية الكلامية أثناء الحوار (3).

وتقوم هذه القاعدة على شرطين هما:

- اجعل مساهمتك على مقدار من المعلومات المطلوبة منك وذلك وفق التبادل الراهن.

1 - ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص 238.

2 - ينظر: عادل فاخوري: محاضرات في فلسفة اللغة، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، ط1، 2013م، ص 15.

3 - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 46.

- لا تجعل مساهمتك في الحوار أكثر من المطلوب.

وهذا معناه الابتعاد عن الإطناب والاستطراد في الحوار، ومن بين ما تنص عليه هذه القاعدة هو أن عملية الحوار يجب أن تكون مفيدة، ويجب أن يكون الحوار دالا على المطلوب، بمعنى أنه لا يفيد أكثر مما ينبغي، وبالتالي فإن الملاحظ لهذا المبدأ أو القاعدة يجدها تركز على الاقتصاد في التلفظ اللغوي، وعدم بذل الجهد الذهني أكثر من اللازم في عملية الخطاب التداولي للحوار، إلا بقدر ما يستطيع إفادة المتلقي.

-قاعدة الكيف:

والقصد الأساسي من هذه القاعدة هو تجنب الادعاء والكذب أو محاولة إثبات الباطل، لأن المتكلم لا ينجح في حوار بما يراه كذبا وغير إقناعي لأنه لا يستطيع البرهنة والتدليل عليه. (1).

وهذا معناه أن المتكلم يهتم بجانب الصدق في تواصله مع غيره، فعلى المتكلم أن يؤمن بصدق قوله حتى يقابله المخاطب بصدق في الإجابة، وبالتالي يكون هناك انسجام بين الطرفين المتحاورين، وتقوم هذه القاعدة على شرطين أساسيين هما:

-لا نَقُلْ ما تعتقد أنه كاذب.

-لا نقل ما لا نستطيع البرهنة على أنه صادق.

-قاعدة الملاءمة أو المناسبة:

تختلف هذه القاعدة عن القاعدتين السابقتين، كونها تُجَنَّب متكلم اللغة من بعض المشاكل التي قد تتعلق بمعرفة طرق افتتاح الحوار مثلا، وكذلك معرفة الوقت الذي يكون فيه التدخل مناسبا في العملية الحوارية، وكذلك يُمكن اتباع هذه القاعدة في الحوار من اكتساب الطرق التي بفضلها قد نَغَيَّر الحوار أو نختمه (2)، وتقوم هذه القاعدة على شرط واحد وهو "أن تجعل مشاركتك ملائمة".

¹ - ينظر: محمود عكاشة: النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013، ص 19.

² - ينظر: عادل فاخوري: محاضرات في فلسفة اللغة، ص16.

إنَّ ما تؤكد عليه هذه القاعدة هو أن يكون الكلام مناسباً وملائماً لموضوع الحوار؛ أي أن يكون ذا دلالة صريحة مباشرة.

-قاعدة الجهة:

تختلف كذلك هذه القاعدة عن القواعد السابقة كونها لا تعطي عناية لما قيل، وإنما تعنى بكيفية عما ننوي التعبير عنه (1)، وتقوم على شرط أساسي وهو: "كن واضحاً" وهذا الأخير يتفرع إلى عدة شروط أهمها:

- لتحترز من الغموض؛ وذلك بواسطة الابتعاد عن المفردات التي تحمل معاني مختلفة في سياقات مختلفة.

- تجنب الالتباس؛ والمقصود به أن يكون خطابنا واضحاً في قصده.

- ليكن تدخلك مرتباً ومنظماً، وذلك عن طريق ترتيب المفردات في الخطاب وعرض ما يريده المتكلم من معلومات وفق ما يطلبه الآخرون.

- ليكن تدخلك موجزاً، وذلك من خلال التركيز على ما يجب أن يقال فقط (2).

- ولتوضيح دور هذه القواعد في ضمان سلامة العملية الحوارية نستشهد بالمثال التالي: جرى بين أم وابنتها حوار ومثلنا الحوار بالحرفين "أ" و "ب"

- الأم: أين علبة الكبريت؟

- الابنة: على الطاولة.

نلاحظ أن هذا الحوار القصير قد حقق مبدأ التعاون ورُعي فيه جميع القواعد المتفرعة

عن هذا المبدأ، حيث نجد:

قاعدة الكم: استخدمت الابنة القدر المطلوب من الكلمات دون زيادة أو نقصان في إجابتها عن السؤال.

¹ - ينظر: جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016 م، ص102.

² - ينظر: سالم محمد يزيد، الاستلزام التخاطبي في ضوء المقاربة الوظيفية لأحمد المتوكل، مجلة اللسانيات، العدد 24،

2017، ص 241.

قاعدة الكيف: كانت الابنة صادقة

قاعدة الملازمة: أجابت إجابة لها صلة وثيقة بالسؤال الذي طرحته الأم.

قاعدة الجهة: أجابت إجابة صريحة وواضحة.

إذن لقد توفر المثال الذي قمنا بذكره على مبدأ التعاون وحقق جميع قواعده التي يقوم عليها، وهذا لم يؤدي إلى استلزام حوارى، لأن الابنة قالت ما تقصده، وبالتالي استطاعت الأم فهم ما تقصده بشكل مباشر وصريح وواضح.

ويبقى الهدف المتوخى من وضع هذه القواعد الأربعة التي تضمن حصول التعاون، هو ضبط عملية الحوار من خلال اتباعنا لها، مع الحفاظ على المبدأ العام الذي يحكمها، وهذا يُسهل علينا عملية الوصول إلى مقاصدنا بكل وضوح، وبذلك تصبح المعاني صريحة ومباشرة، وأي خرق لقاعدة من هذه القواعد فإن الحوار ينتقل من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم وهذه النقطة توجهنا إلى "الاستلزام الحوارى".

إذن إن احترامك هذه القواعد الأربعة كفيل بتحقيق تواصل مثالي بين الأفراد، إلا أن هذا التواصل صعب إن لم نقل يستحيل تحقيقه في المحاورات التي تتم بين الأفراد يوميا، إذ نجد أن اللغة غالبا ما تعتمد كأداة تموية وممارسة للنفاق الاجتماعى، حيث يستطيع المتكلم أن ينفي قصده الذي قد يعتقد المتلقي أن المتكلم قد قصده من كلامه، كما يمكن للمتلقي بدوره الادعاء بأن فهمه لما تلفظ به المتكلم لم يتجاوز حدود المعنى المباشر من المنجز اللغوي الذي سمعه (1).

تكمن القيمة الحقيقية للقواعد التي تحقق مبدأ التعاون من منظور "غرايس" في أنها تسمح باستدلالات تتعدى المضمون الدلالي للعبارات التي يتم التلفظ بها من قبل المتكلم في عملية التماور.

¹ - ينظر: حسن بدوح: المحاوره - مقارنة تداولية، ج2، ص 165.

ويقتر "غرايس" أن أي فشل يحدث في أي عملية حوار لا ينسب فيه سبب الفشل للحوار في نفسه وإنما يعود الفشل في ممارسة قواعد "مبدأ التعاون" وتطبيقها على مستوى المنجز اللغوي ولتوضيح هذه الفكرة نستشهد بالمثل الآتي:

-سأل مدير مدرسة تلميذا فقال: " أين الأستاذ؟

-فأجاب التلميذ: "هناك محفظة سوداء أمام قاعة المطالعة".

إذا تأملنا هذا المثل فسنجد أن جواب التلميذ إذ أخذناه كمنجز لغوي يحمل معنى صريحا لا يوافق سؤال المدير، لأنه خالف في إجابته قاعدة "الكم والملاءمة"، لكن هذا لا يعني أنه لا يعطي أهمية في جوابه لما قاله المدير، وهنا لا بد على السائل أن يجد علاقة بين الأستاذ ومكان وجود المحفظة السوداء، فإذا افترض المدير أن الأستاذ يملك محفظة سوداء استلزم من قول التلميذ أن الأستاذ في قاعة المطالعة.

-أمثلة توضيحية في حالة خرق إحدى قواعد مبدأ التعاون:

لقد أشرنا في حديثنا سابقا أن هناك بعض المتكلمين الذين يلتزمون بقواعد الحوار الأربعة المذكورة سابقا، في حين قد يخرج البعض الآخر عن بعض هذه القواعد، مما يُشكل ذلك انتقالا من المعنى الصريح إلى معنى مستلزم نتج عن هذا الخرق لإحدى القواعد وهذه أمثلة تطبيقية تبين خرق إحدى القواعد الأربعة:

-خرق قاعدة الكيف:

جرى حوار بين تلميذ وأستاذه وكلاهما إنجليزي:

-قال التلميذ: طهران في تركيا، أليس هذا صحيح يا أستاذ؟

-فقال الأستاذ: طبعاً ولندن في أمريكا!

إن الملاحظ لهذا الحوار يجد أن "الأستاذ" في جوابه قد قام بخرق قاعدة الكيف التي تقتضي منه ألا يقول إلا ما يعتقد أنه صائب، وأن لا يقول ما لا يملك عليه دليلا، وقد خرق الأستاذ هذا المبدأ ليُبين "للتلميذ" أن إجابته غير صحيحة، من أجل تأنيبه على جهله لأمر واضح كهذا، و"التلميذ" هنا قادر على الوصول إلى هدف الأستاذ ومراده لأنه انجليزي ويعلم

أن لندن في انجلترا وليست في أمريكا، وهذا ما يبين للتلميذ أن الأستاذ يقصد شيئاً آخر من خلال قول هذه العبارة اللغوية، وبالتالي فالأستاذ هنا يقصد عكس ما تقوله الكلمات، وهو معناه أن قول التلميذ غير صحيح وهو يستحق تأنيباً على فعله هذا.

-خرق قاعدة الكم:

جرى حوار قصير بين أم وابنها:

-قالت الأم لابنها: هل راجعت دروسك ورتبت أدواتك في المحفظة.

-يجيب الابن: رتبت أدواتي في المحفظة.

إن الملاحظ لهذا الحوار الذي دار بين الأم وأبنها يجد أن فيه خرقاً لقاعدة الكم، لأن الأم قامت بسؤال الابن عن شيئين: الأول هو مراجعة الدروس والثاني هو ترتيب الأدوات، فأجاب الابن عن السؤال الثاني ولم يجبه عن الأول، وبالتالي كانت إجابة الابن ناقصة وأقل من المطلوب، وتفهم الأم من خلال هذه الإجابة أن الابن لم يراجع دروسه، فالملاحظ أن الابن لم يجب أمه "بنعم" حتى لا تشتمل إجابته شيئاً لم يقم به، ولم يرد مواجهتها بتهأونه في الدراسة، وهنا حدث خرق لقاعدة الكم تمثل في أن الابن لم يجب على السؤال بالقدر الكافي من الكلمات.

-خرق قاعدة المناسبة أو الملاءمة:

جرى حوار قصير بين رجلين:

-الرجل الأول: أين زيد؟

-الرجل الثاني: أجاب قائلاً: ثمة سيارة سوداء تقف أما المقهى.

نلاحظ في هذا الحوار أن ما قاله الرجل الثاني عن تواجد سيارة سوداء أمام المقهى هو الجملة بمعناها الحرفي لا تعتبر إجابة عن سؤال الرجل الأول، وبالتالي فهذا الحوار خرق مبدأ الملاءمة في علاقة الكلام بالموضوع أو علاقة السؤال بالإجابة، وهذا ما يدفع المتلقي إلى التخمين في العلاقة التي تربط بين سؤاله عن زيد ووقوف السيارة السوداء أمام المقهى، يوصله هذا التخمين إلى أن الرجل الثاني الذي أجابه أراد أن يبلغه أنه إذا كانت عند زيد

سيارة سوداء فلعله في المقهى، وربما تكون تلك سيارته، وبالتالي عند خرقنا لهذه القاعدة نجد أنَّ الحوار خرج من معناه الصريح، وربما تكون تلك سيارته، وبالتالي عند خرقنا لهذه القاعدة نجد أن الحوار خرج من معناه الصريح إلى معنى مستلزم.

-خرق قاعدة الجهة:

جرى حوار بين شقيقين:

-الأول: ماذا تريد؟

-الثاني: قم واتجه إلى الباب، وضع المفتاح في العقل ثم أدركه ناحية اليسار ثلاث مرات، ثم ادفع الباب برفق.

يتضح لنا من خلال ما قاله الشخص الثاني أنه قام بخرق قاعدة من قواعد الجهة وهي الإيجاز في الكلام، إذ كان بإمكانه الاكتفاء بالقول: افتح الباب، وإذا أمعنا النظر في هذا الحوار من جهة تحقق قواعد الحوار الأخرى، نجد أن المتكلم كان يريد به وجهاً غير ما يظهر في المنجز اللغوي، قد تكون مؤاخذه الفاعل على التكاثر والبطء الذي يجعله لا يسرع في القيام بعمل بعض الأشياء.

إذن ما يمكن قوله عن هذه القواعد التي يركز عليها مبدأ التعاون هو أنها تُسهم في تسهيل التوصل إلى المعنى المراد من وراء الحوار، وخرق قاعدة من هذه القواعد إنما الغرض الأساسي منه هو الوصول بالحوار إلى إفهام المتكلم المتلقي ما الغاية من الحوار، فإن كان المتكلم يقصد أن للكلام معنى فهو يعني من جانب المتلقي أن للكلام قيمة أو قيم متعددة⁽¹⁾.

¹ - ينظر: حافظ إسماعيل علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، ص 124.

2-التداولية وتفسير المعنى انطلاقاً من العمليات الذهنية:

2-1-اشتغال "غرايس" على الدماغ انطلاقاً من الحالات الذهنية أو كما يسميها

النوايا:

2-1-1- قدرات الدماغ من وجهة نظر "غرايس":

قام "جاك موشلار" وهو أحد الباحثين في التداوليات العرفانية، بعرض تصور "بول غرايس" عن القدرات الذهنية لدى الفرد فقال: " تكمن طرافة غرايس في أنه خصص حيزاً واسعاً للظواهر الاستدلالية بعدما أهملها منظرو الأعمال اللغوية، وفضلاً عن ذلك ارتكز غرايس بدرجة كبيرة على إمكانييتين لم ينصفهما هؤلاء المنظرون وهما: القدرة على اكتساب حالات ذهنية، والقدرة على نسبتها للآخرين، وقد بيّن غرايس أن القدرة على تأويل الأقوال بكيفية تامة ومرضية رهن هاتين القدرتين وخصوصاً القدرة الثانية"⁽¹⁾.

إذن ما يمكن قوله هو أن "غرايس" قد ارتكز في تقديمه لعمله التداولي على فكرة أن كل فرد يمتلك قدرتين هما: القدرة على اكتساب حالة ذهنية، والقدرة على نسبة هذه الحالة الذهنية للآخرين، ومنه رأى أن قدرتيه على تفسير الأقوال وتأويلها مرهون بالدرجة الأولى بهاتين القدرتين، القدرة على اكتساب حالات ذهنية، لأنها هي ما يسيطر على فكره ويوجهه تبعاً لحالاته الذهنية، ومنه يصبح ذا توجه ما نحو كل أمر في عالمه، وهو بهذا يكون قد حدد توجه دماغه نحو هذا الأمر، وبالتالي يفكر ويخمن انطلاقاً من هذه الحالة الذهنية.

ولقد أشار "جاك موشلار" إلى هاتين القدرتين اللتين تكلم عنهما غرايس وذلك من خلال قوله: " يشدد غرايس في التواصل اللغوي على نوايا القائل وعلى فهم المخاطب لهذه النوايا"⁽²⁾.

يرى غرايس أن أساس كل عملية تواصل هو معرفة "نوايا" كل من المتكلم والمخاطب، وهذه العملية هي عبارة عن عملية عقلية يقوم بها الدماغ في حالتين هما:

¹ - آن ريبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 85.

² - المرجع نفسه، ص 95.

- الأولى: التبصرة بالنفس من خلال تحديد وفهم الفرد لحالته الذهنية والنفسية.

- والثانية: تتم بفهم أقوال الآخرين لتتمكن من معرفة نواياهم وسلوكهم.

وبالتالي فإن غرايس يرى أن هذه الشروط التي تضمن نجاح التواصل تقوم أساسا على القدرة على فهم النفس وفهم الآخرين كذلك، والمقصود هنا، هو معرفة كيفية تفسير وتأويل أقوال المتكلم والمخاطب ومعرفة نواياهم، وهذا في حقيقة الأمر عملية عقلية يقوم بها الدماغ. وهذا يدل على ملمح عرفاني في عمل غرايس لأنه توجه بالبحث من الجانب التداولي المتعلق بالتواصل إلى جانب البحث في القدرات الذهنية التي تحكم عملية التواصل وهذا بغرض معرفة ما تخفيه نوايا وأفكار كل من طرفي الحوار "المتكلم والمخاطب".

2-1-2- الاستدلال عند غرايس:

لقد أدرك غرايس من خلال اشتغاله في الجانب التداولي أهمية قضية الاستدلال وبالتالي نجده قد خصص لها حيزا كبيرا في دراسته، وهذا راجع إلى كونها تعد نتيجة لعمل الذهن في الوصول إلى نتائج كل عملية تفكير يقوم بها العقل البشري، فخصص انطلاقا من هذا تركيزه على قدرتين يتميز بهما العقل البشري وهما:

-القدرة على التعايش مع الحالة الذهنية الراهنة، وهي قدرة تمكن الإنسان من التفاعل مع الآخرين انطلاقا من حالته الذهنية الراهنة أي انفعاله الآتي: (غضب، فرح، حزن).

-أما القدرة الثانية فهي فهمه للحالة الذهنية للآخرين، ويستطيع بذلك نسبة حالة ذهنية ما إليهم بناء على فهمه لهم (1).

وبناءً على هاتين القدرتين اللتين يمتلكهما عقل الإنسان، يستطيع تأويل الأقوال التي يسمعها، إذن إنَّ عملية التواصل اللغوي عنده تقوم على فهم ما في نفس المتكلم والسامع معا ونواياهما التي لا تبدوا ظاهرة إلا لمن يملك هاتين القدرتين.

ومنه فإن الاستدلال هو عملية تأويل القول، وهو يُخْرِجُ القول من دائرة اللغة، لأنه ليس لغة بل هو عملية عقلية غايتها الاستدلال على صحة القول أو الحدث، وبالتالي فهذه هي

¹ - ينظر: عطية سليمان أحمد: اللسانيات العصبية، الأكاديمية الحديثة للنشر الجامعي، القاهرة، ط1، 2019م، ص 85.

نقطة عمل التداولية كآلة غرضها تأويل القول، فنستنتج منه وتستدل بواسطة مضامينه على المعاني التي في القول وما يُفهمُ منه، وعليه فإن تأويل الأقوال، لا تخص اللغة بل هي عمليات عامة وغير مخصصة وكلية وغير محددة ثقافيا ويشارك فيها الجميع، لأنها قدرة داخل أمخاخ البشر (1).

2-1-3- القدرة الذهنية ونوايا القائل:

إنَّ النوايا التي تستقر في نفس المتكلم والمتلقي لها دور كبير في عملية التواصل، ولقد جعلها الله ﷻ في قرار مكين داخلنا، واختص هو وحده بمعرفتها، لأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لكن العقل البشري وبقدرة من الله ﷻ يستطيع استخدام قدراته الكامنة على التفسير والتأويل والاستنتاج، وهذه العملية التي يقوم بها العقل هي في الحقيقة محاولة منه لمعرفة نوايا القائلين للكلام في حواراتهم معنا، وهنا نجد أنفسنا أما الجانب التداولي الذي يحاول دراسة ما تعلق بهذه الأمور الذهنية (2).

لهذا نجد أن غرايس قد شدد في التواصل اللغوي على نوايا القائلين، وعلى فهم المخاطب لهذه النوايا، لأنه اعتبر أنَّ أساس التواصل بين الناس يقوم على فهم نوايا كل من المتكلم والمخاطب معاً، وقد انطلق في نظريته هذه من تساؤله: كيف أتواصل معك وأنا لا أستطيع فهم نواياك وأنت لا تفهم نواياي؟

ومن هنا يرى غرايس أن المعنى في عملية التواصل مرتبط بعدة عمليات عقلية تتداخل فيما بينها، وهذه العمليات بعضها يتعلق بالمتكلم، وبعضها يرتبط بالسامع والبعض الآخر يرتبط بالحدث الذي تجرى فيه عملية الحوار أو التواصل، وهي كالاتي:

- المتكلم: يرتبط المعنى عنده بشيئين هما:

- المعنى الذي في نفسه ويريد إخفائه عنا
- المعنى الذي يريد إيصاله للسامع.

1 - عطية سليمان أحمد: اللسانيات العصبية، ص 85.

2 - المرجع نفسه، ص 95.

- السامع: يرتبط المعنى عنده بشيئين هما:

- المعنى الذي وصل إلى دماغه وفهمه، وكذلك كل السامعين.
- المعنى الذي يرتبط بالتأويل الخاص لهذا السامع والذي يختلف عن سامع آخر يجلس معه في نفس المكان.

- الحدث: يرتبط الحدث بالمعنى في عدة جوانب وهي:

- الزمان والمكان اللذان تم فيهما الحدث؛ فهما يمثلان خلفية الحدث وهما نقطة فاصلة في فهم المعنى.
- البيئة الاجتماعية: تمثل الأساس الذي انطلق منه الحدث.
- الحالة النفسية للمتكلم والمستمع: وهي أساس تفسير الحدث وتأويله للتوصل الى المعنى المراد (1).

2-2- علاقة نظرية الملازمة عند "غرايس" في المنظور التداولي بنظرية المناسبة عند

كل من "دان سبيربر Dan Sperber وديردر ولسن Deirdre Wilson":

يعتبر كثير من الباحثين في المنظور التداولي والعرفاني أن نظرية المناسبة التي أوجدها كل من "سبيربر وولسن" في الميدان العرفاني هي في الحقيقة امتداد لنظرية غرايس وبصفة خاصة لمبدأ التعاون في الحوار ومبادئه، وهذا التطور راجع في الحقيقة الى تطور وتحول المقاربة من المبادئ اللسانية إلى العمليات الذهنية في عملية التواصل التفاعلي، وكذلك راجع إلى الاهتمام بكشف آليات اشتغال ذهن البشري في التفاعل الخطابي (2).

إذن فقد انطلق كل من "سبيربر وولسن" من آليات الاشتغال عند "غرايس" ليتجاوزها بعد ذلك إلى عمل الذهن انطلاقاً من نظرية عالم النفس العرفاني جيرى فودور Jerry Fodor، ومن هنا فقد استمدت نظرية سبيربر وولسن أسسها من علم النفس العرفاني، حيث

1 - عطية سليمان أحمد: اللسانيات العصبية، ص 96

2 - صلاح الدين يحيى: التداولية العرفانية قبل التداولية-مدخل الى التأسيس العرفاني، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج: 09، العدد 4، 2020 م، ص66.

انطلقا من هذا الباب ليقدم مبادئ رئيسة وإجراءات أساسية في معالجة ذهن البشري، وقد تأسست هذه النظرية انطلاقا من محاولة تفسير مبدأ "الإفادة" اعتمادا على منوال عرفاني بديل، وهو المنوال الاستدلالي.

وقد انطلق الباحثان ضمن هذا التوجه من اختزال القواعد المتحكمة في التواصل اللغوي التي أقرها "بول غرايس" وحصرها في قاعدة الإفادة، وهذا راجع إلى مركزية مبدأ الإفادة في عمليتي تأويل الأقوال وتلقيها.

وقد شكلت أفكار سبيربر وولسن حلقة وصل بيت التداولية والعرفانية وذلك من خلال ربطهما لأعمال "جيرى فودور" في علم النفس العرفاني، ونظرية "بول غرايس" في التواصل اللغوي انطلاقا من البحث في العمليات الذهنية التي يقوم عليها التواصل.

وفي هذا ذهب "ذهبية حمو الحاج" إلى القول: "يصل الجانب المعرفي قمته في التداولية في أهم نظرية من نظرياتها وهي نظرية الملاءمة عند كل من سبيربر وولسن والتي ظهرت في الثمانينات انطلاقا من نقد بناء لفرضيات غرايس التي تتدرج ضمن العلوم المعرفية أو العرفانية، وتيار الفكر المعرفي الذي تنتمي إليه (1).

إذن يتضح لنا من خلال هذا القول إنه لم تكن نظرية سبيربر وولسن نقداً لنظرية غرايس في المجال التداولي بقدر ما كانت تطويرا علميا لها لما يتوافق مع معطيات علم النفي العرفاني ونظرية جيرى فودور بصفة خاصة، والعلوم العرفانية بصفة عامة.

إذن فقد تمكن هذه النظرية من إحداث تغيير جذري في فهمنا الإنساني على أساس بحثها في أنه هناك اشتغال ميكانيكي يقوم به العقل يتمثل في القدرات الذهنية (2).

وبالتالي كانت العلوم العرفانية سببا من أسباب تطور البحوث التداولية خاصة فيما تعلق بتفسير العمليات الذهنية في التواصل؛ من حيث القدرات الذهنية للمتكلم والمتلقي.

1 - ذهبية حمو الحاج: مدخل إلى التداولية المعرفية، مجلة الكوفة، العدد 9، العراق، 2014، ص 116.

2 - صلاح الدين يحيى: التداولية العرفانية قبل التداولية مدخل إلى التأسيس العرفاني، ص 68.

لقد ركز كل من سبيربر وولسن على الحالات الذهنية التي وجدا أنها تمثل عاملاً رئيساً في عمليات التواصل، لأنه قد لا تكون المقاصد التواصلية مبنوثة في الخطاب بشكل صريح فقد تكون إيماءات ضمنية أو مضمرة.

ووضح سبيربر وولسن هذه النظرة من خلال حوار تواصل في دار بين الأب وابنه قاما بتحليله، حيث اتضحت بعض تفسيرات التواصل اللغوي من تفسيرنا للحالات الذهنية التي تقوم على عملية التواصل والمثال هو كالتالي:

"يطلب أبّ ذات مساء من ابنه بعد تناول العشاء أن ينظف أسنانه"، فيجيبه الابن بكيفية تبدو غريبة وهي قوله: " لا أشعر بالنعاس أبي"، يُقرّ الباحثان أننا هنا أمام منجز لغوي يتطلب منا الدقة في تقصي معناه، فنتساءل هنا ما الذي أراد الابن قوله؟ وكيف يمكن لجملة أن تمثل إجابة لأمر والده؟ إذا كانت الإجابة "بنعم" فكيف نعرف إن كان قبولاً أو رفضاً؟ لكن، إنها بطبيعة الحال رفضاً، لأنّ الطفل لا يرغب في تنظيف أسنانه، وهو بقوله هذا يقدم مبرراً لعدم القيام بذلك، والسؤال الذي نطرحه: ما العلاقة بين تنظيف أسنانه وبين النعاس؟ وبالتالي فما استقر في ذهنه من عمليات ذهنية هو: أن تنظيف الأسنان مساء يسبق زمن الخلود إلى النوم.

لكن يرى الباحثان سبيربر وولسن أن تأويل هذه الجملة البسيطة في قول الطفل: "لا أشعر بالنعاس" قد مثلت إجابة عن أمر الأب، وهو تأويل بعيد كل البعد على أن يكون مجرد فك للرموز، إذ لا يوجد أي نظام ترميزي لساني، يُمكن من فهم هذه الجملة على أنها قبول أو تبرير للرفض، ومن هنا نجد أننا عند محاولتنا لفهم إجابة الطفل ينبغي علينا أولاً أن نقدم الفرضيات التي تخص "حالته الذهنية"، ونفترض كذلك أنّ الجملة مناسبة للمقام⁽¹⁾.

وتعتبر المنجزات اللغوية بهذه الطريقة تمثيلاً لحالات ذهنية في خطابات تفاعلية تمكّننا من تفسير عمليات التواصل عن طريق الذهن.

¹ - جاك موشلار وأن ريبول: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص71.

إذن ما يمكننا استنتاجه من هذا الطرح هو أنّ النظام اللساني لا يكفي وحده لتحديد القصد التواصلية بين المتكلم والمتلقي، والمثال الذي أوردناه سابقاً خير دليل على ذلك، فالإجابة التي قدمها الابن لوالده خير دليل على ذلك، حيث تمثلت هذه الجملة في ملفوظ خطاب غير مباشر، والملاحظ فيها أنها خرجت من سياق الملفوظ الى سياق الحالة الذهنية لمنتج هذا المنجز الذي هو الابن.

- سبيري وولسن وعلاقة النظرية المنظومية بالتداولية:

عندما توجه البحث بالتداولية نحو دراسة اشتغال الدماغ ظهرت نظرية جديدة تُعرفُ باسم "النظرية المنظومية" على يد عالَمين هما "سبيري وولسن"، حيث لاحظ هذان الأخيران أن هناك علاقة إشكال بين اللغة والتداولية نتج عن هذه العلاقة فرق، حيث نجد أن اللغة عبارة عن قواعد كلامية مضبوطة، والتداولية أداة تواصل بين الناس تستعين في ذلك بوسائل كثيرة مثل اللغة، وانطلاقاً من هذه الفكرة طرح كل منهما نظريتهما المنظومية، حيث يقول **جاك مونشالار**: " هذا التصور يثير مشكلة تتمثل في العلاقة بين العمليات اللغوية التي تختص بها اللغة، والعمليات التداولية العامة والكلية التي لا تختص بها اللغة، ولحل هذا المشكل، يدمج سبيري وولسن نظريتهما التداولية في تيار معين من علم النفس المعرفي وهو تيار المنظومية"⁽¹⁾.

ويتضح من خلال ما سبق: أن المنظومية هي نظرية تحاول الجمع بين اللغة والتداولية وهذا يُعدّ توجهاً جديداً يقوم بالجمع بين الجانب اللغوي والجانب التداولي الاستعمالي له. وقد انطلقت هذه النظرية من رؤية الفيلسوف في علم النفس المعرفي "جيري فودور Jerry Fodor" وتطورت في علم النفس المعرفي في الوقت الذي كان فيه سبيري وولسن يضعان نظريتهما التداولية، وقد أشار فودور إلى مصطلح جديد وهو "لغة العمليات الذهنية" في نظريته المنظومية، وهذه التسمية تدل على منظومة الترميز والتصور

¹ - جاك مونشالار وأن ريبول: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 72.

الفصل الرابع..... دراسة مقارنة للمعنى بين الطرحين التداولي والعرفاني

الافتراضي للحالات الذهنية، وهو بهذا اعتبر العمليات الذهنية لغة، أو هي "لغة الفكر" نظرا لما تحتويه من رموز خاصة بها.

ومن هنا انطلق الباحثان سبيرير وولسن من نظرية فودور المنظومية في علم النفس المعرفي وأسا نظريتهما في التداولية العرفانية.

المبحث الثالث: العلاقة بين التداولية والعرفانية:

1- التأويل والسياق التداولي:

يُقرُّ كل من سبيريير وولسن أن هناك دورا للسياق في تأويل العمليات الذهنية عن طريق نقطة ما يعرف "بالاستدلال"، حيث يعد هذا الأخير عملية تأويل الأقوال المنجزة عن طريق اللغة انطلاقا من سياقاتها، ويتم ذلك بواسطة عمليات استدلالية، بدءًا من المقدمات وهي عملية تسبق السياق، فالعملية الاستدلالية التي يتم عن طريقها تأويل قول ما لا تنطبق على الصيغة المنطقية وحدها بل على المعلومات الأخرى في الوقت نفسه (1).

إذن فالسياق هو حاصل معرفة موسوعية سابقة أو قد تحصل لنا انطلاقا من المحيط العرفاني؛ أي الظروف المحيطة بعملية التواصل في مقام معين، وكذلك المعلومات التي تأتينا من تأويل أقوال سابقة.

لقد سمى كل من سبيريير وولسن مجموع هذه العمليات المتعلقة بالسياق بالمحيط العرفاني الذي يمثل السياق أو المقام جزءًا صغيرًا من المحيط العرفاني، وهذا ما يجعل السياق في هذه النظرية معطى غير ثابت، لأنه يبني قولًا بعد قول، ومعلومات المحيط العرفاني تتدرج ضمن النظام المركزي الذي تتدرج تحته الذاكرة بناءً على ما طرحه كل من سبيريير وولسن. وضم هذا النظام الذي تتدرج تحته الذاكرة ثلاثة أنواع للذاكرة.

- الذاكرة الأولى: ذاكرة العمل وهي قصيرة المدى وتوافق السياق الآتي.

- الذاكرة الثانية: متوسطة المدى، وتترام فيها تأويلات الأقوال المباشرة.

- الذاكرة الثالثة: ذاكرة بعيدة المدى، حيث توجد المعلومة المفهومية.

إنَّ معلومات المحيط العرفاني كثيرة ومتنوعة ويتعذر استغلالها جميعا، لذلك يلجأ المتكلم إلى اختيار ما يناسب السياق منها، والمبدأ الذي يسمح لنا باختيار التأويل المناسب هو مبدأ المناسبة الذي يضمن سلامة القول.

¹ - ينظر: جاك موشلار وآن ريبول: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 77.

لكن تبقى عملية التأويل في حاجة إلى عملية الفهم الحرفي، ثم تليها عملية التأويل من خلال السياق الذي ورد فيه القول (1).

2- المحيط العرفاني ودوره في تحصيل المعنى في ظل المنظور التداولي العرفاني:

يُعدُّ السياق انطلاقا من المحيط العرفاني الجديد في الواقع من المهام الاستدلالية التي لا تقدم للتداولية شيئا عن الطريقة التي تتم بها هذه المقاربة الاستدلالية، وهذا يُبين أن السياق الذي ترد فيه، وعند عملية تأويلها تستبعد العمليات غير الممكنة بناءً على السياق الذي وردت فيه، من أجل اختيار المعنى الملائم بالضبط، مستعينا في ذلك بالتجارب والخبرات السابقة (2).

وفي الحقيقة فإن عملية التأويل تقوم على الجهد العرفاني الذي تقتضيه معالجة الأقوال الملفوظات على عناصر خارجية أخرى، تقع بين الاختيار والمراجعة على مدار عملية التأويل والفهم.

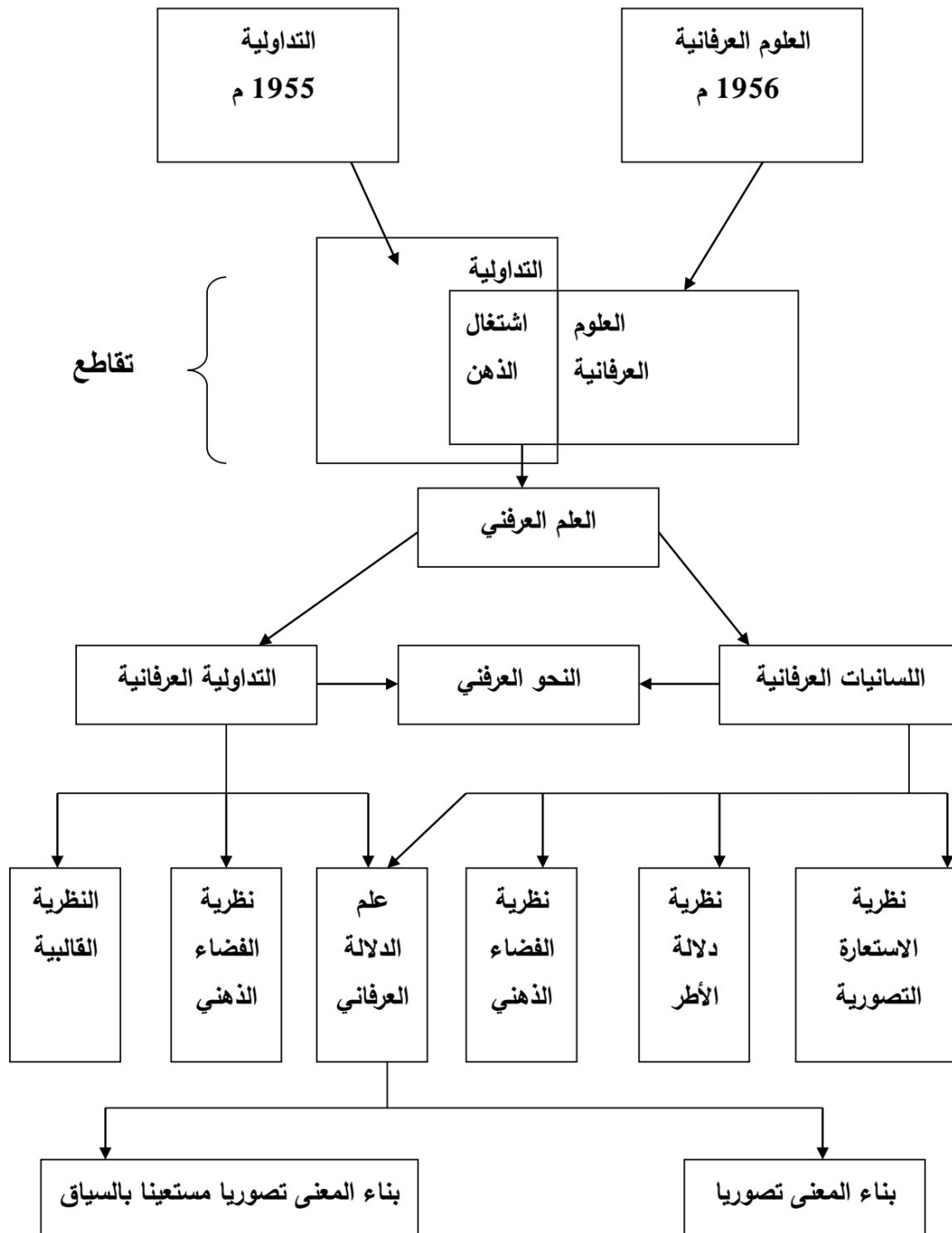
وما يمكننا قوله ختاماً هو أن المحيط المعرفي الذي أورده كل من "سبيربر وولسن" هو مفهوم جديد للسياق أي المقام، لكنه أكثر شمولاً منه لأنه يحتوي في ثناياه على كل ما يتعلق بالقول سواء على المستوى الذهني، أي كيف تُنتج البنية اللغوية أم على المستوى المحيط الواقعي الذي يعالج فيه هذا القول.

- والمخطط التالي يبين نقاط التقاطع بين العرفانية والتداولية في دراستهما للمعنى:

1 - ينظر: عبد السلام عنتر: عندما نتواصل نغير: ص 35.

2 - أ. مولز وآخرون: في التداولية المعاصرة والتواصل، فصول مختارة، تر: محمد نظيف، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،

المغرب، ط1، 2014م، ص 156



في آخر هذا الفصل وكخلاصة لما سبق ذكره وبعد أن عقدنا مقارنة بين الاتجاهين التداولي والعرفاني، واستنتجنا أوجه الاختلاف وأوجه الاتفاق، وبعد محاولة تقصي ورصد ما يشتركان فيه من خلال دراستهما للمعنى وجدنا أنهما وعلى الرغم من اختلافهما فهما تياران لسانيان متكاملان يلتقيان في نقطة جوهرية تتمثل في " المعنى " .

الختامة

لعل أهم شيء نكون قد توصلنا إليه من هذه الأطروحة هو أن المعنى ليس قواعد أو مجموعة قوانين معيارية مضبوطة شأنها شأن القوانين الصوتية أو الصرفية أو النحوية، بل يقوم على ضوابط من نوع خاص تغذيها مجموعة من المعطيات الخاصة التي لا تتضح إلا من خلال تجسيدها في موقف تواصل حي، ينتج عنه فيما بعد تصور على مستوى الذهن فنتمكن من فهم المعنى في الأبنية اللغوية المنجزة على اختلافها، وهذه المعطيات لها صلة خاصة بمكان إنتاج الكلام وزمانه وطبيعة كل من منتجه ومتلقيه معا.

وقد خالصنا بعد البحث في قضايا هذا الموضوع إلى مجموعة من النتائج جمعناها في الآتي:

1- يُعد المعنى من أكثر العلوم اللسانية أهمية، نظرا لاتصاله بالمستويات اللسانية من جهة والعلوم الأخرى من جهة ثانية، مما يُسهم في تحليل المنجز اللغوي اللساني التواصلي تحليلا موضوعيا يشمل جوانب لغوية وأخرى غير لغوية من خطابات المتكلمين لتحقيق التواصل بين بني البشر وقوفا عند تعبير "دي سوسير" الذي يرى بأنه لا قيمة للعلامات اللسانية مالم تعبر عن فكرة المتكلم وتوصلها إلى المتلقي، وبالتالي تكون المشكلة الأولى في البحث الدلالي هي المعنى منها ينطلق البحث واليها ينتهي.

2- إن التداولية تقع في مفترق طرق البحث اللساني والفلسفي وهذا ما يجعل تحديد مفهومها أمرا صعبا وذلك راجع إلى اختلاف وجهات النظر الفكرية والمعرفية.

3- إن اهتمام التداولية بدراسة اللغة جعلها تلتقي مع مجموعة من العلوم والتخصصات الأخرى ذات الصلة المباشرة باللغة، كعلم اللغة الاجتماعي وعلم النفس اللغوي وغيرها من العلوم.

4- العلوم العرفانية حقل جديد متداخل التخصصات كاللسانيات والمنطق وعلم الذكاء الاصطناعي وعلم الأعصاب والفلسفة وغيرها، وهي في مجملها تخصصات متفرعة عن بعضها البعض أسهمت بشكل كبير في قيام هذا العلم العرفاني وتمييزه بالشمول.

- 5- إن الأفعال الكلامية أفعال قصدية ولا تتحقق قصديتها إلا من خلال السياق الذي تُجز فيه وهذا يؤكد ارتباط الفعل الكلامي بالواقع.
- 6- إن تأويل المعنى في الأفعال الكلامية مرتبط بالتنوع الثقافي والاجتماعي الذي يميز أفراد البيئة اللغوية المعينة، لأنه لا يمكن أن تكون للمتكلمين نفس الكفاءات التداولية، كون هذه الأخيرة مرتبطة بالمستوى البلاغي لكل من المتكلم والمخاطب.
- 7- إن المعنى الصريح هو المعنى الذي تدل عليه العبارات اللغوية بلفظها، بينما المعنى المستلزم هو الذي يُفهم من خلال السياق الذي ورد فيه الحديث.
- 8- إنه لا يمكن فهم الدلالات المستلزمة عن الكلام بمعزل عن السياقات المقامية التي أنجز فيها الحدث الكلامي.
- 9- إن متضمنات القول تُعد من بين الظواهر غير اللغوية التي تلعب دورا هاما في إبلاغ المخاطب المعاني التي تخفيها التراكيب اللغوية الظاهرة.
- 10- إن للسياق المقامي أثر كبير في كشف المضمرات من القول، لأن السياق يُعد مرآة كاشفة للمسكوت عنه في الخطاب التواصلية أو النصي.
- 11- الاستعارة عند جورج لاكوف جزء من النظام اللساني العرفاني، وهي ظاهرة مركزية غالبية في دلالة الكلام العادي اليومي، كما تُعد جزءا من الفكر كونها تمثل أداة لتصوير العالم.
- 12- الاستعارة التصويرية هي عملية فهم لميدان تصويري ما عن طريق ميدان تصويري آخر، وهذا المفهوم جعلها قائمة على جملة من الاسقاطات والتوافقات التصويرية الجامعة لكلا الميدانين.
- 13- إن نظرية الاستعارة التصويرية سمحت لنا بإعادة النظر في الاستعارة وردها إلى أساسها الأول المتمثل في الذهن.

14- تقوم نظرية الفضاء الذهني على أساس متين يؤكد بأن نظام تفكيرنا قائم على بنائنا للأفضية الذهنية والربط بينها، وتظهر أهمية هذه النظرية أثناء التواصل اللغوي باعتباره نشاطا خطابيا، وهي بهذا تعد أحد نظريات التواصل المعاصر.

15- يتم تحليل الأقوال وفق الفضاءات الذهنية، انطلاقا من مستويين: الأول ذهني والثاني تداولي، فالأول تمثله مرحلة الترميز اللغوي لفهم الأقوال، والثاني تمثله مرحلة الاستدلال التداولي التي تتم عن طريق التأويل هذه الأقوال لأجل الوصول إلى بناء المعنى في ذهن. 16- يتم الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم حسب غرايس عن طريق خرق أحد قواعد الحوار.

17- تكمن نقطة الالتقاء بين النظريتين التداولية والعرفانية في البادرة التي بدأها غرايس في مشروعه التداولي، خاصة عند حديثه عن قواعد الحوار عامة وقاعدة الملاءمة خاصة، حيث أصبحت هذه الأخيرة نظرية جامعة لما هو تداولي بما هو عرفاني.

18- التداولية العرفانية جزء من العلم العرفاني باعتبارها الوسيط بين العالم الحقيقي والفيزيائي وعالم اللغة، ويمكن حصر مفهومها في كونها تلك المعرفة الشاملة والمعمقة لمكونات عملية التواصل.

19- إن عملية التأويل هي الفرضية الأساسية التي تقوم عليها نظرية المناسبة بصفة خاصة والتداولية العرفانية بصفة عامة لأن تجربتنا الواقعية المرتبطة بالثقافة الموسوعية هي الترجمة الفعلية للتصورات العرفانية.

وما يمكننا قوله في الأخير أن هذه النتائج ليست هي القول الفصل في دراستنا للمعنى من وجهتين هما التداولية والعرفانية، بل هي بمثابة بوابة لأفق رحب ينتظر مزيدا من البحث والتنقيب، فهذا سعي قمنا من خلاله طرح ما يتعلق بهذا الموضوع، ولا ندعي الكمال فيه وإنما هو اجتهاد نبتغي فيه أجر المجتهد، والله درّ الشاعر أبو البقاء الرندي الذي قال:

لكل شيء إذا ماتم نقصان فلا يُغَر بطيب العيش إنسان

والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم براوية ورش

المصادر والمراجع:

أولاً-الكتب العربية:

- (1) إدريس مقبول: الأسس الابدستمولوجية للنظر النحوي عند سيبيويه، إريد، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1، 2005م.
- (2) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط7، 2009.
- (3) الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفانية، الدار العربية للعلوم ناشرون، تونس، ط1، 2010.
- (4) _____: النص والخطاب مباحث لسانية عرفانية، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، ط1، 2011.
- (5) إسماعيل بن بلقاسم (أبو علي البغدادي القالي): الأمالي، بيروت، د ط، دت.
- (6) إسماعيل بن عمر (أبو الفداء بن كثير): تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.
- (7) أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، ط1، 2010.
- (8) بدر الدين محمد (أبو عبد الله الزركشي): البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، د ط، 2006.
- (9) بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012.
- (10) هشام عبد الله الخليفة: نظرية التلويح الحوارية بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 2013.
- (11) حافظ إسماعيل علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، ط2، 2014.
- (12) جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016 م.

- 13) حمدي على الفرماوي: في علم النفس المعرفي الأساليب المعرفية بين النظرية والتطبيق، دار صفاء، عمان، ط1، 1430 هـ، 2009م.
- 14) حسن بدوح: المحاور - مقارنة تداولية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2019م.
- 15) الحسن بن عبد الله (أبو هلال العسكري): الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، ط2، دت.
- 16) طالب محمد إسماعيل: مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري، الأردن، دار كنوز المعرفة، ط1، 2009.
- 17) طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، جامعة الكويت، د ط، 1994.
- 18) طه عبد الرحمان: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، د ت.
- 19) _____: اللسان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.
- 20) يحي محمد: منطق فهم النص، دراسة منطقية تعنى ببحث آليات فهم النص الديني وقبلياته، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط، 2010.
- 21) مالك بن أنس: الموطأ، مراجعة وإشراف نخبة من العلماء، دار الجبل، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
- 22) محمد بن جرير (الطبري): جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2000م.
- 23) محمد حسن حسن جبل: المعنى اللغوي-دراسة عربية مؤصلة نظريا وتطبيقيا، مكتبة الآداب، ط1، 2005.
- 24) محمد حسن علي الصغير: التفسير المنهجي للقرآن، دار الكفيل للطباعة والنشر، ط1، 1439هـ، 2018.
- 25) محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984م.

- (26) محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.
- (27) محمد علي الخولي: علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر، الأردن، ط1، 2001.
- (28) محمد الصالح البوعمراني: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، دار نهى، صفاقس، تونس، ط1، 2009.
- (29) محمد غاليـم: النظرية اللسانية والدلالية العربية المقارنة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص 2007.
- (30) _____: التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1987.
- (31) محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2002 م.
- (32) محمود عكاشة: النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013 م.
- (33) محمود بن عمر (جار الله أبو القاسم الزمخشري): تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، خرجه وعلق عليه، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009.
- (34) محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1985.
- (35) مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2005م.
- (36) منقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2001 م
- (37) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1434هـ/ 2013.
- (38) نسيم عون: الألسنية محاضرات في علم الدلالة، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2005.

- (39) نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2009.
- (40) السيد محمد الحنيني الشيرازي: تبين القرآن آية الله العظمى، دار العلوم، بيروت، ط3، 1423 هـ / 2003 م.
- (41) سعاد ميرود: الاستلزام الحواري في سورة طه، تحليل تداولي وفق نظرية غرايس، مجلة المدونة، جوان 2018، مج:05، العدد:01.
- (42) سعيد الحنصالي: الاستعارات والشعر العربي الحديث، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008.
- (43) عادل فاخوري: محاضرات في فلسفة اللغة، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، ط1، 2013 م.
- (44) عبد الإله سليم: بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقارنة معرفية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001.
- (45) عبد الأمير علي المهنا: طرائق من التراث العربي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990.
- (46) عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- (47) عبد الحميد جحفة: مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.
- (48) عبد الكريم الحسني: الدلالة المعرفية ومشروع بناء هندسة المعنى، دار كنوز للمعرفة للنشر، عمان الأردن، ط1، 1441 هـ، 2004.
- (49) عبد المجيد جحفة: مدخل إلى الدلالة الحديثة، سلسلة المعرفة اللسانية، المغرب، ط1، 2020.
- (50) عبد السلام عنتر: الكفايات التواصلية اللغة وتقنيات التعبير والتواصل، منشورات إيديسون، ط1، 2007.
- (51) _____: عندما نتواصل نغير، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، د ط، 2006 م.

- (52) عبد الرحمان بن محمد (ابن خلدون): المقدمة، تح: علي عبد الواحد الوافي، مطبعة الهيئة المصرية، ط1، 2006م.
- (53) عدنان يوسف العتوم: علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 2012 م.
- (54) عدنان بن ذريل: اللغة والدلالة آراء نظريات، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1981م
- (55) عطية سليمان أحمد: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (النموذج الشبكي، البنية التصورية، النظرية العرفانية الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي)، القاهرة 2014،
- (56) _____: الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، المكتبة الأكاديمية الحديثة، الكتاب الجامعي، مصر، 2013.
- (57) _____: اللسانيات العصبية، الأكاديمية الحديثة للنشر الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2019.
- (58) علي بن عيسى (أبو الحسن الرّماني): رسالتان في اللغة، تح: إبراهيم السامرائي، عمان، دار الفكر، 1984 م.
- (59) علي محمود حجي الصّراف: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010.
- (60) علي عبد الرحمن صالح وآخرون: ومضات في علم النفس المعرفي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013م.
- (61) عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة مقارنة حاجية للخطاب الفلسفي، الدار البيضاء للعلوم، الجزائر، ط1، 2009.
- (62) عمر بن بحر (أبو عثمان الجاحظ): البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط7، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1998.
- (63) صالح غيلوس: مباحث لسانية عرفانية، دار البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، سطيف، ط1، 2020.
- (64) _____: التلقي والإنتاج في ضوء العرفانية تنظير وإجراء، دار البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، سطيف، ط1، 2017.

- (65) صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند فلاسفة أوكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ط1، 1993م.
- (66) _____: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية، القاهرة، ط1، 2005م.
- (67) رشيد الرّاضي: الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل الى الحوار في الحوار، الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- (68) شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية، دار أبحاث الترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- (69) توفيق قريرة: الشعرية العرفانية مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعرية قديمة وحديثة، دار نهى، صفاقس، ط1، 2015.
- (70) خليفة بوجادي: محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- (71) _____: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأهيلية في الدرس العربي القديم، العلمة، الجزائر، بيت الحكمة، ط1، 2009.

ثانياً-المعاجم:

- (1) أحمد بن فارس بن زكرياء (القزويني): مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، د ط، 1979.
- (2) أيوب بن موسى الحسني (الكفوي): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م.
- (3) الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور، بيروت، دار الفكر، ط 1407، 4هـ، 1987 م.
- (4) جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور): لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1994م.
- (5) مجد الدين بن يعقوب (الفيروز أبادي): القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دار الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، ط1.

- (6) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية للنشر، القاهرة، مصر، ط4، 2004م.
- (7) محمد بن أحمد (أبو منصور الأزهري): تهذيب اللغة، تح: على النجار، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، د ط، دت.
- (8) محمد بن عبد الرزاق (الزبيدي): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت، د ط، دت.
- (9) محمود بن عمر (جار الله أبو القاسم الزمخشري): أساس البلاغة، بيروت، دار صادر، ط1، 2009م.
- (10) علي بن محمد السيد الشريف (الجرجاني): التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، د ط، القاهرة، دار الفضيلة.
- (11) قاموس أكسفورد: (إنجليزي-عربي).
- (12) رمزي منير بعلبكي: المورد الحديث قاموس انجليزي -عربي، دار العلم للملايين، لبنان، دط، دت.
- (13) الخليل بن أحمد (الفراهيدي): معجم العين، تح: مهدي المخزومي، مكتبة الهلال، دط، دت

ثالثا-الدواوين الشعرية:

- (1) أحمد بن حسين (أبو الطيب المتنبّي): ديوان المتنبّي: دار بيروت، بيروت، د ط، 1983م.
- (2) أمل دنقل: الأعمال الشعرية الكاملة، مكتبة مديولي، القاهرة، ط3، 1987.
- (3) عياش يحياوي: ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، مطبعة دار الفجر، أبو ظبي، ط2، 2008.
- (4) عمار بن لقريشي: ديوان مقام الاغتراب دار الروائع للنشر، سطيف، الجزائر، ط1، 2015م.
- (5) صالح غيلوس: عراجين الملح، مطبعة البدر، العلة، الجزائر، ط1، 2018.

رابعاً-الكتب المترجمة:

- (1) إيفور آرمسترونغ ريتشاردز: فلسفة البلاغة، تر: سعيد الغانمي ناصر حلاوي، ط2، إفريقيا الشرق، المغرب، 2002.
- (2) أ. مولز وآخرون: في التداولية المعاصرة والتواصل، فصول مختارة، تر: محمد نظيف، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014م.
- (3) آلان بونيه: الذكاء الاصطناعي، تر: علي صبري فرغلي، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1993 م.
- (4) آن ربول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، مراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
- (5) بول ريكور: النص والتأويل، تر: منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 3، 1998م.
- (6) ———: نظرية التأويل وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.
- (7) جان سيرفوني: الملفوظية، تر: قاسم مقدم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 1998م.
- (8) الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، دت.
- (9) جوليان باجي: الفلسفة، تر: يوسف شنش، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2010 م.
- (10) جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنين، دار إفريقيا الشرق، ط2، 2006.
- (11) جورج يول: التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، الرباط، المغرب، ط1، 1431هـ-2010م. جورج لايكوف: حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، تر: عبد المجيد جحفة، وعبد الإله سليم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

- 12) جورج لايكوف ومارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996م.
- 13) جون ليونز: اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة، العراق، ط1، 1987م.
- 14) جون سيرل: العقل واللغة المجتمع، تر: سعيد الغانمي، دار العربي للعلوم، الدار البيضاء، الجزائر، ط1، 2006م.
- 15) دومنيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد محمد يحياتي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005.
- 16) زتسيسلاف واورزنيك: مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1424 هـ، 2003م.
- 17) كاترين أوريكيوني: المضمّر، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- 18) _____: في التداولية المعاصرة والتواصل، تر: محمد نطيق، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2014م.
- 19) كريستوفر نوريس: التفكيكية النظرية والممارسة، تر: صبري محمد حسن، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 1989.
- 20) مونيك شيفارتس، جينيت شور: علم الدلالة كتاب دراسي، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2016.
- 21) فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الجزائر، 2000.
- 22) راي جاكاندوف: علم الدلالة والعرفانية: تر: عبد الرزاق المنور، المركز الوطني للترجمة، تونس، د ط، 2001.

خامسا-الدوريات والمجلات:

- 1) آسية مرهون، عز الدين عماري: ملامح الاستعارة الذهنية كبعد عرفني في شعر عياش يحيائي من خلال ديوانه "ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية"، مجلة المقري الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، العدد 3، 2021.

- (2) هاشم جعفر حسين الموسوي، علي محمد نور مجيد: الخطاب القرآني-دراسة في ضوء نظرية الفضاء الذهني، مجلة مداد، مج:09، العدد 34، العراق، تشرين الثاني 2022.
- (3) وهيبة بوشليق: نظرية الأفضية الذهنية المفهوم والإجراءات، مجلة العمدة، العدد الرابع، 2019.
- (4) لطفي الذويبي: قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية، مجلة العلامة، العدد 3، ديسمبر 2016.
- (5) محمد بن عباد: التلقي والتأويل، مجلة علامات، المغرب، العدد 10، 1998م.
- (6) محمد طه: علم المعرفة -آفاق جديدة في دراسة العقل - مجلة عالم الفكر، مج:35، العدد 1، 2006/09/01 م.
- (7) نزيهة زكور، صالح غيلوس: الأفضية الذهنية والسيميويزيس أو التأويل اللامتناهي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مج: 3، عدد خاص، 2015.
- (8) سالم محمد يزيد: الاستلزام التخاطبي في ضوء المقاربة الوظيفية لأحمد المتوكل، مجلة اللسانيات، العدد 24، 2017.
- (9) سيدي عمر عبود: مفهوم التأويل لدى كادامير، مجلة علامات، المغرب، العدد 14، 2000م.
- (10) سمير عابي: اللسانيات العرفية - المبادئ العامة والأسس-مجلة العدوي، مج:01، العدد 01، 2021م.
- (11) عبد السلام إسماعيل علوي: في تداوليات التأويل، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، العدد 148-149، 2009.
- (12) عبد العزيز محمد حسن: كيف ننجز الأشياء بالتلفظ، جامعة القاهرة، مجلة كلية دار العلوم، العدد 19، 1995.
- (13) عبد العالي العامري: الفضاء اللغوي وآليات بناء المعنى، كلية العلوم الانسانية، جامعة المغرب، العدد 09، 2019.
- (14) عز الدين عماري، الربيع بوجلال: مفاهيم لسانية عرفانية، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مج: 03، العدد 3، 2019 م.

- 15) صالح غيلوس: دور التصور الذهني في تشكيل المعنى، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مج: 04، العدد 4، 2020.
- 16) صلاح الدين يحيى: التداولية العرفانية قبل التداولية مدخل إلى التأسيس العرفاني، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج: 09، العدد 4، 2020 م.
- 17) صليحة شنيح: ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، مجلة فصول النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، مج: 25، العدد 100، 2017.
- 18) ذهبية حمو الحاج: قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، العدد 2، ماي 2007.
- 19) _____: مدخل إلى التداولية المعرفية، مجلة الكوفة، العدد 9، العراق، 2014.

سادسا- الرسائل والأطاريح الجامعية:

- 1) عمر بن دحمان: الاستعارات والخطاب الأدبي، مقارنة معرفية معاصرة، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، تيزي وزو، تاريخ المناقشة: 2012/07/03.
- سابعا- المؤتمرات والندوات:

- 1) غسان إبراهيم الشمري: عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة، جامعة طيبة، كلية الآداب بيبع، السعودية، مشاركة ضمن فعاليات المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية بتاريخ: 8 ماي 2014، الإمارات العربية المتحدة
- ثامنا- مواقع الانترنت:

- 1) زهرة الطاهري: مقارنة بعض النظريات الدلالية للمعنى: النظرية التصورية أنموذجا، الموقع: <https://www.academia.edu/47770340>
- 2) حيدر لازم الكنائي: علم الأعصاب المعرفي، مجلة الحوار، العدد 4786، مقال إلكتروني، أطلع عليه بتاريخ 2022/10/10 / من موقع WWW.AHEWAR.ORG.
- 3) محمد غاليم: بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي، الموقع: <http://www.aljabriabed.med>
- 4) عبد السلام إسماعيل علوي: التلفظ والإنجاز، الموقع: www.fikrwamakd.net/n58
- 5) تميم البرغوثي، قصيدة "نفسى الفداء لكل منتصر حزين"، الموقع:

<https://poetsgate.com/poem.php?pm=180329>

(6) الثامري عادل: التداولية ظهورها وتطورها، استخرجت من موقع:

<http://www.djelfa.info/vb/showthread.php> بتاريخ 2021/10/10.

(7) خالد جليل: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، الموقع:

<http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php.30254> بتاريخ 2022/12/25 .

تاسعا-المراجع باللغة الأجنبية:

- 01)cf.zoltan koveces : metaphor, apractical introduction.
- 02)cf.cilles fauconnier and mark turner : comeeptual integrotrion networks.
- 03)cf.vyvyan evans and melamie green : cognitive linguistic, anintroduction.
- 04)philip blanchate, lapramatique d'unstim a'goffman.
- 05)pomald w.langacker,cognitive grammar, a basic I introduction oxford university press 2008.
- 06)ronald,w langacker,cognitive, grammar.
- 07)george lake off : women, fire, and, dangerous thinges, what categories reval about the university of chicago presse, chicago and london, 1987,p(xi) ,(perfex).
- 08)victoria franklin, an introdution to language, america, print number 01,2017.
- 09)Dictionnaire Robert.
- 10)Levinson,S.C.(1983):Pragmatics.Cambridge University Press .

فهرسُ الموضوعاتِ

الصفحة	الموضوع
أو	مقدمة
50-07	الفصل الأول: (تمهيدي): المرتكزات النظرية للدراسة: المعنى، التداولية، العرفانية.
21-08	المبحث الأول: المعنى.
08	1- مفهوم المعنى
08	1-2- لغة
09	2-2- اصطلاحا
10	2- أنواع المعنى.
11	1-2- المعنى الأساسي أو المركزي
11	2-2- المعنى الإضافي أو الثانوي (العرضي)
12	2-3- المعنى النفسي
12	2-4- المعنى الأسلوبى
13	2-5- المعنى الإيحائي
14	3- مناهج (نظريات) دراسة المعنى
14	1-3- النظرية الإشارية
16	2-3- النظرية التصويرية
17	3-3- النظرية السلوكية
18	3-4- النظرية السياقية
19	3-5- نظرية الحقول الدلالية
20	3-6- النظرية التحليلية
32-22	المبحث الثاني: في اللسانيات التداولية

22	1- مفهوم التداولية.
22	1-1- لغة
23	1-2- اصطلاحاً
23	2- نشأة التداولية وتطورها.
27	3- مجالات بحث اللسانيات التداولية.
28	3-1- الإشارات
28	3-2- الافتراض المسبق أو السابق
28	3-3- الأفعال الكلامية
29	3-4- الاستلزام الحوارى
29	3-5- نظرية الملاءمة
30	4- علاقة المنهج التداولى بالحقول المعرفية الأخرى.
30	4-1- علاقة التداولية بحقل علم النفس المعرفى
31	4-2- علاقة التداولية باللسانيات البنيوية
31	4-3- علاقة التداولية بعلم الدلالة
32	4-4- علاقة التداولية باللسانيات الاجتماعية
55-33	المبحث الثالث: فى اللسانيات العرفانية (العرفية)
33	1- مفهوم اللسانيات العرفانية.
33	1-1- العرفان لغة
34	1-2- العرفان اصطلاحاً
35	1-3- تعريف اللسانيات العرفانية
36	2- المرجعيات التاريخية والأسس الفلسفية للعلم العرفنى.
36	2-1- المرجعيات التاريخية

38	2-2- الأسس الفلسفية للعرفانية
39	3- إسهامات بعض العلوم في مجال اللسانيات العرفانية.
39	3-1- إسهامات علم النفس المعرفي في مجال اللسانيات العرفانية
39	3-2- إسهام الذكاء الاصطناعي
40	3-3- إسهامات الأنثروبولوجيا في حقل العرفانية
40	3-4- إسهامات اللسانيات في الميدان العرفني
41	3-5- إسهامات الفلسفة في العرفانية
42	3-6- إسهامات علم الأعصاب المعرفي في حقل العلوم العرفانية
43	4- الأسس العامة للسانيات العرفانية.
43	4-1- الموقف الذهني "النفسي
44	4-2- الموقف التألفي
45	5- مبادئ مؤسسة للسانيات العرفنية
45	5-1- مبدأ التعميم
51	5-2- المبدأ المعرفي
52	5-3- مبدأ التجسيد
113-56	الفصل الثاني: تجليات المعنى في الفكر التداولي
86-57	المبحث الأول: المعنى في رحاب نظرية أفعال الكلام
57	1- نشأة نظرية أفعال الكلام ومراحل تطورها
57	1-1- مراحل تشكل النظرية على يد العالم "جون أوستين John Austin":
57	1-1-1- مرحلة ظهور الفكرة الأولى للنظرية
59	1-1-2- مرحلة وضع الاقتراحات ودراسة الفكرة بعمق
60	1-1-3- تبلور النظرية وصياغة نظرية الأفعال الكلامية أو اللغوية
67	1-2- تصنيف "أوستين" للأغراض الإنجازية في الأفعال الكلامية

68	1-3-1-اكتمال معالم نظرية أفعال الكلام على يد "جون سيرل John Searle "
68	1-3-1-بنية الفعل الكلامي عند "سيرل"
69	1-3-2-إعادة صياغة شروط الملازمة
69	1-3-1-إعادة تصنيف "سيرل" للأفعال الكلامية
70	2-ماهية الفعل الكلامي
72	3-خصائص الفعل الكلامي
72	1-3-المواضعة والتعاقد
72	2-3-القصدية
74	3-3-الحالية
75	4-تمثيلات المعنى التداولي انطلاقا من أصناف القوة الإنجازية للفعل الكلامي من خلال نماذج مختارة.
75	1-4-تمثيلات المعنى في القوة الإنجازية للإخباريات
78	2-4-تمثيلات المعنى في الأغراض الإنجازية لأفعال التوجيه
81	3-4-تمثيلات المعنى من خلال الأغراض الإنجازية للالتزاميات
83	4-4-تمثيلات المعنى انطلاقا من الأغراض الإنجازية للتعبيريات
85	5-4-تمثيلات المعنى انطلاقا من الأغراض الإنجازية للتصريحات
100-87	المبحث الثاني: الاستلزام الحواري وأثره في اتساع المعنى التداولي عند بول غرايس
87	1-نشأة فكرة الاستلزام الحواري في الحقل التداولي
88	2-مفهوم الاستلزام الحواري
88	1-2-لغة
88	2-2-اصطلاحا
89	3-أنواع الاستلزام الحواري

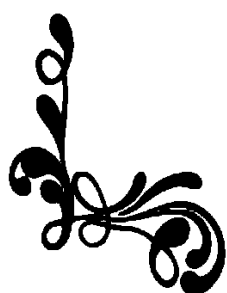
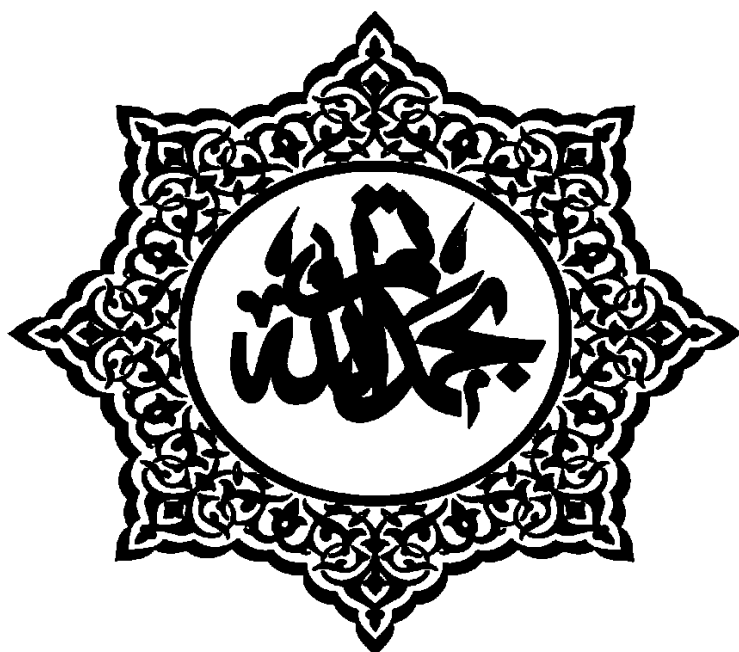
90	3-1-الاستلزام الحواري الخاص
90	3-2-الاستلزام الحواري العام
91	4-خصائص الاستلزام الحواري
91	4-1-الاستلزام الحواري قابل للإلغاء
91	4-2-الاستلزام الحواري قابل للتغيير
92	4-3-الاستلزام الحواري يمكن تقديره وحسابه
92	4-4-الاستلزام الحواري لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي
93	5-نماذج تطبيقية عن تمثيلات الاستلزام الحواري من خلال أسلوب النهي والأمر.
93	5-1-تمثيلات المعنى الصريح والمعنى المستلزم لأسلوب النهي
96	5-2-تمثيلات المعنى الصريح والمعنى المستلزم لأسلوب الأمر
113-101	المبحث الثالث: متضمنات القول وتأويل المعنى في الدرس التداولي
101	1-الافتراض المسبق (مفهومه، أنواعه)
101	1-1-مفهوم الافتراض المسبق
102	1-2-مفهوم وأنواع آلية الافتراض المسبق عند "أوريكيوني"
104	1-3-مفهوم الافتراض المسبق وأنواعه عند "جورج يول"
108	1-4-دور الافتراض المسبق كآلية تداولية تعين على تأويل المعنى من خلال نماذج تطبيقية
111	2-القول المضمّر.
111	2-1-المفهوم.
111	2-2-استجلاء الغموض عن القول المضمّر من خلال نماذج تطبيقية
165-114	الفصل الثالث: المعنى من المنظور العرفاني

138-115	المبحث الأول: الاستعارة التصويرية وتمثل المعنى
115	1- مفهوم نظرية الاستعارة التصويرية
116	2- نشأة نظرية الاستعارة التصويرية.
116	2-1- تصور ماكس بلاك
117	2-2- تصور " إيفور آرمسترونغ ريتشاردز
118	2-3- تصور بول ريكور
119	2-4- تصور جورج لاكوف ومارك جونسون
122	3- بنية نظرية الاستعارة التصويرية.
123	4- أنواع الاستعارة التصويرية
123	4-1- الاستعارة الوضعية
124	4-1-1- الاستعارات الاتجاهية
125	4-1-2- الاستعارة البنيوية
126	4-1-3- الاستعارات الانطولوجية
128	4-2- الاستعارات غير الوضعية "الإبداعية"
128	5- قيمة الاستعارة التصويرية.
129	5-1- التجسيد
130	5-2- الفهم
130	5-3- الخيال
131	6- القيود التي تضمن سلامة البنية التصويرية الاستعارية.
133	7- التجليات اللسانية للاستعارة التصويرية نماذج تطبيقية.
133	7-1- تجليات الاستعارة التصويرية في الجمل
134	7-2- تجليات الاستعارة التصويرية في النصوص
156-139	المبحث الثاني: المعنى العرفاني وآلية بنائه في ضوء نظرية الأفضية الذهنية.

139	1- مفهوم الفضاء الذهني.
139	2- الأسس النظرية التي أسهمت في ظهور مفهوم الفضاء الذهني.
139	1-2-1- الذهن وبناء المعنى
141	2-2-2- المجاز وتأويل اللفظ
142	3- أنواع الفضاء الذهني.
144	4- العناصر المسهمة في بناء الفضاء.
146	5- آليات الفضاء الذهني في تفسير البناء اللغوي وتحصيل المعنى الضمني العرفني.
147	5-1- آلية الإدراك
147	5-2- آلية التفكير
147	6- تمثيلات المعنى العرفاني في ضوء نظرية الفضاء الذهني.
165-157	المبحث الثالث: ترابطات المزج التصوري وتمثل المعنى الضمني العرفاني
157	1- نشأة نظرية المزج التصوري.
157	2- آلية اشتغال المزج التصوري.
158	3- مظاهر المزج التصوري.
158	3-1- الفضاء الممزوج
160	3-2- الفضاء الشامل
161	4- أمثلة تطبيقية عن المزج التصوري في القرآن الكريم.
161	4-1- من خلال القرآن الكريم
163	4-2- من خلال نصوص شعرية.
208-166	الفصل الرابع: المعنى بين التداولية والعرفانية -دراسة مقارنة-
188-167	المبحث الأول: أوجه الاختلاف

167	1-بناء المعنى التداولي عن طريق التأويل الخاضع لعنصر السياق.
167	1-1- مفهوم التأويل (لغة-اصطلاحاً)
169	1-2- أنواع التأويل
170	1-3- دواعي التأويل
170	1-4- موضوع التأويل التداولي
170	1-5- عتبات التأويل التداولي التي تُحَقِّق الوصول الى المعنى الضمني
171	1-6- كفاءات تأويل المعنى التداولي
172	1-6-1- الكفاءة اللسانية
173	1-6-2- الكفاءة السياقية
175	1-6-3- الكفاءة الموسوعية
177	1-6-4- الكفاءة الاستدلالية
178	2-بناء المعنى ودراسته من المنظور العرفاني عن طريق الذهن.
180	2-1- المبادئ التي تقوم عليها النظرية الدلالية العرفانية لمقاربة المعنى
180	2-1-1- البنية التصورية بنية متجسدة
181	2-1-2- البنية الدلالية هي البنية التصورية
183	2-1-3- موسوعية تمثيل المعنى
184	2-1-4- بناء المعنى هو بناء التصور
185	2-2- مداخل دراسة المعنى العرفاني.
204-189	المبحث الثاني: نقطة التقاء التداولية مع العلوم العرفانية في دراسة المعنى.
190	1- ملامح العرفانية في مشروع مبدأ التعاون لدى بول غرايس.
197	2- التداولية وتفسير المعنى انطلاقاً من العمليات الذهنية.
197	2-1- اشتغال "غرايس" على الدماغ انطلاقاً من الحالات الذهنية...

197	2-1-1- قدرات الدماغ من وجهة نظر "غرايس"
198	2-1-2- الاستدلال عند غرايس
199	2-1-3- القدرة الذهنية ونوايا القائل
200	2-2- علاقة نظرية الملازمة عند "غرايس" في المنظور التداولي بنظرية المناسبة عند كل من "دان سبيرير" و"ديردر ولسن"
208-205	المبحث الثالث: العلاقة بين التداولية والعرفانية.
205	1- التآويل والسياق التداولي.
206	2- المحيط العرفاني ودوره في تحصيل المعنى في ظل المنظور التداولي العرفاني.
210	الخاتمة
214	قائمة المصادر والمراجع
227	فهرس الموضوعات



الملخص:

حظي المعنى باعتباره جوهر اللغة بدراسات اختلفت مشاربها الفكرية وتوجهاتها ومن بين هذه التوجهات الاتجاه التداولي الذي درس اللغة أثناء استعمالها في مختلف السياقات التي تنشأ فيها، والاتجاه العرفني الذي ركز على الآلية الذهنية التي تنتج دلالة الأبنية اللغوية في الذهن، وقد حاولنا من خلال هذا البحث عقد مقارنة بينهما وذلك من خلال الإجابة على إشكالية مفادها: كيف يمكن ضبط المعنى بين ما يطرحه الاتجاه التداولي وما يتبناه الاتجاه العرفني؟ وهل هناك فرق بين الاتجاهين في دراستهما للمعنى؟

وللإجابة عن هذه الاشكالية قُسم البحث أربعة فصول عالجنا في الأول المرتكزات النظرية التي تتعلق بكل من المعنى، اللسانيات التداولية، اللسانيات العرفانية، وتطرقنا في الثاني إلى المعنى في الاتجاه التداولي، وفي الثالث إلى المعنى في رحاب اللسانيات العرفانية، وتم في الرابع عقد مقارنة بين الاتجاهين، وخلصنا في الأخير إلى جملة من النتائج أهمها أن التداولية والعرفانية اتجاهاً متكاملان نتج عنهما ما يعرف بالتداولية العرفانية وهي اتجاه يدرس الآلية الذهنية التي تنتج المعنى وربطه بالسياق الذي يُنجز فيه.

الكلمات المفتاحية: المعنى، التداولية، العرفانية، مقارنة

Abstract

The meaning, as the essence of language, has received studies. Which their intellectual walks and orientations differed, and among these trends was the pragmatic trend, which studied language during its use in the various contexts in which it arises, as well as the cognitive trend, which focused in its study of meaning on the mental mechanism that produces the significance of linguistic structures in the mind. we have tried through this work to compare between two trends: the pragmatic trend and the cognitive trend. Through answering the following to a problematic: How can meaning be controlled between what the pragmatic trend proposes and what the cognitive trend adopts? Is there a difference between the two trends in their study of meaning? To answer this problematic, we have divided the structure of the research into four chapters. In the first chapter, we discussed the theoretical foundations that relate to the research like the definition of meaning, pragmatic linguistics, and cognitive linguistics. in the second chapter, we focused on meaning in the pragmatic trend while in the third chapter, we talked about meaning within the scope of cognitive linguistics. in the fourth chapter, we made a comparison between the two trends after we had talked in the previous two chapters on proposing a study of both trends of meaning.

In the final chapter, we tried to deduce the aspects of similarities and differences and the relationship between them. Finally, we reached a number of results, the most important are The pragmatic and cognitive trends are two complementary trends that resulted in what is known as cognitive pragmatics, which is a trend that studies the mental mechanism that produces meaning and links it to the context in which it is achieved

key words: Meaning, pragmatics, cognition, comparison